البحث العلمي

نظرات في منهجه ورسالته

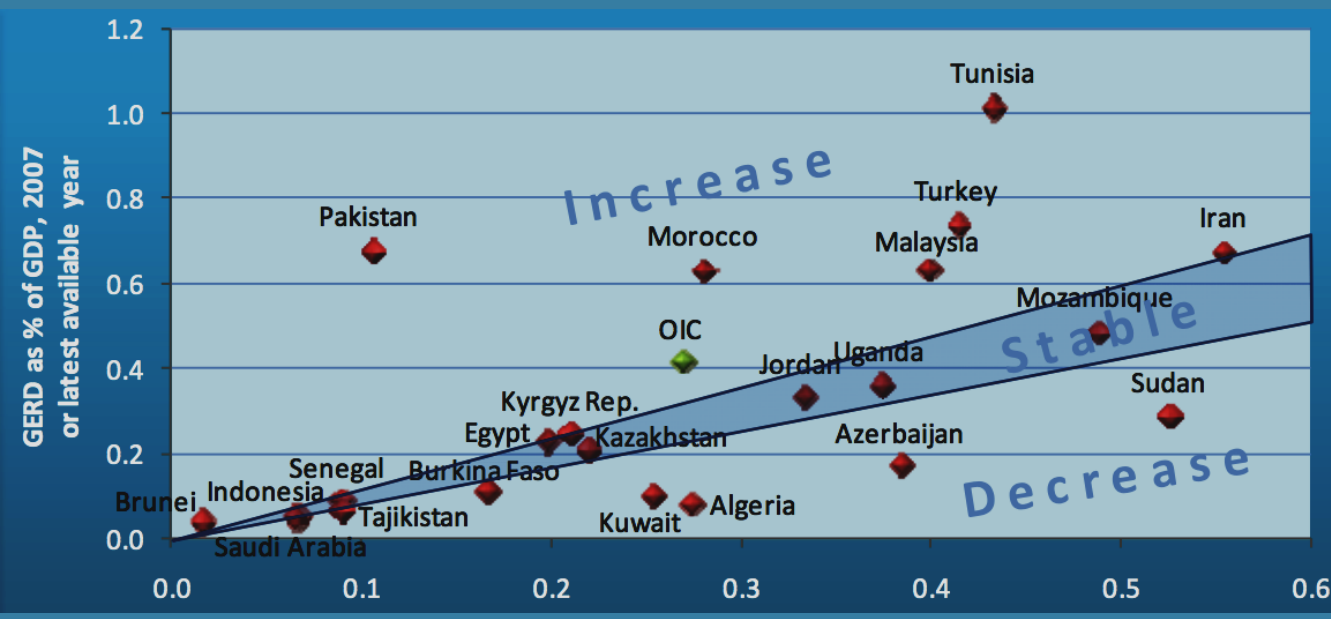

الدكتور

سامر مظهر قنطقجي

FREE EDITION
كتاب مجاني لا يباع
NOT FOR SALE

الطبعة الخامسة؛ مزيدة ومنقحة

KIE Publication

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

(طه: ١١٤)

مركز كاي للنشر

إن مطبوعات (مركز كاي للنشر) تهدف إلى :

- تبنيّ نشر مؤلفات علوم الاقتصاد الإسلامي في السوق العالمي؛ لتصبح متاحة للباحثين والمشتغلين في المجالين البحثي والتطبيقي على شكل كتاب الكتروني مجاني .
- توفير جميع المناهج الاقتصادية للطلاب والباحثين بصبغة إسلامية متينة .
- أن النشر الالكتروني يعتبر أكثر فائدة من النشر الورقي .
- أن استخدام الورق مسيء للبيئة، ومنهك لمواردها .

واللهُ من وراء القصد .

لاستعراض مطبوعات KIE وتحميلها، وللتواصل

www.kantakji.com

مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية
Islamic Business Researches Center

توضيح

إن كل ما ورد في الكتاب هو حقوق بحثية للمؤلف، ويعتبر ورقة بحثية من الأوراق البحثية لمركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية وجامعة كاي.

يسمح باستخدام هذ الكتاب كمنهج أكاديمي (كما هو منشور) مجانًا مع ضرورة المحافظة على حقوق المؤلف.

www.kantakji.com www.kie.university

جامعة كاي

جامعة أونلاين

متخصصة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

www.kie.university

البحث العلمي

نظرات في منهجه ورسالته

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

الطبعة الخامسة

فهرس الكتاب

مركز كاي للنشر	٣
توضيح	٤
فهرس الكتاب	٧
مقدمة الطبعة الخامسة	١١
المقدمة	١٢
إهداء	١٥
شكر	١٦
حوار مع أ. د. حمزة حمزة حفظه الله	١٨
المقدمة	٢٢
المبحث الأول أخلاقيات البحث العلمي	٢٥
تلازُمُ العِلم والحِكمَةِ	٢٩
صفات العلم الحقيقي	٣٢
علم وعمل	٣٤
وظائف الحياة الاجتماعية	٣٦
المبحث الثاني مصطلحات يجب التمييز بينها	٤٠
تمييزُ الدَّرجاتِ العِلميّةِ	٤١
تمييزُ المؤسَّسةِ التَّعليميَّةِ	٤٦
تمييزُ المناهجِ التعليميةِ	٥١
المبحث الثالث منهج البحث العلمي ومصادر المعرفة	٥٥
مَصادِرُ المَعرِفةِ الإسلاميةِ وطُرُقُ البَحثِ	٥٧
الثوابتُ والمُتغيِّراتُ في الشريعةِ الإسلاميةِ	٦٨
المبحث الرابع فروض منهج البحث العلمي	٧٥
أولا: اليقين ودرجاته	٧٦
ثانيا: الظنُّ ودَرجاتُه	٧٩

علمٍ يَقينيٍّ ٨٢
علمٌ ليسَ يقينيًّا ٨٥
ثالثًا: الشكُّ ودَرجاتُه ٩٥
المداخل البحثية ١٠٢
المَدخلُ المعياريُّ ١٠٢
المَدخلُ السُّلوكيُّ الأخلاقيُّ ١٠٢
المَدخلُ التاريخيُّ الاستقرائيُّ ١٠٣
المَدخلُ الإيجابيُّ ١٠٣
المبحث الخامس أدوات البحث العلمي ١٠٦
البحث العلمي عملية مستمرة ١٠٦
الفجْوةُ البَحثيةُ ١١٤
نَتاجُ البَحْثِ العِلميِّ ١١٩
١- الدِّراساتُ التفسيريةُ ١٢١
٢- الدِّراساتُ الإيجابيةُ ١٢٣
القِياسُ والقِياسُ العَقليُّ ١٢٤
التَّحَرزُ من أخطاءِ القياسِ ١٢٥
المُسلَّماتُ والبَديهياتُ ١٢٧
قواعدُ في القِياسِ ١٢٧
المقاصِدُ التي ينبغي اعتِمادُها بالتأليفِ وإلغاءِ ما سِواها ١٣٢
أوّلها: ابتكارُ ما لم يُسْبَق ١٣٢
وثانيها: شرحُ المستغْلَقِ ١٣٢
وثالثُها: تصحيحُ الخطأِ في كلامِ المتقدِّم ١٣٢
ورابعُها: إتمامُ الناقصِ ١٣٣
وخامسُها: ترتيبُ المختلطِ ١٣٣
وسادسُها: جمعُ المفرَّقِ ١٣٤
وسابعُها: تلخيصُ المطوَّل ١٣٤
المبحث السادس اختيار مشكلة البحث وعنوانه ١٣٦

اعتباراتِ شخصيَّة الباحث ١٣٨
الاعتِباراتُ البَحثيةُ ١٣٩
استخدامَ الأدواتِ البَحثيةِ ١٤١
الاعتِباراتِ الفنِّيةِ ١٤١
المبحث السابع أجزاء خطة البحث العلمي ١٤٦
صَفْحَةُ الغلاف ١٤٦
اختيارُ العُنوانِ المُناسِبِ ١٤٨
وضْعُ خُطَّةٍ ١٤٨
فِهْرِسُ البَحثِ (المُحتوياتُ) ١٥٠
توثيق المراجع ١٥١
أُسلوبُ الكِتابَةِ ١٥٤
إبرازُ شخْصِيَّةِ الباحِثِ ١٥٦
أُسُسُ تقديمِ البَحثِ بَعْدَ اكتِمالِه ١٥٧
المبحث الثامن أُسس تقويم وتقييم ومناقشة رسالة البحث العلمي ١٦٣
المُواصَفاتُ العامَّةُ ١٦٣
المُناقشةُ ١٦٤
التقويم والتقييمُ ١٦٥
المبحث التاسع دور البحث العلمي ومؤسساته ١٧٠
العمل المؤسساتي ١٧٥
تسويق البحث العلمي ١٧٨
الخاتمة ١٧٩
ملحق – نماذج فريدة في اختيار المنهج ١٨٤
نماذج المنهج في كتاب الله تعالى ١٨٥
إعجاز القرآن الكريم من زاوية البحث العلمي ١٩١
ملحق – دور الذكاء الصنعي في ارتكاب الاحتيال الأكاديمي ١٩٤
ملحق – الإسناد والإجازة ٢٠٠

قواعد الإجازة ٢٠٥
المراجع ٢١٣
صدر للمؤلف ٢١٦

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على سيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضمت هذه النسخة من كتابنا تحسينات عامة وإضافات عديدة؛ إضافة إلى تحويل النصائح وجزء من المقدمة إلى مبحث أخلاقيات البحث العلمي وإضافة نماذج فريدة في اختيار المنهج.

الفقير إلى الله تعالى: سامر مظهر قنطقجي

حماة (حماها الله) ٠٢ ذي الحجة ١٤٤٣ هـ الموافق ٠١-٠٧-٢٠٢٢ م

المقدمة

جَعَلَ اللهُ طَلَبَ العِلمِ طَريقَ الرِفعَةِ، فقَالَ: **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** (المجادلة: ١١)؛ فالإيمانُ شرطُ الرِفعَةِ. يقولُ المولى عزّ وجلّ: **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (الزمر: ٩).

وَقالَ رَسُولِ الهُدَى صلّى اللهُ عليه وآلِه وسَلّم:

- "**طلَبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ**"[1].
- "أتَيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو في المسجدِ متَّكئٌ على بردٍ له أحمرَ فقُلْتُ له: يا رسولَ اللهِ إنِّي جِئْتُ أطلُبُ العلمَ، فقال: **مرحبًا بطالبِ العلمِ، إنَّ طالبَ العلمِ لتحُفُّه الملائكةُ بأجنحتِها ثُمَّ يركَبُ بعضُهم بعضًا حتَّى يبلُغوا السَّماءَ الدُّنيا من محبَّتِهم لما يطلُبُ**"[2].
- "**لا تَعلَّمُوا العِلمَ؛ لِتُباهوا بِهِ العُلماءَ، ولا تُمارُوا بِهِ السُّفهاءَ، ولَا تَخيَّروا بِهِ المجَالِسَ؛ فمَنْ فعَلَ ذَلِكَ فالنَّارَ النَّارَ**"[3]. فقد يعتد صاحب

---

[1] رواه عبد الله بن مسعود

[2] رواه صفوان بن عسال

[3] صحيح ابن حِبَّان

العلم بعلمه ويفرح به، يقول الله تعالى واصفًا أولئك: **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** (غافر: ٨٣)

وَقالَ الفاروقُ عمرُ رضيَ اللّٰهُ عنهُ: "تَعلّموا العِلمَ، وتَعلّمُوا لِلعِلمِ السَكينةَ والوقارَ والحِلمَ، وتَواضعُوا لِمن تَعلَّمون مِنهُ، ولِيتواضَعْ لكُمْ مَن يتعلّمُ مِنكم. ولا تَكونوا جَبابِرةَ العُلمَاءِ؛ فلا يقومُ عِلمُكم بَجهلِكُم".

وَقالَ الأستاذُ محمّد أديب كَلكَل رحمه الله: "لا يجوزُ أنْ يُوصفَ بالكُفرِ والفِسقِ عَالِمٌ ثَبتٌ ثِقةٌ مِن ذَوي الألبابِ وأُولي الاجتهادِ لمجرّدِ أنَّه أدّاهُ اجتهادُهُ إلى رأيٍ يُخالفُ غَيرَه مع أنَّه لا يَقصدُ إلاّ الحقَّ ولم يَتوخَّ إلاّ ما رآهُ الأوثقَ، فلا تَفسيقَ ولا تَضليلَ مع الاجتهادِ والتأويلِ"[1].

قالَ د. جون ب. ديكنسون: "عِنْدَما تُصبِحُ دَوافِعُ المَجْدِ والشُّهْرَةِ هيَ السَّائِدَةَ؛ فإنَّ البَحْثَ العِلْمِيَّ يَفْقِدُ مَغْزاهُ الأسَاسَ مِنْ هَدَفٍ واتِّجاهٍ"[2].

[1] اتحاف السائل ج٢

[2] العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، ص ٢٥

وأنشدَ الدكتور عبدُ الكريمِ اليافي في مقالٍ لهُ عن الاختصاصِ والموسوعيّةِ والفكرِ العلميِّ الحديثِ، الأبياتَ التاليةَ[1]:

إنَّ العلـــومَ فراديـــسٌ مخلّـــدةٌ وكَمْ حَلا في ذَرَاهَا الزَّهـــرُ والثَّمـرُ

مَن عاشَ في ظلِّها قَدْ عاشَ في رغَدٍ مهمَا تبدلَّتِ الأيّـــــــامُ والغِيَرُ

يَمضِـي الغَنـيُّ ويَفنَـى مَا يُجَمِّـعُـهُ وثَمَّةَ الباقِيـــــانِ العِلـــمُ والأثـــرُ

والعِلـــمُ مَـوطِـنُـهُ قلـــبٌ يُـؤيّـدُهُ على المدى الشَّاهِدَان السَّمعُ والبصرُ

وإنّمَا هُـو بـرقٌ كُـلَّـــمَـا ازْدَحَـمَـتْ سُـــحُبُ العُقُولِ وَوافَى وَمْضَهَا المطرُ

فَكُنْ صَبُـوراً علـى نيـلِ المعـــارفِ إذْ لَم يحـظَ بالفوزِ إلاّ عُصْبَـةٌ صَبَـروا

هُـمُ النُّجـــومُ إذا ليـلُ البـلادِ دَجَـى وفي النَّهارِ شُـــــموسٌ أيّنَما ظَهروا

[1] مجلة التراث العربي في عددِيها ٣٩-٤٠ شوال ١٤١٠ نيسان ١٩٩٠

إهداء

أُهدي هذا العَملَ إلى كُلِّ طالبِ عِلمٍ يَبْحَثُ عنِ الحَقيقةِ دُونَ هَوىً أو تعَصُّبٍ، يبْحَثُ بِتجَرُّدٍ ومَوضُوعِيَّةٍ لإثباتِ حقيقةِ الأشياءِ؛ فيسْبرَ أغوارَها برِفقٍ ولُطفٍ، ويُخلِصُ العَملَ سَاعِيًا إلى ذلِكَ بكُلِّ ما أوتيَ مِنْ طاقةٍ وحَيويَّةٍ. يتجَاوزُ الصِّعابَ، ويَصبرُ عليها حتّى تنجَلي الحَقيقةُ أمامَهُ فتتجَلَّى كالمَحَجَّةِ البَيضاءَ ناصِعَةً ليلُها كنَهارِها لا يزيغُ عنها إلاّ هالِكٌ، ولا يشوبُ صَفْوَ عَمَلِهِ أيُّ مُعَكِّرٍ أو مُكَدِّرٍ .

وأَخُصُّ بالإهداءِ وَلَدي (**مَظهَر**) قرّةَ عيني الذي دَرَجَ مَدْرَجِي، وكذلك قرّةَ قرّةَ عيني ولده (**سَامر**) الذي لابد أن سيدرجُ مَدْرجَنا بإذن الله تعالى .

شكر

قال صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وصَحبِهِ وسلَّمَ: "**التَّحدُّثُ بنعمةِ اللهِ شُكرٌ، وتركُها كُفرٌ، ومَن لا يَشكُرُ القَليلَ لا يَشكُرُ الكثيرَ، ومَن لا يَشكُرُ النَّاسَ لا يَشكُرُ اللهَ، والجَماعَةُ بَرَكَةٌ، والفُرقةُ عَذابٌ**"[1].

وهذا مَنهَجٌ فريدٌ؛ فالشُّكرُ كَلِمَةٌ تتألَّفُ مِنْ ثلاثةِ أحرُفٍ، تؤدِّي حَقَّ الرَّبِّ سُبحانهُ وتعَالى – مَع عِظَمِ حَقِّهِ – تُقالُ للمَعرُوفِ قليلِهِ وكثيرِهِ، قولُها للناسِ المُحسِنينَ شُكْرٌ لِلخالِقِ العَظيمِ فأيُّ قَدْرٍ هذا؟ إنْ قيلتْ شاعَتْ، وَفاحَ أريجُ شَذاها بَين الوَرى؛ لِيَتحوَّلَ العَملُ إلى عَملٍ جَماعيٍّ مُبارَكٍ لِما تزْرَعُهُ في الأنفُسِ، فالوحَدانيَّةُ والتفرُّدُ لا يليقانِ ببني البَشرِ؛ لأنَّه لهُمْ ضَعْفٌ وهَوانٌ وعَذابٌ، بلْ تليقُ بِرَبِّ البَشَرِ؛ لأنَّهُ الفردُ الصَّمَدُ، وما دُونَهُ غيرُ ذلِكَ. فأيُّ نبيٍّ مُعلِّمٍ هُو رَسُولُ الهُدى صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وصَحبِهِ وسَلَّمَ؟

أُقدِّمُ شُكري وامْتِناني لِعُلماءَ أَرشدُوني، وأساتذةٍ عَلَّمُوني، وزُملاءَ ساعَدُوني، وأصدِقاءَ واسَوني، وأخوةٍ نَصحُوني في مَسيرَتي العِلميةِ والعَمليَّةِ كُلِّها، لا أستطيعُ ذِكْرَهُمْ جَميعًا؛ لكِنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى

[1] رواه النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ

يَعلَمُهُمْ، وأسألهُ أنْ يَجزيَهم عنِّي أحْسَنَ الجَزاءَ، إنّهُ وليُّ ذلِكَ والقادِرُ عليهِ.

ولَعلِّي أَخُصُّ أساتذتيَ: الدكتورَ حُسين القاضي، والدكتورَ إسْماعِيل إسْماعيل، والدكتورَ مُصطفَى الخَن رحِمَهُ اللّهُ والدكتورَ حمْزة حمْزة، والدكتورَ أحمَد رفيق قاسِم رحِمَهُ اللّهُ، وكذلك كل من شاركني النصح والعون.

حوار مع أ. د. حمزة حمزة حفظه الله

طَلَبتُ مِن فَضيلَةِ الأُستَاذ الدُّكتُور حَمزة حَمزة التَّعليقَ عَلى هَذا الكِتَاب؛ فتَأَخَّرَ رَدُّهُ عَليَّ.

فَأَرسلتُ لَهُ قَائلًا: أَخشَى أَن أُثقِلَ عَليكَ، وَأَعلَمُ أَنَّكَ عِندَمَا تتَأَخَّرُ بِالرَّدِ، أَو لَا تَرِدُّ؛ فَلِأَنَّكَ حَيِيٌّ، وَصَاحِبُ خُلُقٍ رَفِيعٍ. فَإِن كَانَ فِي الكِتَابِ المُقتَرَحِ أَخطَاءٌ فَأَعلِمني، وَلَو بِإِشَارَةٍ مَكتُوبَةٍ؛ فَلَعَلَّ اللهَ يُبعِدُني عَن خَطَأٍ، لَا يَصِحُّ، فَلا أَنشُرُهُ. لَقَد لَجَأتُ إِلَيكَ؛ لِأَنَّ الأَمرَ فَلسَفِيٌّ صَعبٌ، وَأَنتَ فَارِسُ الصِّعَابِ. وَلِلهِ الأَمرُ مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ.

فَرَدَّ عَليَّ: دَارَت بِكَ الظُّنُونُ وَأَنَا لَم تُصِبني وَاحِدَةٌ مِنها؛ لِأَنِّي فِي الحَقِيقَةِ وَصَلتُ فِي قِرَاءَةِ مَا خَطَّت يَمِينُكَ إِلى فَصلِ مَصَادِرِ البَحثِ. فَيَا عَذُولِي أَحسِنِ الظَّنَّ بِي. وَرُبَّ فِكرٍ رَفَعَ عَنِ الحَقِيقَةِ سِتَارَهَا، وَرُبَّ عِشقٍ تَجَلَّت لَهَا الحَقِيقَةُ عَن مَحَاسِنِ وَجهِهَا. لِذَلِكَ تَسَلَّى بِالَّذي بِهِ أَسلو يا عَذُولُ.

فَأَجَبتُهُ: أَمرُكَ.

فَقَالَ: وَمِن أَيهِمَا أَنتَ؟

فَقُلتُ: يَشهَدُ اللهُ أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ، وَأُقَدِّرُ فِيكَ العِلمَ وَالوَقَارَ.

فَقَالَ: مَا عَن حُبّي أَسأَلُكَ. وَأَنتَ فِيما تَقُولُ صَادِقٌ، وَلَكِن أَسأَلُكَ عَن عِلمِكَ، أَعِشقٌ يَكونُ؟ أَم عَصفُ فِكرٍ؟ وَأَنا أَرى أَنَّ مَلامِحَ العِشقِ فِيكَ بَادِيَةً فِيما تَتَّجِهُ إِلَيهِ فِي العِلمِ؛ لأَنَّ العِلمَ عِشقٌ، لَا بَل قُل إِنَّ العِشقَ عِلمٌ.

فَقُلتُ: قَد أَحبَبتُ مَا عَلِمتُ أَنَّهُ وِرثَةُ الأَنبِياءِ عَلَيهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَقَد تَتَلمَذتُ عَلى حُبِّ التَّعلِيمِ عَلى يَدَي وَالِدِي، الَّذي كُنتُ أَشعُرُ أَنَّهُ أَشبَهُ بِنبراسٍ يُنِيرُ الدَّربَ لِلآخَرِينَ، فَوَقَعَ مَا وَقَعَ فِي قَلبِي. ثُمَّ تَتَلمَذتُ عَلى أَيدي أَحِبَّةٍ أَمثَالِكُم، فَسَرَى فِي دَمِي حُبُّ العِلمِ، وَحُبُّ مَن يُحِبُّهُ. أَمَّا عَن عَجَلَتِي فَلِي فِيهَا عِذرٌ، فَرَأيُكَ بِهِ شَهَادَةٌ لِي، ثُمَّ إِنِّي أُجَهِّزُ نَفسِي لِإِنهَاءِ كِتَابٍ جَدِيدٍ، وَلَا بُدَّ مِن إِنهَاءِ مَا سَبَقَهُ.

فَقَالَ: امضِ عَلى بَرَكَةِ اللهِ فِيمَا تَعشَقَ.

فَقُلتُ: أَتَحَرَّجُ وَأَقلَقُ كُلَّمَا شَرَعتُ بِنَشرِ كِتَابٍ جَدِيدٍ.

فَقَالَ: وَهَكَذَا لَا يَجهَرُ بِعِشقِهِ حَتَّى يُفتَضَحَ، وَيُكرَهَ عَلى إِخرَاجِهِ؛ فَعِشقُ المَرءِ نَفسِهِ هُوَ هُوَ.

فَقُلتُ: وَاللهِ حَقِيقَةُ الأَمرِ أَنِّي أَخَافُ جِدًّا عِندَ إِصدَارِ أَيِّ كِتَابٍ، فَلَا أَجِدُ نَفسِي بِهَذَا القَدرِ؛ فَأَخجَلُ وَأُؤَخِّرُ حَتَّى يَمضِيَ بِأَمرٍ مِنَ اللهِ.

فَقَالَ: هُوَ عَينُ العِشقِ. وَأَتبَعَ قَائِلًا: هَل تَقُولُ بِأَمرِ اللهِ؟

فَقُلتُ: هَكَذَا أَشعُرُ، أَنَّ شَيئًا مَا يَدفَعُنِي بِقُوَّةٍ. فَأُنهِي أَشيَاءَ - أَحسبُ أَنِّي أَحتَاجُ فِيهَا أَشهُرًا - بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ. وَكُلَّمَا نَشَرتُ كِتَابًا وَذَاعَ صِيتُهُ، انتَظَرتُ امتِحَانًا قَوِيًّا لَا يَنتَهِي إِلَّا بِمُنَاجَاةِ اللهِ. وَأَخشَى أَنِّي أَتَقَوَّلُ عَلَى اللهِ، لَكِنَّ هَذَا مَا يَحصُلُ مَعِي فِي كُلِّ كِتَابٍ. وَمِثَالُ ذَلِكَ لَطَالَمَا أَبعَدتُ نَفسِي عَنِ التَّفكِيرِ بِكِتَابٍ أُجَهِّزُ لَهُ يَدُورُ حَولَ الاقتِصَادِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ؛ فَأَخشَى الخَطَأَ وَقِلَّةَ الفَهمِ. لَكِنَّ رُؤًى تَتَتَالَى عَلَيَّ تُعِيدُنِي لِلكِتَابَةِ فِيهِ.

وَبَعدَ أَن أُنهِي الكِتَابَ أَترُكُهُ حِينًا، ثُمَّ أُعِيدُ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا شَعَرتُ أَنِّي لَا أَعرِفُهُ، وَلَا أَعرِفُ مَن كَتَبَهُ، وَلَا أَظُنُّ أَنِّي فَاعِلُهُ، وَيُصبِحُ غَرِيبًا عَنِّي كُلَّ الغُربَةِ، أَيقَنتُ أَنَّ النَّشرَ قَد حَانَ قِطَافُهُ.

فَقَالَ: الحَمدُ للهِ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

فَقُلتُ: أَحسَبُكَ أَنَّكَ طَرَقتَ البَابَ فَقُلتُ مَا قُلتُهُ؛ فَعُذرًا عَلَى تَجَرُّؤِي، وَلَكِنِّي صَدَقتُكَ القَولَ، لَعَلِّي أَجِدُ دَوَاءً لِحَالِي.

فَقَالَ: دَوَاءُ العِشقِ التَّسلِيمُ.

فَقُلتُ: لَقَد رَفَضتُ عُرُوضَ عَمَلٍ كَثِيرَةٍ؛ بَل تَرَكتُ مَا أَنَا عَلَيهِ حَتَّى لَا أَبتَعِدَ عَنِ الكِتَابَةِ، إِلَى أَن طَالَنِي ضِيقٌ مَادِّيٌّ.

تَصَوَّرَ أَنِّي بِتُّ أَخشَى عَلى أَن تَرى زَوجَتِي هَذِهِ المُحادَثَةَ؛ فَأَقَعَ فِي مُشكِلَةٍ، فَهَل أحذِفُهَا ؟ فَقَد أَكثَرتُ يَا شَيخَنَا مِنَ الكَلَامِ فِي العِشقِ !

فَقَالَ: عِشقٌ بَرِيءٌ مِنَ الغَيرَةِ.

... فقلتُ في نفسي: رُبَّ غَيرةٍ أورثَتْ حَيرةً ...

المقدمة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ حَمْداً كثيراً، أنْ خَلقَ للإنسانِ عَقلاً يَستوعِبُ العِلمَ بهِ، وجَعلَ ذلكَ نِعمَةً تُمَيِّزُهُ عنْ غيرِهِ مِنَ الكائِناتِ جَميعًا، وسَخّرَ لهُ الكونَ كُلَّهُ بسَببِ ذلكَ التمييزِ، وخاطَبَهُ أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ بهَذهِ النِّعمَةِ؛ فقالَ عَزَّ مِن قائِلٍ: **أفلا تعقِلونَ** (البقرة: ٤٤)، وقالَ: **لَعلَّكُمْ تعقِلونَ** (البقرة: ٧٣)، وقالَ: **لِقَومٍ يَعقِلونَ** (البقرة: ١٦٤).

الحَمْدُ للهِ الذي بيّنَ في كِتابِهِ العَزيزِ أنَّ العِلْمَ قِسمانِ:

القِسْمُ الأوَّل: مَصْدَرُهُ مِنهُ جَلَّ شأنُهُ، جاءَ مَنصُوصًا في آياتِ الذِّكْرِ الحَكيمِ؛ كقولِهِ عَزَّ وجَلَّ: **واتّقوا اللهَ ويُعلِّمُكُمُ اللهُ** (البقرة: ٢٨٢)، فسَردَ بها وبِما تلاها أحكامَ الدِّينِ، وآدابَه، كما أوضَحَ في آياتٍ أخرى أحكامَ الإرثِ بتفصيلٍ مُحْكَمٍ.

والقِسمُ الثاني: طلبَ مِنَ النَّاسِ اكتِسابَهُ بالتَّعلُّمِ بالتَّفَكُّرِ بخَلقِهِ؛ كقولِهِ تعالى في سُورةِ الغاشِيةِ: **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾**. وهذهِ أسئِلَةٌ تستدْعِي إعمالَ العَقلِ استنباطًا واستنتاجًا. وذَكَرَ قَصَصَ الأقدَمينَ؛ لِيقْرأها الناسُ على مُكْثٍ فيأخُذُوا العِبَرَ، ويستفيدوا مِنْ دُروسِ التاريخِ؛

فيتحَاشَوا الوُقوعَ بالأخطاءِ، وترَكَ بابَ التوبَةِ مَفتوحًا – تكرّمًا منهُ – لِمَنْ أصَرّ مِنَ النَّاسِ على مُخالَفَةِ أوامِرِهِ ليكونَ تعلُّمُهُ بالمُمارَسَةِ. وتبْقى التجْرِبَةُ مَرتعًا خَصْيبًا لِكسْبِ المَعارِفِ، حيثُ خاطبَ اللهُ تعالى الإنسانَ بما يَعلمُهُ بالتجْرِبةِ؛ لِيَتبيَّنَ عَظيمَ قُدرَتِه سُبحانَهُ وتعالى، فقالَ: أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) (...) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) (سورة الواقعة)، فالزَّرْعُ الذي يَزرَعُهُ الإنسانُ حَقيقةُ خَلقُهُ مِنَ اللهِ تعالى؛ وإنَّما الإنسانُ مُجرَّدُ راعٍ لهُ، وكذلكَ الماءُ، ومَصادِرُ الطاقةِ؛ مِن نارٍ وغيرِها.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحمَّدٍ مُعلِّمِ البَشريَّةِ الحِكمَةَ والخَيرَ، فقدْ كانَ يُعلِّمُ النَّاسَ شؤونَ حياتِهم كُلِّها، ويَنظرُ في أحوالِهم بأدَبٍ رَفيعٍ، وأسلوبٍ راقٍ، وبكلامٍ جامعٍ نافعٍ، فلمْ يضْرِبْ أحَدًا، ولمْ يتلَّفْظْ بِسُوءٍ مَع أحدٍ إطلاقًا، وإنْ رأى مُقصِّرًا، أو مُذنِبًا علّمَهُ دُونَ أنْ يُهينَهُ. وكانتْ أحاديثُهُ النَّبويَّةُ سَهلةً مِنْ غيرِ تكلُّفٍ، يَفهمُها القاصي والداني، والمُتعلِّمُ والجاهِلُ، لقدْ أُوتِيَ جوامِعَ الكلِمِ فهُوَ القُدوةُ الرائدة، والأُسْوةُ الحَسَنَةُ،

جُمِعَ لهُ كمالُ الحُسْنِ والخُلقِ؛ فوصَفَهُ رَبُّه سُبْحانهُ وتعالى بأنَّهُ على خُلقٍ عَظيمٍ.

المبحث الأول
أخلاقيات البحث العلمي

إنَّ العِلمَ بلا شَكٍّ هُوَ الأداةُ التي يَبحثُ بها الإنسانُ عن الحقيقةِ، فما طَبيعةُ البَحثِ العِلميِّ؟ وما أدواتُه؟ وهلْ يجبُ على طالبِ العِلمِ – أوْ ما يُسمَّى بالباحِثِ – ما يجب أنْ يلزَمَه في طريقةِ بَحثِه عن الحَقيقةِ؟ وهل لِبناءِ المَعارفِ العِلميةِ خَصائِصُ تُميِّزُها عنْ غيرِها؟ فالعِلمُ ليسَ للمُباهاةِ.. وليسَ للمُماراةِ.. وليسَ لِتخيُّرِ المجَالِسِ.. بلْ هو أداةٌ للوُصُولِ إلى حَقيقةِ الأشياءِ، وهُوَ بِدَورِهِ يَحتاجُ لأدواتٍ للبَحثِ عنه. وهذا ما سَنُحاولُ بيانَهُ وتوضيحَهُ مِن خِلالِ مَسيرتِنا العِلميَّةِ المُتواضِعَةِ، وخِبراتِنا العَمليَّةِ؛ لِنُنيرَ دربَ سالِكي طريقِ العِلمِ لعلَّ اللهَ سُبحانَهُ وتعالى يَفتحُ على هذهِ الأجيالِ، ومَنْ سَيتلُوها رِفعَةَ هذه الأُمَّةِ التي بَدأتْ بـ (**إقرأ**) فصارتَ تُعرَفُ بأُمَّةِ اقرأ؛ فالقِراءةُ أوَّلُ العِلْمِ، والسُّؤالُ بابُهُ ودَواؤُه، قالَ عبْدُ اللهِ بنُ عبَّاس رضي الله عنهما: هلاّ سألتمْ إذا لمْ تعلمَوا؟ إنَّما دواءُ العِلمِ السِّؤالُ.

يُعبِّرُ اللُّغويونَ عنِ البَحثِ بأنَّهُ: إثارةُ الشَّيءِ، وأنْ تَسألَ عنِ الشَّيءِ وتَستخبِرَ، ويَقولونَ عنِ العِلْمِ أنَّه: يَدُلُّ على أثرٍ بالشَّيءِ يَتميَّزُ بهِ عنْ

غَيرِه، أمَّا النَّهجُ: فهُوَ الطريقُ المُستقيمُ الواضِحُ، بَينما تَعني الرِّسالةُ الانبِعاثَ والامتِدادَ، والثَّباتَ، والإصْلاحَ بينَ النَّاسِ.

بادِيء ذي بَدءٍ، لابُدَّ مِنْ بَراعَةِ استهلالٍ؛ تُبيِّن بِجلاءٍ ووُضوحٍ كيفَ كانَ الباحِثونَ ومازالوا يُعنونَ بأبحاثِهم، وكمْ بَذلُوا فيها – مَا آتاهُمُ اللّهُ تعالى مِنْ وَهْبٍ وكَسْبٍ – بِجِدٍّ واجتِهادٍ وتفَانٍ وإخلاصٍ؛ فنتاج البَحثِ من كتاب أو مقال أشبهُ بالولَدِ الرَّيحانَة، ولَطالَما شَعَرْتُ أنَّ كُلَّ كِتابٍ كتبْتهُ هُوَ فِلْذَةٌ مِنِّي، والباحِثُ يَعرِفُ ويُعَرِّفُ ببحثِه النَّفيسِ كمَا يُعرَفُ ويُعَرِّفُ بابنِه الغالي؛ فكِلاهُما عَزيزٌ وغالٍ، فهذا مِنهُ ماءٌ صافٍ صارَ بَشراً يَنبِضُ قلبُه ذِكْرًا وشُكْرًا، وينطِقُ لِسانُهُ عِلْمًا وَحِكَمًا، وَذاك مِنهُ فِقْهٌ أصيلٌ يَخْتَزِنُ شَرعًا وَفِكْرًا، وَيحكُمْ حياةً، وَيُنيرُ دَربًا؛ لِيُسْعِدَ مَخلُوقًا وَيُرضِيَ خَالِقًا، وكأنَّهُما صِنوان قَلْبٌ وصَدْرٌ؛ ينبِضَانِ بالحَرَكَةِ والبَرَكَةِ وَالحَياةِ.

والإنسَانُ العَاقِلُ يُسخِّرُ ما آتاهُ اللّهُ تعالى؛ فَيعنى بِه – تربيةً وَترقيةً، تطويراً وَتحسيناً –؛ لِيتلاءمَ معَ كُلِّ جديدٍ فيسْتوعِبَ المُستجِدَّاتِ كُلًّا في مَجالِه.

لقدْ مرَّ على بَحثِ الدُّكتوراه الذي أنجَزتُه – وللّهِ الحَمدُ – ستة عشَرين عامًا ولا يزالُ يتصِلُ بي باحِثونَ مِنْ مُختلفِ البُلدانِ؛ لِيُناقِشوني فيهِ، ويأخذوا مِنه – أو يَعتمِدوا عليه، ويُقدِّمُ بعضُهم مِنهُم إعجابَهم بهِ، بلْ إنَّ مُؤلَّفاتي التي أصدرتُها حتّى الآنَ – والتي قاربتْ الخمسة والثلاثينَ مؤلَّفًا

– أغلبُ أفكارِها قد انطلقتْ مِن بَحثِ الدكتوراه. وهذا كُلُّهُ فضلٌ مِن اللهِ تعالى. وقد تعلَّمتُ مِن الأستاذِ الدّكتورِ حمْزة حمْزة – حفظه الله تعالى – أنَّ البَحثَ لابُدَّ أنْ يَبقى جَذراً تُسقى منها السُّوقُ القويَّةُ، والأغصانُ الفتيَّةُ، والأوراقُ النضرةُ، والثِّمارُ اليانعةُ؛ فيكونَ لَها أرضًا وتكونَ هي سَماءَهُ؛ ليستفيدَ الناسُ مِن ثمراتِه الناضِجَةِ، ويتفيئوا ظلالَه الوارفةَ، ويتمتعوا بجَمالِه الأخَّاذِ؛ فيكونَ نِبراسًا يُقتَدى بِه، ويضيءَ ما حولَه مِن جَهالَةٍ وضلالٍ وظلامٍ.

وأنصحُ كُلَّ باحثٍ أنْ يبدأ في عملِه البحثيِّ أنْ تكون نيَّتُه وعملُه وجَهدُه واجتهادُه خالِصة لوجْهِ اللهِ تعالى؛ فتصبحَ أعمالُه كُلُّها عبادةً، – فلا خلاصَ إلاّ بالإخلاصِ – وعليه أنْ يسعى لانتقاءِ بَحثِه مُستشيراً ناقِداً بَصيراً، ومُستخيراً ربًّا عظيمًا؛ فعمَلُه سَيُقدِّمُه في الحياةِ إلى عالمٍ خبيرٍ، وفي الآخرةِ يُعرَضُ على خالقٍ عظيمٍ؛ فسيَسألُه عنِ النَّقيرِ، والفَتيلِ، والقِطميرِ، ومِنها عنْ عِلمِه فيما عَمِلَ بِه، فلا يَخْجَلُ مِمّا أنجزَه؛ بلْ يُقدِّمُه، وكلُّهُ أملٌ بأنْ يَقبلَهُ مِنهُ ربُّهُ؛ فهوَ ربٌّ كريمٌ لا يُخيبُ رجاءَ الطَّالبينَ.

روى أبو الدَّرداءِ حديثًا عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وصحبِه وسلّمَ خصَّ بِه العِلمَ وطَلبَتَهُ؛ فأعلى شأنَهُم، وسخَّر لهَم الكون كُلَّه، يَدعو له بالاستغفارِ، وشرَّفَهُم بإرثٍ لا يَبلى، فقالَ: "**مَنْ سَلَكَ طريقًا يَطلُبُ فيه**

عِلمًا، سَلَكَ اللهُ بهِ طريقًا مِنْ طُرقِ الجَنَّةِ، وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها رِضًا لِطالبِ العِلمِ، وإنَّ العَالِمَ لَيستغفرُ لهُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ في الأرضِ، والحيتانُ في جَوفِ الماءِ، وإنَّ فَضْلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القَمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمَنْ أخذَهُ أخَذَ بحظٍّ وافرٍ"[1].

وأقولُ لِطلَبةِ العِلمِ الأعزّاء:

أنْ تفرَّغوا للعِلمِ، وتعلَّموا، ولا تشغلنَّكُم سِفسَافُ الحياةِ ومَشاغِلُها، ولا تُضيِّعوا الوقتَ؛ وأنتُم في مراحلِ طلبِ العِلمِ واكتسَابِه، وكُلُّ مراحلِ العُمُرِ مُناسبةٌ لِطلَبِه – وإنْ كان بَينها تفاوتٌ في النشاطِ والحيويَّةِ – يقول تعالى: **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** (الحِجْر: ٩٩).

ويقولُ صلّى اللهُ عليهِ وآله وصحبِه وسلَّمَ: "**مَنهُومانِ لا يَشبَعانِ: طالبُ علمٍ، وطالبُ دُنْيا**"[2]. وقد قيلَ لِنبيِّ اللهِ عيسى عليه السَّلام: **إلى مَتى يَحسُنُ العِلمُ؟ فقالَ: ما حَسُنَتْ الحياةُ**. وقالَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ رحِمَهُ اللهُ تعالى: مع المحبَرةِ إلى المَقبَرةِ، وقيلَ لابنِ المُبارَكِ: إلى مَتى تطلُب

[1] سنن أبي داوود: ٣٦٤١

[2] صحيح الجامع الصغير: ٦٦٢٤

العِلم؟ قالَ: حتّى المَماتِ، وقالَ منصورُ بنُ مهديٍّ للمأمونِ: أيحسُنُ بالشَّيخِ أنْ يتعلَّمَ؟ فقالَ: إنْ كانَ الجهلُ يَعيبُه؛ فالتعلُّمُ يَحسُنُ بهِ. وقد قيلَ في الحِكَمِ: اطلبِ العِلمَ مِنَ المَهدِ إلى اللّحدِ.

تلازُمُ العِلمِ والحِكمَةِ

تلازمَت عِبارتا العليمِ والحكيمِ في وصفِ اللهِ تعالى ذاتِه العَليَّة، أوْ وصْفِ أنبيائِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ. فقد وردتْ عِبارة (**العليمِالحكيمِ**) أربعَ مرَّاتٍ، ووردتِ العِبارةُ (**الحكيمِالعليم**) مرَّتينِ، ووَصَفَ تعالى أنبياءَه وهم صفوةُ خَلقِه كمَالاً بعبارةِ (**حُكمًاوعِلمًا**) أربعَ مرَّاتٍ، ويُلحَظُ أنَّ كلمةَ الحِكمَةِ عندَ صَفوةِ النّاسِ (وَهُمُ الأنبياءُ) سبقتِ العِلمَ فكيفَ بمَنْ هُمْ دُونَهُم؟

والحكمةُ عبارةٌ عن معرفةِ أفضلِ الأشياءِ بأفضلِ العلومِ وأجلِّ الأشياءِ؛ لِذلِكَ كانتِ الحِكمَةُ ضابطَ العِلمِ، – فلا عِلمَ بلا ضَوابطَ – ويدُلُّ على ذلك أنّ قنبلةَ (هيروشيما) اخترعَها علماءُ لا يُشكُّ بِعلمِهِم، لكنْ أينَ الحِكمَة فيمَنْ صنَعها؟؛ حيثُ لمْ يُوجدْ ما يردع ويمنعُ من استَخدَمَها. إنّ استخدامَ العلمِ وتطبيقَه هو مِن العِلمِ أيضًا، فاستنساخُ النَّعجَةِ (دوللي) هوَ مِنَ العِلمِ؛ ولكنْ بسببِ ابتعادِه عن الحِكمَةِ، وفِقدانِه الخشيةَ مِنَ اللهِ

تعالى؛ انقلبَ العِلمُ مِعولاً هدّامًاً، والابتكارُ دَمارًا، والاختراعُ وَبالاً وخَطرًا. وكذلكَ ما يتعلَّقُ بالخلايا الجِذعيةِ؛ حيثُ بقيتْ عِلمًا ضارًّا حتّى دخلَها ضابطُ الحِكمَةِ. وتُعتبَرُ تجارِبُ شركاتِ الأدويةِ لأدويتِهِم في مرحلَةِ التجرِبةِ على سُكّانِ أفريقيا الفُقراءِ أمرًا غيرَ حكيمٍ وضارًّا بالناسِ؛ رغمَ أنّ الدّواءَ لا يكونُ إلاّ بعدَ دِراساتٍ علميةٍ، وبحوثٍ عميقةٍ، وتجارِبَ طويلَةٍ حقيقيَّةٍ.

يقولُ (د. هـآر. كرويت) في كلمةٍ ألقَاها بعدَ انتخابِه رئيسًا للمُؤتمَرِ الدّوليِّ للاتحاداتِ العِلميةِ: نحنُ ندْرِكُ على نحوٍ أوضحَ مِن أيِّ وقتٍ مضَى، أنّ المعرِفةَ ليستْ كُلّ شيءٍ، وأنّ ما نحتاجُ إليهِ هُو توافُرُ الأخلاقِ والأخوَّةِ حتّى نتجنَّبَ أنْ يُصبِحَ العِلْمُ لَعنةً علينا[1].

وذكرتِ المُدوِّنةُ الدوليةُ لآدابِ المِهَنِ الطِّبيةِ كما أقرَّتْها لأوَّلِ مَرَّةٍ الجمعيةُ العُموميةُ للاتحادِ الطِّبِّيِّ العالَمِيِّ بلندن ١٩٤٩ م[2]: لا يستطيعُ جدولُ الماءِ أنْ يعلوَ فوقَ مَنبَعِه، كذلكَ فإنَّ مجموعةً مِن قواعدِ الآدابِ المِهنيةِ لا تستطيعُ أن تُغيِّرَ مِن طباعِ رَجُلٍ ذي أخلاقٍ مُتدنِّيةٍ ... فهِيَ تستطيعُ أنْ تُوقِظَ الضَّميرَ وتُخاطِبُه، ولكنَّها لا تخلقُ ضَميرًا جديدًا.

---

[1] ديكنسون، مرجع سابق، ص ٢٥٦

[2] ديكنسون، مرجع سابق، ص ٢٥٦

إنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ حدَّدَ صلاحيَّةَ العلمِ؛ فقالَ تعالى في سُورةِ فاطِر واصفًا العُلماءَ – مِمّن تصحُّ تسميتُهم بالعُلماءِ –: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**، والخشيةُ مَردُّها المَعرفةُ؛ فالعالِمُ كلَّما تبحَّرَ في العلمِ، عَلِمَ قَدْرَ جَهْلِه؛ لذلكَ قال المولى عزَّ وَجلَّ: **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** (يوسف: ٧٦).

والفارِق بينٌ وجَليٌّ؛ بَينَ مَنْ هَذّبَ سُلُوكَهُ دِينُ الإسْلامِ، وبَينَ مَنْ أطلقَ لِنَفْسِه العَنانَ، فيرى (بيتر مدور)[1] أنّ العالِمَ رَجُلٌ ناقِدٌ، ريبيٌّ، مِن الصَّعْبِ إرضاؤهُ، يُشكِّكُ في المُعتقَداتِ السابقةِ. ونَقولُ: لابأسَ بأنَّ العالِمَ ناقِدٌ ريبيٌّ، ومِن الصَّعبِ إرضاؤهُ؛ لكنْ التشكيكُ في المُعتقَدِ السابقِ مِمّا يُدانُ بهِ (مدور)، فَدِينُ الإسلامِ لا يخضَعُ لِهذهِ النظريةِ؛ لأنَّه ثَبَتَ حتّى الآنَ دونَ تحريفٍ – وسيبْقى إلى أنْ يشاءَ اللهُ تعالى – وفيهِ الإعجازُ قائمٌ ما قامَتِ الدُّنيا، فلمّا بَرَعَ الناسُ في اللغةِ أعجزَهُم، ولمّا برَعوا في بعضِ الظواهرِ العِلميةِ أعجزَهُم، وفي هذهِ الأيَّام لمّا برَعوا في الاقتصادِ أعجزَهم؛ لِذلِكَ فالعالِمُ ناقِدٌ، وريبيٌّ مُشكِّكٌ، يَصعُبُ إرضاؤهُ؛ لأنّهُ يبحَثُ عن الحَقائقِ باستمرارٍ، فذلِكَ لا يُناقِضُ شريعةَ الإسلامِ، كما أنّ

[1] مدور، بيتر، الاستقراء والحدس في التفكير العلمي، ترجمة د. بلال الجيوسي، منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٨٢ ص ١٠

الإسلامَ يطلُبُ مِن الناسِ إعمالَ العُقولِ، والبحثَ عن الحقائِقِ، ويُساعِدُهُم في الوصولِ إليها، وعِندَما يَصِلُونَ يَجِدُونَ الحَقائِقَ راسيةً في كَلماتِ القُرآنِ الكريمِ؛ لِذلكَ توخينا بهذا المُؤلَّفِ بَيَان (البحثُ العلميُّ نظراتٌ في مَنهجِهِ ورسالتِهِ) بأنْ نعرضَها مِن وجْهةِ نَظَرٍ إسلاميةٍ دونَ إنقاصٍ للعِلمِ، ودونَ إهمالٍ لِحَقائِقِهِ.

صفات العلم الحقيقي

يقولُ الإمامُ الغزاليُّ في كتابِهِ (المُنقِذُ مِن الضَّلالِ) : "العِلمُ الحقيقيُّ يزيدُ صاحِبَه خشيةً، وَخوفًا، وَرجاءً؛ وذلك يحوْلُ بينَه وبينَ المعاصي، إلاَّ الهفواتِ التي لا ينفكُّ عنها البشرُ في الفتراتِ، وذلك لا يدلُّ على ضَعْفِ الإيمانِ؛ فالمُؤمِنُ مُفتنٌ توّابٌ، وهو بعيدٌ عنِ الإصرارِ، والإكبابِ" .

ذَكرَ ابن كثير في تفسيرِ قولِ اللهِ تعالى من سورة فاطر: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنه كلّما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

وقال ابن لهيعة، عن ابن أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئًا، وأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله.

وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجلّ.

وقال الحسن البصري: العالِمُ من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغّب الله فيه، وزهد فيما سخّط الله فيه، ثم تلا الحسن: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية.

وقال أحمد بن صالح المصري، عن ابن وهب، عن مالك قال: إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب. وقال أن معناه: أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله عز وجل، أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: "نور" يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه.

وقال سفيان الثوري، عن أبي حيان التميمي، عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله. فالعالم بالله وبأمر الله: الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عز وجلّ.

علم وعمل

تتبادل الكلمتان علم وعمل، وهما وجهان متلازمان، مواقع أحرفها؛ فالعين بعدها (لم) أو العين بعدها (مل). إنها عجائب العربية التي تعجز عنها غيرها. وأنا كمدرب بخبرة تتجاوز ٣٠ عامًا، قد امتهنت العمل من عمر الـ ١٦ في السوق، حيث كنت أساعد والدي رحمه الله وقد حصدت أثرا طيبا من ذلك.. لذلك أنا أميل لتدريب الصغار على العمل بإسناد أعمال تناسب طبيعة أجسادهم الغضة؛ فتحريك الأيدي تهذب النفس، كما لو أضفنا حصة (أعمال نجارة) للأطفال.. وإن ترك الشاب متفرغا للدراسة دون عمل لما بعد تخرجه من الجامعة يجعل عوده قاسيا.. وعندما يدخل سوق العمل دون خبرات ودون تهيئة نفسية نجده غير مستعد لتحمل مشاق العمل ويتفاجأ بما يجد عليه سوق العمل فهو يظن

أنه سيشغل مديرا عاما أو ما يشابه لأنه عاش عيشة وردية والحياة غير ذلك. لذلك نجده قد يفشل في إيجاد فرصة عمل تخصه.. بينما الشاب الذي عرف العمل في صغره ومارسه تكون فرصه أفضل بكثير بل تجده صابرا مستعدا لتحمل المشاق. لذلك الأولوية للعلم والعمل معا.. والعلم عادة يسبق العمل.. لكن لا بأس بعكس العلاقة أيضا، وهذا من واقع خبرتي.

أمَّا حالُ جميعِ الناسِ؛ فإما عالِمٌ، أوْ مُتعلِّمٌ، أمّا غيرُ ذلكَ فغيرُ محمودٍ، روى أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ عنْ رسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وصَحبِه وسلَّم قولَه: "**ألا إنَّ الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها، إلاّ ذِكْرُ اللهِ وما والاهُ، وعالمٌ، أو مُتعلمٌ**".

يُروى عنِ الخليفةِ هارون الرَّشيد قِصّةٌ مُعبِّرةٌ؛ فقدْ وجّهَ هارونُ الرّشيدُ دعوةً للإمامِ مالِكِ بنِ أنسٍ رحِمَهُ اللهُ؛ لِيُحَدِّثَه في قَصرِه، فقالَ الإمامُ: يا أميرَ المؤمنينَ؛ إنَّ العِلمَ يُؤتى وَلا يأتي. فأتاهُ هارونُ الرَّشيدُ إلى مَنزِله، فاستندَ مَعهُ على الجِدارِ، فقالَ الإمامُ: يا أميرَ المؤمنينَ؛ إنّ مِنْ إجلالِ اللهِ إجلالَ ذي الشَّيبَةِ المُسْلِمِ. فقامَ هارونُ الرَّشيد وجلسَ بينَ يدَي الإمامِ مالِكٍ. وبعدَ مُدَّةٍ قالَ الخليفةُ: يا أبا عبدِ اللهِ؛ تواضَعنا لِعلْمِكَ فانتفَعنا بهِ، وتواضعَ لنا عِلمُ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ فلمْ ننتَفِعْ به.

حقًّا؛ إنّها قُوّةُ الحُجّةِ لا حُجّةُ القُوّةِ، فهذا عَالِمٌ مُعلِّمٌ جديرٌ بالتبجيلِ والتقديرِ، وذاك حاكِمٌ مُتعلِّمٌ مُتواضعٌ مع عُلوِّ قَدرِه؛ فمَنْ تواضَعَ للهِ رَفعَهُ اللهُ.

وظائف الحياة الاجتماعية[1]

يحلو الكلام مع فخر الدين الرازي في كلامه عن وظائف الحياة الاجتماعية؛ ببيان التفاوت بين العالم والجاهل:

المقام الأول: الاهتداء إلى الشيء المقصود نواله؛

العالِم بالشيء يهتدي إلى طرقه؛ فيبلغ المقصود بيسر وفي قرب، ويعلم ما هو من العمل أولى بالإقبال عنه، وغير العالِم به يضل مسالكه ويضيّع زمانه في طلبه؛ فإما أن يخيب في سعيه وإما أن يناله بعد أن تتقاذفه الأرزاء وتنتابه النوائب وتختلط عليه الحقائق؛ فربما يتوهم أنه بلغ المقصود حتى إذا انتبه وجد نفسه في غير مراده، ومَثله قوله تعالى: **الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (النور: ٣٩)، ومن أجل هذا شاع تشبيه العلم بالنور والجهل بالظلمة.

[1] الصادق، الشيخ حسين بن محمود،(طريقك إلى الجنة)، دار الكتب العلمية ببيروت.

المقام الثاني: ناشئ عن الأول وهو مقام السلام من نوائب الخطأ ومزلات المذلات؛

العالِم يعصمه علمه من ذلك، والجاهل يريد السلامة فيقع في الهلكة، فإن الخطأ قد يوقع في الهلاك من حيث طلب الفوز، ومَثله قوله تعالى: فَمَارَبِحَتتِّجَارَتُهُمْ (البقرة: ١٦)، إذ مثَّلهم بالتاجر خرج يطلب فوائد الربح من تجارته فآب بالخسران، ولذلك يشبه سعي الجاهل بخبط العشواء، ولذلك لم يزل أهل النصح يسهلون لطلبة العلم الوسائل التي تقيهم الوقوع فيما لا طائل تحته من أعمالهم.

المقام الثالث: مقام أنس الانكشاف؛

العالِم تتميز عنده المنافع والمضار وتنكشف له الحقائق، فيكون مأنوسا بها، واثقا بصحة إدراكه، وكلما انكشفت له حقيقة كان كمن لقي أنيسا، بخلاف غير العالم بالأشياء فإنه في حيرة من أمره حين تختلط عليه المتشابهات فلا يدري ماذا يأخذ وماذا يدع، فإن اجتهد لنفسه خشي الزلل، وإن قلد خشي زلل مقلده، وهذا المعنى يدخل تحت قوله تعالى: كُلَّمَاأَضَاءَلَهُممَّشَوْافِيهِ (البقرة: ٢٠).

المقام الرابع: مقام الغنى عن الناس؛

إنه بمقدار العلم والمعلومات، وكلما ازداد علم العالم؛ قويَ غناه عن الناس في دينه ودنياه.

المقام الخامس: الالتذاذ بالمعرفة؛

حصر فخر الدين الرازي اللذة في المعارف، وهي لذة لا تقطعها الكثرة، وقد ضرب الله مثلا بالظلّ إذ قال: **وَمَايَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ** (فاطر: ١٩-٢١)؛ فإن الجلوس في الظل يلتذ به أهل البلاد الحارة.

المقام السادس: صدور الآثار النافعة في مدى العمر وهذا مما يُكسب ثناء الناس في العاجل وثواب الله في الآجل؛

وهذا مما يكسب ثناء الناس في العاجل وثواب الله في الآجل؛ فإن العالِم مصدر الإرشاد، والعلم دليل على الخير وقائد إليه قال الله تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** (فاطر: ٢٨).

والعلم على مزاولته ثواب جزيل، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده** (سنن أبي داوود).

وعلى بثه مثل ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة، من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** (صحيح النسائي).

فهذا التفاوت بين العالم والجاهل في صوره التي ذكرناها مشمول لنفي الاستواء الذي في قوله تعالى: **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** (الزمر: ٩). وتتشعب من هذه المقامات فروع جمة وهي على كثرتها تنضوي تحت معنى هذه الآية.

المبحث الثاني
مصطلحات يجب التمييز بينها

تتطوّرُ نظرةُ المجتمَعاتِ إلى العمليةِ التعليميةِ باستمرارٍ، فَحِينَ كانَ المُعلِّمُ القديرُ – سابقًا – هُو مانحُ الإجازةِ لِطُلاّبِه، تطوَّرَ الحالُ – لاحِقًا – لِيكونَ المانِحُ مُؤسَّسةً قديرةً تعملُ بأُسُسٍ مُحدَّدةٍ.

وكانتِ الدِّراسةُ حُضوريةً ثُمَّ صارت عن بُعْدٍ، وكانَ شكْلُ الدراسةِ مُتسلْسِلاً زَمنيًّا ثُمَّ صارَ مَفتوحًا. وقد جمعتْ بعضُ الجامعاتِ القديرةِ بينَ تلك التَّطوُّراتِ. فعِندَما أصابتِ المجتمعاتِ أمراضُ جنونِ البقرِ وأنفلونزا الطُّيورِ وما شابَه ذلكَ عمدتْ جامعاتٌ بريطانيةٌ إلى مُناشَدَةِ طَلَبَتِها أنْ يُتابِعوا دراساتِهم عبرَ التعليمِ الالكترونيِّ؛ لِيُقلِّلوا مِن تجمُّعاتِهم تحاشيًا لعدوى تلك الأمراضِ. وكانتِ الثانويةُ العامَّةُ شرطًا لإكمالِ الدراسةِ الجامعيةِ، فانتهَجتْ بعضُ الدولِ المُتقدِّمةُ مُعادَلةَ الخِبراتِ بشَهادةٍ ثانويةٍ، فَمَنْ عملَ عشرَ سنواتٍ مُتتاليةٍ في مهنةِ النِّجارةِ أو الحِدادةِ يُمنَحُ ثانويةً مِهنيةً، تُمكِّنُهُ مِن مُتابعةِ بعضِ الاختصاصاتِ الجامعيةِ، وهذا على سبيلِ المثالِ لا الحَصرِ.

وعُمومًا؛ تحظى كُلُّ دَرجةٍ عِلميةٍ باسمٍ يخصُّها لِتمييزِ حاملِها ومعرفةِ قُدراتِه لِتقديرِه، كدرجاتِ البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وهكذا. فكيفَ تتمايزُ هذهِ الدَّرجاتُ؟ وهل لِتمييزِ المُؤسَّساتِ التعليميةِ ومَناهِجها دورٌ في ذلكَ؟

تمييزُ الدَّرجاتِ العِلميّةِ

يُعتَبرُ الهدفُ مِنَ الحُصولِ على درجةِ **الإجازةِ العلميّةِ** (البكالوريوس أو الليسانس)؛ لاكتسابِ المعلومَةِ (تلَّقٍ وتعلُّم)، وهذا يُشابهُ إعمارَ هرمٍ بطريقةٍ ترتيبيةٍ، بينما الحصولُ على درجةِ **الأُستاذيّةِ** (الماجستير)؛ فهدفُه القُدرةُ على تطبيقِ المَعلومةِ المُكتسَبةِ (تلقينٌ وتعليمٌ)، وهذا يُشابهُ هدمَ الهرمِ المعرفيِّ الذي أَنشأتْهُ المرحلةُ السابقةُ ومِن ثَمَّ إعادةُ إعمَارِهِ بطريقةٍ كيفيّةٍ قد تختلفُ كُليًّا عمَّا سَبَقَ، وتتمُ هذهِ المرحلةُ بإشرافِ أساتذةٍ بارعينَ، وكلَّما زَادتْ براعَتُهُم ازدادَ حاملُ هذهِ الشهادةِ تمرُّسًا ومِرانًا، وأما الهَدفُ مِن الحُصولِ على دَرجةِ **الإجازةِ العالميَّةِ** (الدُّكتوراه)؛ فهِيَ القُدرةُ على ابتكارِ المَعلومةِ (إنشاءُ الأفكارِ وتطبيقُها)، وعندئذٍ يكونُ حاملُ هذهِ الشهادةِ قادراً على ترميمِ أيِّ نَقصٍ في الهرمِ المعرفيِّ، أو إنشاءِ هرمٍ جديدٍ بأسسٍ قد تخصُّه إن كانَ مُبتكِرًا مُجدِّدًا خاصةً إذا مَا بَلغَ مَرحلةَ

الاجتهادِ، فيكونُ أشبهَ بطيرٍ حُرٍّ طَليقٍ يُحلِّقُ عَاليًا كالصَقرِ. ويُلحق بالاسمِ بالانكليزية أحدُ عِبارَتينِ – بحَسبِ المَدرسةِ – أوربيةً كانتْ، أم أمريكيةً Bachelore of Arts وتُختصر بـ BA أو Bachelore of Sciense وتُختصَرُ بـ BS، والشيءُ نفسُه لِدرجةِ الماجستير.

ويُقال لأيِّ شَهادةٍ غيرِ تلكَ الشهاداتِ بأنّها شهادةٌ مِهنيةٌ Professional وتُصدِرُها هيئاتٌ مِهنيةٌ مُعتبَرةٌ؛ تمييزًا لخِبراتِ حامِلِها، فضلاً عن كفاءتِه العِلميةِ؛ فللمُحاسِبُ القانونيُّ شهادةٌ مِهنيةٌ تُصدِرُها هيئةٌ مُحاسبيةٌ عالَميةٌ، أو محليةٌ، تمنحُها لِمَنْ حَملَ شهادةً عِلميةً في المُحاسَبةِ، أو ما يُعادِلُها إضافةً للعملِ في المَجالِ المُحاسَبيِّ بشَكلٍ احترافيٍّ لِفترةٍ مِن الزَّمنِ.

وعليه؛ فإنَّ مِن يُقيّمُ السِّيَرَ الذَّاتيةَ CV يطَّلِعُ على تسلْسُلِ الشهاداتِ العِلميةِ؛ ليعلَمَ مِنها القُدراتِ العِلميةَ لحامِلِها، ثُمَّ يطَّلِعُ على الشهاداتِ المِهنيةِ ليطَّلِعَ على قُدراتِه المِهنيةِ؛ حيثُ تشهدُ لهُ هيئاتٌ مُعتبَرةٌ في ذلكَ، فالشهادةُ العِلميةُ مُؤدَّاها: أنَّ الجامِعةَ الفُلانيةَ تشهدُ بأنَّ فُلانًا حتّى تاريخِ تخَرُّجِه قد درَسَ، وتخصَّصَ في مَجال كذا، ثمَّ بَعدَ ذلك تأتي الشهاداتُ المِهنيةُ لِتكْمِلَ القِصَّةَ؛ فقد يكونُ صاحِبُ السِّيرةِ قد عمِلَ بالتخصُّصِ

ذاتِه، وقد يكونُ قد تحوَّلَ نحْوَ عمَلٍ آخرَ، فيُستفادُ مِن ذلكَ في عمليةِ اختيارِ المَواردِ البشريةِ بشكلٍ صحيحٍ، ومُناسبٍ.

ثمّ نشأتْ شهادةٌ تقعُ بينَ الشهاداتِ العِلميةِ، والشهاداتِ المِهنيةِ؛ وهِيَ الماجستير المِهنيّ أي Master of Business Administration واختصاراً هي MBA. وهي عِبارةٌ عن شهادةِ تخصُّصٍ للمِهنيينَ في إدارةِ الأعمالِ لأشخاصٍ قد تكونُ دِراستُهم في مرحلةِ الإجازةِ؛ طِبٌّ، أو صَيدلةٌ، أو هندسةٌ، أو أيُّ شيءٍ آخرُ، حيثُ يدرسُ فيها موادًا أساسيةً في مجالِ الاقتصادِ، والإدارةِ، والمُحاسَبةِ بشكلٍ مُعمَّقٍ؛ كالتسويقِ، والإدارة الماليةِ، والإدارةِ الاستراتيجيةِ، وغيرِها، وتختلف الموادُ المَدرُوسةُ بِحَسبَ رُؤيةِ الجامِعاتِ التي تمنحُها. أمّا الهدفُ مِن ذلكَ؛ فهو أنْ يكوَن ذلك المُختصُّ بالطِّبِّ – مَثلاً – مؤهَّلاً لإدارةِ المَشافي على سبيلِ المثالِ؛ فلا يكفيهِ دِراسةُ الطِّبِّ لإدارةِ المشافي لِدُخولِ اختصاصاتٍ أُخرى على طبيعةِ هذا العملِ؛ لذلك فإمّا أنْ يتعلَّمَ مِن مَصادرِ المَعرِفةِ الصحيحةِ، أو أنّه سيتعلَّمُ بالمُمارَسةِ، وهذا مُكلِفٌ ماديًّا وزَمنيًّا، والمُستثمِرونَ لا يُفضِّلُونَ المُخاطَرةَ باستثماراتِهم لِقاءَ تعيينِ شخصٍ مَعروفٍ، أو مَشهورٍ طِبِّيًّا لكنْ سِجلُّهُ الإداريُّ لا يُؤهِّلُه لِهذا الأمرِ.

وتُعتبَرُ مفاهيمُ سُوقِ العملِ نفْسُها في كُلِّ مكانٍ؛ فالسُّوقُ صارتْ سوقًا عالَميةً؛ لِذلكَ انتشرتْ هذه الشهاداتُ، وبشكلٍ واسعٍ، وصارَ الطَّلبُ عليها كبيرًا؛ بلْ صارَ لها درجاتٌ أيضًا، فَدَرجَةُ MBA تُمنَحُ لِمَنْ حمَلَ إجازةً جامعيةً، وحمَلَ شهادةَ خِبرةِ عملٍ في السُّوقِ لِمُدَّةِ ثلاثِ سنواتٍ بَعدَ دِراستِه للموادِ المُقرَّرةِ، وتقديمِه لِبحثٍ يتمُّ تقييمُه، أو مُناقشتُه، أمّا درجةُ GEMBA وهي اختصارٌ للعِبارةِ Global Excecutive Master of Business Administration أي ماجستير الإدارةِ المِهنيِّ العالَميِّ لِلتنفيذيينَ، وتُمنَحُ لِمَنْ حَمَلَ شهادةً جامعيةً، وحمَلَ شهادةَ خِبرةِ عملٍ في السُّوقِ لِمدَّةِ خمسِ سنواتٍ بَعدَ دِراستِه للموادِ المُقرَّرةِ، وتقديمِه لِبحثٍ يتمُّ تقييمُه، أو مُناقشتُه، وهي مُوجَّهةٌ لِمُديري الإداراتِ الوُسطى والعُليا. ثمَّ وُجِدتْ شهادةُ دكتوراه تنفيذيةٌ في إدارةِ الأعمالِ DBA، وهي اختصارٌ للعِبارةِ Doctorate of Business Administration، وتُمنَحُ لِمَنْ حمَلَ ماجستير مِهنيّ، وحضّرَ بحثًا مُتخصِّصًا في مَجالٍ تنفيذيٍّ إداريٍّ. وبسبب مَا أحدثهُ هذا التغييرُ في نمَطِ الدراسةِ، وقَبولِه الواسعِ في السُّوقِ تمّ إحداثُ شهادةٍ مُصغَّرةٍ للماجستير المِهنيِّ في الإدارةِ سُمِّيتْ mini MBA وتُمنَحُ لِمَنْ دَرسَ

خمسَ موادٍ مِن المواد المُقرَّرة – دونَ حاجةٍ لتقديمِ بحثٍ – ولا يلزمُ أنْ يسبِقَها شهادةٌ جامعيةٌ، والهدفُ منها؛ سدُّ بعضِ النقصِ الحاصِلِ في مُستوياتِ بعضِ المِهنيينَ الذينَ لمْ يحظَوا بإكمالِ دِراساتِهم العِلمية، رغمَ تَميُّزِهم بالأداءِ، ونجاحِهم بالعملِ بشكلٍ واضحٍ.

والماجستيرُ المِهنيُّ تطلبهُ أسواقُ العملِ، وصار شيئًا مَعروفًا للجميعِ؛ حيثُ ترمِّمُ هذه الدرجةُ أساسياتِ الإدارةِ لِغيرِ المُختصِّينَ بِعلومِ الإدارةِ؛ لِيصبحَ لديهِمُ القُدرةُ على مُمارسةِ الإدارةِ؛ فالأطبَّاءُ يَحتاجُونَها لِمُمارَسةِ إدارة المشافي، والمُهندِسونَ يحتاجونَها لإدارةِ المشاريعِ وهكذا.

أمّا الماجستيرُ العِلميُّ؛ فهو مَطلوبٌ في سُوقِ العملِ، إنّما للأعمالِ الأكثرِ خُصوصيةً؛ لِتوجُّهِه الدقيقِ، وبِه يُمكِنُ إكمالُ دكتوراه اختصاصية؛ فالطبيبُ الذي دَرَسَ بكالوريوس في الطِّبِّ مُؤهَّلٌ لِيُكمِلَ دِراستَهُ العِلميةَ بماجستيرٍ عِلميٍّ، ومِن ثَمّ دكتوراه علميةٍ، ولا يَصحُّ هذا الترتيبُ لِغيرِه، وكذلك المُهندِسُ، والاقتصاديُّ، والمُحامي، وغيرهُم.

ويُقالُ لِمَنْ مازالَ في مرحلَتَي الماجستير، والدكتوراه؛ أنّهُ باحثٌ حتّى ينالَ لقبَ الدُّكتوراه (العالمِيَّة).

لَقَد كانَ المُعلِّمُ أو الأستاذُ في السابقِ يُجيزُ طالبَه بإجازةٍ يمنحُه إيّاها، ولو مُشافَهةً؛ للسّماحِ لهُ بالتَّحوُّلِ نحْوَ التطبيقِ وتعليمِ الآخَرِينَ (للمزيد انظر الملحق أ: الإسناد والإجازة).

أمّا اليومَ، فقدْ صارَ ذلك عمَلاً مؤسَّسيًا؛ تتبنّاهُ مؤسَّساتٌ عِلميّةٌ، تُسمى مَدارسَ أو جامعاتٍ، تُرخِّصُها هيئاتٌ إداريةٌ؛ تكونُ مسؤولةً عنْ قطاعِ التربيةِ والتعليمِ؛ لِيُضفِيَ على منحِ الدّرجاتِ العِلميَّةِ مسؤوليةً تخضعُ لشكلٍ من أشكالِ مُحاسَبةِ المسؤولية، قال تعالى: **وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** (الصَّافَّاتْ: ٢٤).

وقدْ تتدخَّلُ هيئاتٌ إداريَّةٌ؛ كالوزاراتِ في بعضِ البُلدانِ، أو هيئاتٌ عِلميّةٌ يقومُ عليها صفوةُ العُلماءِ؛ كوزارة التَّعليمِ العالي في بلدٍ مُعيَّنٍ (وطنيَّةٍ)، أو هيئاتٌ على مُستوى العالَم؛ إذا لم يقتصِرْ نشاطُها على حدودٍ جُغرافيَّةٍ مُعيَّنةٍ (عالَميَّةٍ).

وعمومًا، يمكِنُ التمييزُ بينَ مُصطلَحَي (الاعترافِ) و (المُعادلَة)، سواءً كانَ ذلكَ للمؤسَّساتِ التَّعليميّةِ أو لِمناهِجِها.

تمييزُ المؤسَّسةِ التَّعليميَّةِ

يحصلُ الاعترافُ عندَ مُصادَقةِ جهةٍ حُكوميّةٍ تُمثِّلُ الدَّولة الصّادرةَ منها الشّهادةُ العلميَّةُ، ومِنْ ثمَّ جهةٍ حُكوميّةٍ تُمثِّلُ دَولَةً أُخرى؛ فعَلى سبيلِ المثالِ، لا الحَصر؛ إنْ أصدرَتْ جامعةُ (س) المُرخَّصةُ في دولةِ (الولاياتِ المُتّحِدَةِ الأمريكيةِ) شهادةً لِطالبٍ درَسَ لديها، فإنّ تصديقَ الجامعةِ لِشهادةِ الخرِّيجِ – وُصولاً إلى تصديقاتِ وزارةِ الخارجيَّةِ الأمريكيَّةِ – يجعَلُ منها شهادةً قابلَةً للتصديقِ من دُولٍ أُخرى، قدْ يرغبُ الخرِّيجُ التَّصديقَ منها، وبمُجرَّدِ تصديقِ قُنصليَّةِ الدَّولةِ الأُخرى؛ فإنّها (أي الدَّولةُ الأُخرى) قد اعترَفتْ بشهادةِ جامعةِ (س) . وعُمومًا ما يكونُ **الاعترافُ** بالجهةِ العلميّةِ مأذُونًا به – سواءٌ من قِبَلِ الدَّولةِ، أو الجهةِ المسؤولةِ عنِ التعليمِ العالي في بلدِها – هو أساسَ الاعترافِ بِها .

أمّا **المُعادَلَةُ**؛ فَيُنظَرُ إليها على مُستَوَيَينِ اثنينِ : ففي الدُّولِ التي تُسيطِرُ فيها وزاراتُ التعليمِ العالي على التعليمِ العالي؛ يُفترَضُ أن يتوجَّهَ الخرِّيجُ بشَهادتِه إلى وزارةِ التعليمِ العالي، في الدَّولةِ التي سَيعمَلُ فيها؛ لِيحصلَ على معادلَةِ شهادتِه، فإنْ تمَّ ذلكَ صارتِ الشهادةُ مُعادلَةً في تلكَ الدَّولةِ .

ويحتاجُ الخرِّيجُ معادلةَ شهادتِه؛ عندما يتوجَّهُ إلى العَملِ لدى جِهاتٍ تتطلَّبُ ذلكَ – كالتدريسِ في الجامعاتِ أو العَملِ في بعضِ القطاعاتِ العامَّةِ – أمّا العملُ في القطاعِ الخاصِّ فعادةً لا يتطلبُ مُعادلةً؛ بلْ يُكتفَى

بالاِعترافِ، وأحيانًا لا يُتطلبُ كليهِما؛ لأنّ القطاعَ الخاصَّ يهتمُّ بالخِبراتِ والشّهاداتِ المِهنيةِ الداعِمَةِ للشّهادةِ العِلميّةِ التي يحمِلُها بِشَكلٍ أكبرَ.

أمّا بالنِّسبةِ للدُّولِ التي لا تُسيطِرُ فيها وزاراتُ التَّعليمِ العالي على التَّعليمِ فيها؛ فيكونُ شأنُ المُعادلَةِ مَرهونًا بمجلسِ الجامعةِ، التي تُصبِحُ بمُجرَّدِ ترخيصِها كِيانًا مُستقِلاًّ، وتكونُ مَرجِعيَّتُها في سَنِّ القوانينِ التي تخصُّها مَنوطًا بمجلسِ أُمنائِها ومجلسِ جامِعَتِها.

وبعيداً عن سيطَرةِ وزاراتِ التعليمِ العالي الوطنيةِ، فإنّ تصنيفًا عالَمِيًّا يجرى سنويًا للجامعاتِ والكُلِّيات؛ فيرتِّبُها حسبَ مستوياتِها الأكاديميَّةِ بمعيارِ جَودةِ تعليمِها، أو بمستوى ما تُقدِّمُه مِن بحوثٍ عِلميَّةٍ باستخدامِ مجموعةٍ مِن الوسائلِ الإحصائيَّةِ. ويُعتبَر تصنيفُ شنغهاي العالَميّ للجامِعاتِ الذي يُرتِّبُ أوَّلَ ٥٠٠ جامعةٍ الأكثر شُهْرَةً في العالَم، يليه تصنيفُ مجلَّةِ التايمز للتَّعليمِ العالي الذي يُرتِّبُ أوّلَ ١٠٠ جامعةٍ في العالَم، وهُناكَ تصنيفٌ يَعتمدُ على تقييمِ المواقعِ الالكترونيَّةِ وقياسِ أدائِها، وهوَ تصنيفُ الويبومتركس Webometrics الذي يُرتِّبُ ١٩٤٠٠ جامعةٍ ومعهدٍ حَوْلَ العالَم، وهُناكَ تصنيفاتٌ عالَمِيَّةٌ، ومَحلِّيةٍ أُخرى.

كما تتمايزُ الجامِعاتُ بعضُها عن بعضٍ بانتسابِها لهيئاتٍ عالَمِيَّةٍ مُعتبَرةٍ، والتي تتطلَّبُ عادةً شروطًا يجبُ أنْ تُحقِّقَها الجامعةُ حتّى تُقبَلَ عُضويَّتُها، ومِن تلكَ الهيئاتِ: اتِّحادُ الجامعاتِ العربيةِ، واتِّحادُ جامعاتِ العالَمِ الإسلاميِّ، واتِّحادُ الجامعاتِ الأمريكيةِ CHEA وغيرُها، ويُعبَّرُ عن ذلكَ بالاعتماديةِ Accreditiation.

كما أنّ العلاقاتِ الأكاديميةَ التي تجُريها الجامِعاتُ مع زميلاتِها لها الأثرُ الكبيرُ في تمَيُّزِها كالاتفاقياتِ العِلميةِ، واتفاقياتِ التوأمةِ.

ويا للأسفِ تقومُ – أحيانًا – العلاقاتُ السِّياسيَّةُ[1] بلَعبِ دورٍ في بعضِ البلدانِ التي تَصنَّفُ بغيرِ المُتقدِّمةِ، حيثُ تبتعدُ عن الموضوعيَّةِ، والحِيادِ العِلميِّ في قَبولِ، ورفضِ جامعاتٍ ومعاهدَ مُعتبَرةٍ في دُولِها، ومُرخَّصةٍ مِن وزاراتِ التعليمِ العالي فيها.

وهناكَ دولٌ تَشترِطُ شُروطًا شكليَّةً يُمكِنُ تحقيقُها بسهولةٍ.

[1] هناك جامعات خاصة لبنانية مرخصة من التعليم العالي اللبناني؛ تعترف بها وزارة التعليم العالي في إحدى الدول العربية لانسجامها من مفاهيمها السياسية، بينما لا تعترف بغيرها لابتعادها عن تلك المفاهيم. وبالعكس تعترف وزارة التعليم العالي في بلد عربي آخر بتلك الجامعة المرفوضة في الحالة الأولى ولا تعترف بالجامعة التي اعترفت بها للسبب ذاته من وجهة النظر السياسية المقابلة. وهذا يحرج الدارسين إذا لم يكونوا مراعين لهذه الاختلافات حال توجههم للعمل في تلك الدول.

كما تقومُ بعضُ وزاراتِ التعليمِ العالي في بعضِ الدولِ بطلبِ مُعادلةِ شهاداتِ جامعاتِها عندَ رغبةِ حاملِ الشَّهادةِ للعملِ في سِلْكِ التَّدريسِ الجامعيِّ؛ فيُطلَبُ مِن حامِلِ درجةِ الدكتوراه، أو الماجستير الذي تّخرَّجَ في جامعاتِها أنْ يقومَ بتقديمِ ثبوتياتٍ كثيرةٍ؛ كشهاداتِ الدكتوراه، والماجستير حتّى شهادةِ الإعداديةِ؛ لُمعادَلَتِها في وزارةِ التعليمِ العالي التي أصدرتْها أصلاً، وهذا غريبٌ؛ لِما في تلكَ الإجراءاتِ مِن عدمِ المَنطقيةِ والتخبُّطِ.

ولابد من اعتبار التغيرات التقنية التي أقحمت نفسها في المجالات كلها، حيث تعمل الشبكة الوطنية للبحوث والتعليم في اليونان[1] على مشروع تجريبي لبحث وتطوير آليات التحقق من شهادات الطلاب؛ بهدف التأكد من أن الخريج لديه درجة جامعية؛ حيث يحق لصاحب العمل التحقق من أن الشهادة رسمية دون الحاجة للاتصال بالجامعة؛ لذلك فإن وضع الوثائق والسجلات على البلوكشين يلغي فرص الاحتيال. وكان معهد ماساشوستس للتكنولوجيا قد أعلن عن مشروعه التجريبي الخاص للتحقق من الشهادات رقميًا باستخدام البلوكشين.

[1] Bitcoin Magazine: Link

ولابُدَّ من الإشَارةِ إلى الشَّكلِ الذي وَضعناهُ على صفحَةِ الغِلافِ، وهو عِبارةٌ عن إحصائيةٍ لمنظمةِ التعاونِ الإسلاميِّ؛ تُبينُ مَدى اهتمامِ الدولِ الإسلاميَّةِ بالإنفَاقِ على البَحثِ العلميِّ؛ حيثُ صُنِّفت الدولُ إلى دولٍ مُستقرةٍ في إنفاقها، ودولٍ الاهتمامُ فيها مُتزايدٌ وأُخرى مُتناقصٌ، ومَن لم يُذكَر في الشكلِ فَلَيس لديها أَدنى اِهتمام في ذلكَ. وتَعودُ الإحصائيَّة إلى عام ٢٠٠٧م، أما النسب الموضحة فيها؛ فتمثلُ نِسبًا من الناتجِ القوميِّ للدولِ المَذكورةِ.

ومما يُؤسفُ له مَا كشفهُ المديرُ العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في ١٢-٩-٢٠١٧، بأنَّ مُعدل الإنفاق على البحث العلمي في غالبية الدول الأعضاء بمنظمة التعاون الإسلامي لا يتجاوز ١٪.

تمييزُ المناهجِ التعليميةِ

تلجأُ وزاراتُ التعليمِ المُسيطرةُ على تمييزِ مناهجِ مُؤسَّساتِها التعليميةِ؛ فتطلبُ منها مَلءَ نماذجَ مُعيَّنةٍ، تُوصّفُ مناهجُها لتقييمِها وإجازتِها، أمَّا عالَميًا؛ فهُناك مؤسَّساتٌ دَوليةٌ تُقدِّم هذهِ الخِدمةَ بالطَّريقةِ نفْسِها تقريبًا. مِثالُ ذلك:

جامعة XXX كلية XXX

مواصفات المقرر : XXX

البرنامج أو البرامج التي يُقدَّم مِن خلالِها المُقرَّر : برنامج XXX

المُقرَّرُ يمثل عنصرا رئيساً أو ثانويا بالنسبة للبرامج : XXX

القِسمُ العِلميُّ المسؤولُ عن البرنامج : قسم : XXX

القِسمُ العِلميُّ المسؤولُ عن تدريسِ المُقرَّر : قسم : XXX

السَّنةُ الدِّراسيةُ / المستوى : XXX

تاريخُ اعتمادِ توصيفِ البرنامج : XXX

(أ) البيانات الأساسية :

العنوان : XXX XXX XXXXXX الكود : XXX

الساعاتُ المُعتمَدَة : XXX ساعات .

المُحاضَرَة : XXX ساعة الدروس العلمية : XXX ساعة

ساعات الإرشاد الأكاديمي : XXX ساعة المجموع : XXX ساعة

(ب) البياناتُ المِهنيَّةُ

١) الأهدافُ العامّة للمُقرَّرِ :

٢) النتائجُ التعليميةُ المُستهْدَفةُ للمُقرَّر :

– الفَهمُ والمَعرِفةُ :

– المهاراتُ الذِّهنيةُ :

– المهاراتُ المهنيةُ والعمليةُ :

– المهاراتُ العامَّةُ والمنقولةُ :

٣) المحتوَياتُ (الموضوعُ، الساعاتِ، محاضرةٌ، ساعاتُ إرشادٍ، دروسٌ /عملية)

٤) أساليبُ التعليمِ والتعلُّمِ

٥) أساليبُ تقييمِ الطَّلَبةِ

جدولُ التقييمِ

التقييم ١ الأسبوعُ مُستمِرٌ

التقييم ٢ كل أسبوعين

	النسبةُ المئويةُ لكُلِّ تقييمٍ
امتحانُ نصفِ العام / الفصلُ الدراسيُّ الأوّلُ	٪XX
امتحانُ نِهايةِ العام / الفصلُ الدراسيُّ الثاني	٪XX
الامتحانُ الشفويُّ	٪XX
الامتحانُ العمليُّ	٪XX
أعمالُ السَّنَة / الفصلُ الدراسيُّ	٪XX
أنواعُ التقييمِ الأُخرى	٪XX
المجموعُ	٪١٠٠

٦) قائمةُ المراجع:

٧) الإمكاناتُ المطلوبةُ للتعليمِ والتعلُّم

مُنسِّقُ المُقرَّر: رئيسُ القِسْم

أمّا فوائدُ التمييزِ عُمومًا، فهِيَ عديدةٌ، ومِن ذلك:

- أنّه على مُستوى المُجتمعِ الإنسانيِّ؛ يرقى الناسُ في ظِلالِ العِلمِ الحقيقيِّ، وينعكسُ ذلكَ على إسعادِهِم في حياتِهم المادِّيةِ والمَعنويةِ على حَدٍّ سَواء.
- دعمُ مسيرةِ العملِ الجامعيِّ؛ سواءً للمؤسَّسةِ التعليمية، أو للطَّالبِ الذي سيدْرُسُ فيها، فإذا رَغِبَ الخرِّيجُ أنْ يُكْمِلَ دراساتِه العُليا في جامعاتٍ غيرِ التي تخرَّجَ فيها؛ ليكسبَ مَزيداً مِن الاحتكاكِ العلميِّ والتلاقحِ الثقافيِّ فيسْبر مَعارِفَه ويَصقُلُها. لكنْ إذا كانتْ جامعَتُه التي تخرَّجَ فيها مُميَّزةً، أو مَناهِجُها مُميَّزةً مِن جِهاتٍ مَعروفةٍ ومُستقِلَّةٍ؛ يَسّر ذلك عليه القَبولَ في الجامِعاتِ الأُخرى، وإلاّ فقَدْ لا يُقبَلُ، أو يتمُّ

تحميلُه موادًا إضافيةً، أو يُطلَبُ مِنهُ دَعمُ ما كسبَهُ بامتحانٍ خاصٍّ مُكمِّلٍ؛ ففي الجامِعاتِ التي تُدرِّسُ بالانكليزية يُقدِّمُ امتحانَ GMAT أي The Graduate Management Admission Test والذي يهدفُ لتقييمِ مهاراتِ التحليلِ، والكتابةِ، واللفظِ، ومهاراتِ القراءةِ باللغةِ الإنجليزيةِ، أو امتحانَ تقييمِ الخرِّيجينَ GRE أي Graduate Record Examinations، أو غيره، وفي تركيا لابُدَّ مِن اجتيازِ امتحان (يوس – Yös) أي امتحانِ الطُّلابِ الأجانبِ Yabancı uyruklu Öğrenci Sınavı وهكذا.

لِذلكَ كُلِّه، يجب على المُؤسَّساتِ التعليميةِ أنْ تهتمَّ بأبحاثِ خرِّيجيها؛ لِما لِذلكَ مِن أهميةٍ كبيرةٍ على مُستقبَلِها، ولِما لها مِن دَورٍ في مَنحِها مزايا تنافسيةً واضحةً، ومِن جِهةٍ أُخرى على الخرِّيجينَ الاهتمامُ بِجِدَّةِ أبحاثِهم، وتفوّقِهم بِها؛ لِما فِيها مِن دورٍ في مَنحِهم فُرصًا تنافسيةً عن غيرهم مِنْ حَمَلةِ الدَّرجاتِ العِلميةِ؛ فضلاً عن نيلِ جامعاتِهم السُمْعَةَ الحَسَنةِ، واكتسابِها وِسامَ الفَخارِ، وتُحقِّقُ لها القيمةَ المُضافةَ.

المبحث الثالث
منهج البحث العلمي ومصادر المعرفة[1]

إنَّ المشاكلَ المعرفيّةَ التي يَفرِضُها مَجالٌ من مَجالاتِ المعرفةِ هي التي تُحدِّدُ طبيعةَ المنهجِ، وإنَّ اختلافَ تلكَ المشاكلِ المعرفيّةِ التي يُواجِهُهَا الباحثُ في مجالٍ دونَ آخرَ هُو الذي يُمَيِّزُ هذا المجالَ، ويُوحِي بشخصيتِهِ المُستقلةِ، ويُحدِّدُ طبيعةَ مَنهَجِه[2].

وبسببِ ارتباطِ المنهجِ الوثيقِ بالمشكلاتِ العمليِّةِ التي تُقدّمها مَادةُ البحثِ، فإنَّهُ يُعتبرُ مُتطوراً بينَ مَرحلةٍ وأُخرى مِن مَراحلِ التطورِ العمليِّ؛ لذلكَ يُمثلُ المنهجُ مادةَ بحثٍ مستمرٍ. فالمشاكلُ العمليَّةُ تختلفُ بين مَرحلةٍ وأخرى مِن تَطورِ مراحلِ العِلم الناجِمَةِ أساساً عن تَطورِ الحاجاتِ الاجتماعيةِ التي يَليها ذلكَ العِلمُ[3].

إنَّ كَونَ المنهجِ مادةَ بحثٍ مستمرٍ يُناسبُ المناهجَ التجريبيَّةِ؛ لكنَّهُ لا يَعني بالضرورةِ صِحَّةَ تَصويرِهِ للمشكلاتِ العمليَّةِ بإطلاقِهِ دُون ضَابطٍ واضحٍ

---

[1] قنطقجي، د. سامر، دور الحضارة الإسلامية في تطوير الفكر المحاسبي، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، دار الرسالة ناشرون، ٢٠٠٣.

[2] Edward, Paul, The Encyclopedia of Philosophy, The MacMillan Co. & The Free Press, New York, 1967 Vol. 1, p. 339.

[3] القاضي، د. حسين، نظرية المحاسبة، منشورات جامعة دمشق ١٩٨١

لهُ؛ ففي ذلكَ مصلحةٌ (برغماتية) مُفرطةٌ؛ فربَّما يأتي البحثُ العلميُّ بأدواتٍ قاتلةٍ للناسِ، ومسيئةٍ لهم، كما ذَكرْنَا عن قُنبلةِ هيرُوشيما، أو الأدويةِ التي يتمُ تجرِبَتُها على الناسِ في أفريقيَّةَ وغيرِها؛ لذلك فالقولُ بأنَّ المُشكلاتِ العمليَّةَ هيَ التي تَرسُمُ حُدودَ المنهجِ، وتُحددُ إطارَهُ هو كلامٌ قاصرٌ لا يُعبِّرُ عن حقيقةِ المنهجِ العلميِّ.

إنَّ لِكُلِّ مُجتمَعٍ مَدرَسَتُهُ الفكريَّةُ التي ينهَلُ منها، ويُحَدِّدُ سُلوكَهُ بناءً على مَفاهيمِها، ومبادئها، ويتميّزُ المَنهجُ الإسلاميُّ باستقلاليَّتِه عن غيرِه، يقولُ تعالى: **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** (المائدة: ٤٨). كما يتميَّزُ بشُموليَّتِه ونُظُمِه؛ فهو لا يترُكُ العَنانَ لإيجادِ واقعٍ عمليٍّ مَفروضٍ، ثمَّ يعمَدُ إلى تأصيلِ هذا الواقعِ، وضَبْطِهِ ضِمْنَ مَنْهَجِه؛ بلْ يرسُمُ إطاراً مَنهجيًّا عامًّا مُتناغِمًا لِكُلِ واقعٍ ومُحتملاً؛ فالمُجتمعُ الإسلاميُّ يستمِدُّ تشريعَه من مَصدرَينِ أصلَينِ؛ هُما القُرآنُ الكريمُ، والسُّنَّةُ الشريفةُ. يلتزِمُ بهِما، ولا يَسمَحُ بخَرْقِهما؛ فهُما أساسا ثوابتِ الأُمَّةِ المُسلِمَةِ، ومَصدَرا التشريعِ لدَيها، وتُعتبَرُ مُخالَفَتهُما نِفاقًا، وشِركًا، وإلحاداً؛ لكنَّهُما بخُطوطِهما العريضةِ يسمَحانِ بمُرونةٍ تتيحُ للتطبيقِ العمليِّ آفاقًا واسعةً.

فما مصادرُ المعرفةِ الإسلاميةِ؟ وما طُرقُ البَحثِ المُتَّبَعةِ؟ وما الثوابتُ؟ وما المُتغيِّراتُ في الشريعةِ الإسلاميةِ؟ وُصولاً إلى تحديدِ المَنهجِ الرَّشيدِ.

مَصادرُ المَعرفةِ الإسلاميةِ وطُرُقُ البَحثِ

لقدْ خلقَ اللهُ تعالى الإنسانَ، وأسكنَهُ الأرضَ لِعبادتِه، قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾** (الذاريات).

والمَعرفةُ هي سبيلُ تحقيقِ هذه الغايةِ، وهي المرحلةُ الأُولى للعِلمِ، ولا تتمُّ إلاّ بأدواتٍ خاصَّةٍ؛ كالعقلِ، والحَواسِّ؛ فالعقلُ بذاكرتِه، وما زوّده اللهُ به مِن خصائصَ؛ هو المحرِّكُ، والباعِثُ لِعمليةِ التفكيرِ التي سُتميَّز بها المَعارفُ، إلاّ أنّ العقلَ، وأدواتِه مُنقطعانِ عن مُحيطِه، ولنْ يتلَّمَسَ ما حولَه دونَ حواسٍّ تنقلُ له ما يَجري خارِجَه؛ فالسَّمْعُ، والبَصَرُ، واللمْسُ، والشَّمُّ، والذَّوقُ كُلُّها حواسٌّ موصولةٌ بالدِّماغِ بأعصابٍ مُعقَّدةِ التركيبِ؛ مَهمَتُها نقلُ البياناتِ إلى العقلِ، أو الدِّماغِ الذي هوَ مَصدَرُ التفكيرِ، والذَّكاءِ، والذَّاكرةِ، والإدراك. وبتفاعُلِ البياناتِ المُدْخَلَةِ مع مَحفوظاتِ الذاكرةِ، وطِبقًا لإدراكِه، ودَرجةِ ذكائِه سَتتشكَّلُ المَعرفةُ. وبمُرورِ الوقتِ تزدادُ المَعارِفُ وتتراكمُ؛ فمِنها ما يبقى في الصُّدورِ، ومِنها ما يُنقلُ إلى

السُّطور؛ وستكونُ المَعارفُ المَخطوطةُ على الورَقِ، أو المَحفوظةُ بأيِّ وسيلةٍ أُخرى مُتاحةً للعقلِ ينهَلُ منها متى شاءَ.

وبِناءً على ذلكَ، إذا قلنا للوهْلَةِ الأُولى أنّ الكونَ المَحسوسَ هوَ مَصدَرُ المعرفةِ؛ لَتساوى بذلكَ الإنسانُ والحيوانُ؛ لاشتراكِهما بالحواسِ المَذكورةِ، وبما أنّ اللهَ تعالى ميّزَ الإنسانَ وكَرَّمَهُ بالعقلِ؛ فإنّ التفكيرَ، والاستنباطَ هُما أداتانِ مُساعِدتانِ في عمليةِ تحليلِ البياناتِ الواردَةِ، وللوصولِ إلى قراراتٍ ذكيَّةٍ؛ سواءً اكتفى العقلُ بالاستقراءِ والتجربةِ، أمْ أدخلَ القياسَ، وأعمَلَ الفِكْرَ بالاستنتاجِ.

لذلك قال الحكيمُ التِّرمذيّ[1]: إنّ اللهَ وَضَعَ في القلبِ المعرفة، وفي الصَّدرِ عِلْم المعرفةِ، وفي الرأسِ عقْلَ المعرفة، وفي الناصيةِ المقدورَ، وجعلَ الذّهْن والفهْمَ والفِطنة من جُنودِ العَقل، ووَضَعَ في النفْسِ الشهوةَ وجعلَ قايدَها وسائِقَها الهَوى؛ فمَن عرفَ هذا وعملَ به فقَد أصابَ رأسَ الحبلِ الذي يُؤدِّيه إلى اللهِ وانكشفَ له الغِطاء عندَ الداءِ.

لكنَّ الكونَ المحسوسَ هوَ مَصدَرٌ ثانويٌّ للمَعرفةِ، وهو مَخلوقٌ من قِبَلِ خالِقٍ مُبْدِعٍ خبيرٍ عليمٍ. مِن هُنا نستنتجُ أنّ المَصدَرَ الأساسَ، أو الأوَّليَّ للمَعرفةِ هو اللهُ تعالى: **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** (البقرة: ٣١)، **وَاللَّهُ**

[1] الترمذي، أبي عبد الله محمد بن علي بن حسن الحكيم الترمذي، كتاب ختم الأولياء، تحقيق عثمان اسماعيل يحيى، ص ٥٧، المطبعة الكاثولوكية ببيروت ١٩٤٦.

أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل : ٧٨)، ثمّ أرسلَ رُسُلَهُ إلى الناسِ؛ لِتهديهم إليهِ سُبحانَه وتعالى : وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (الشورى : ٥١).

لِذلكَ فإنَّ مَصادرَ المَعرفةِ الإسلاميةِ، هي :

١- **القُرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ والشَّريفةُ** : وهما صُلَبُ العِلمِ، قال تعالى : مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ (الأنعام : ٣٨)، وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ (الروم : ٥٨)، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (الحشر : ٧).

٢- **الكونُ المَحسوسُ** : وهو مُلَحُ العِلمِ، وقد ورَدتْ آياتٌ كثيرةٌ في سُوَرِ القُرآنِ الكريمِ تشيرُ إلى ذلكَ قال تعالى : قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (يونس : ١٠١)، لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (الجاثية : ٥)، لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الجاثية : ١٣)، لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا (الأعراف : ١٧٩)، لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (النحل : ١٣).

ويَتميَّزُ القرآنُ الكريمُ بالشُّموليَّةِ؛ فهو ليسَ كتابًا يُعالِجُ عِلمًا مُحدَّدًا؛ "فجميعُ العُلومِ غيرُ مَوجودَةٍ في القرآنِ الكريمِ بالتصريحِ، ولكنْ موجودةٌ فيه بالقوَّةِ؛ لِما فيهِ مِنَ المَوازينِ القِسطِ التي تفتحُ أبوابَ الحِكمةِ التي لا نِهايةَ لها"[1]، بلْ هُوَ يحوي تشريعَ اللهِ لِعبادِه في هذه الحياةِ الدنيا؛ فالشريعةُ الإسلاميةُ تدعو لِتحقيقِ مَصلحةِ العِبادِ، ودَرءِ المَفاسدِ عنهُم، وبذلك يقولُ الشاطِبيُّ رحِمهُ اللهُ (ت ٧٩٠ هـ = ١٣٨٨ م): إنّ وضْعَ الشرائعِ إنّما هُوَ لِمَصالِحِ العِباد في العاجِلِ والآجِلِ معًا[2].

والمَصادِرُ الأصليَّةُ في التَّشريعِ الإسلاميِّ هِيَ كُلٌّ مِن:

القُرآنُ الكريمُ: وهو كلامُ اللهِ تعالى الذي أنزلَهُ على رَسُولِهِ مُحمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وصَحبِهِ وسلّمَ بواسطةِ الوحيِ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ قالَ تعالى: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** (النحل: ٨٩). وَروى عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قائلاً: **إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: "أمَا إنّها سَتكُونُ فِتنَةٌ. قُلتُ: فمَا المَخْرَجُ مِنها يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: كِتابُ اللهِ فِيهِ نبأُ مَا قَبلَكُمْ، وخَبَرُ**

---

1 الغزالي، أبي حامد، القسطاس المستقيم، تحقيق محمود بيجو، المطبعة العلمية بدمشق، ١٩٩٣، ٨٥ صفحة.

2 الشاطبي، أبي إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية بلبنان، ١١٧١ صفحة، مجلد ١ جزء ٢ ص ٦

ما بَعدَكُمْ، وحُكْمُ ما بَينَكُم. هو الفَصْلُ ليسَ بالهَزْلِ؛ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللّٰهُ، ومَن ابْتغَى الهُدى في غَيرِهِ أضَلَّهُ اللّٰهُ تعالى، وهُوَ حَبْلُ اللّٰهِ المَتِين، وهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وهُوَ الصِّراطُ المُستَقِيمُ، وهُوَ الذي لا تَزيغُ بِهِ الأهْواءُ، ولا تَلتَبِسُ بِهِ الألْسِنَةُ، ولا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَماءُ، ولا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ، ولا تَنقَضي عَجائِبُهُ. وهُوَ الذي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إذْ سَمِعَتْهُ حتّى قالوا: إِنَّاسَمِعْنَاقُرْآنًاعَجَبًا(١)يَهْدِيإِلَىالرُّشْدِفَآمَنَّابِهِ (الجن)، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، ومَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَنْ دَعا إليه هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ"[1].

السُّنَّةُ النَّبويِّةُ الشَّريفةُ: وهِي ما صَدَرَ عَن النَّبيِّ صلَّى اللّٰهُ عليهِ وآلهِ وصَحبِهِ وسَلَّمَ مِنْ قَولٍ، أو فِعْلٍ، أو تَقريرٍ، دَلَّ على ذلكَ قولُهُ تعالى: وَأَطِيعُواااللَّهَوَالرَّسُولَلَعَلَّكُمْتُرْحَمُونَ (آل عمران: ١٣٢) وقولهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَلْيَحْذَرِالَّذِينَيُخَالِفُونَعَنْأَمْرِهِأَنتُصِيبَهُمْفِتْنَةٌأَوْيُصِيبَهُمْعَذَابٌأَلِيمٌ (النور: ٦٣) وقولهِ سُبْحانَهُ وتعالى: وَمَاآتَاكُمُالرَّسُولُفَخُذُوهُوَمَانَهَاكُمْعَنْهُفَانتَهُوا (الحشر: ٧)، وقولِهِ صَلّى اللّٰهُ عليهِ وآلهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ:

[1] سنن الترمذي: ٢٨٣١

"عَليكُمْ بِما عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيين عَضُّوا عَليها بالنَّواجِذِ"[1].

الإجْماعُ: وهُوَ اتِّفاقُ المجْتَهِدِينَ في كُلِّ عَصرٍ على مَسألَةٍ لَيسَ فيها نَصٌّ صَريحٌ مِنَ الكِتابِ، ولا مِنَ السُّنَّةِ الشَّريفةِ، وفي ذلِكَ قولُه تعالى: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** (النساء: ٥٩). وقدْ طُبِّقَ الإجْماعُ في مَواقِفَ كَثيرةٍ؛ كإجماعِ المُسلِمينَ على جَمْعِ القُرآنِ الكَريمِ، وعلى مُحارَبَةِ مانِعي الزَّكاةِ، وفي تَحْديدِ وَزْنِ الدِّرْهَمِ والدِّينارِ كما ذَكَرَ ابنُ خُلدونَ رحِمَهُ اللهُ تعالى.

وأمّا المَصادِرُ التَّبعيَّةُ في التشريعِ الإسْلامِيِّ فهِيَ كُلٌّ مِنَ:

القِياسُ: وهُوَ المَصْدَرُ الذي يَعتَمِدُ العَقلَ ويَبني عليه أحكامَهُ، وهُوَ فَرْعٌ مِنَ الأدلَّةِ الثلاثةِ السَّابِقَةِ لأنَّهُ يَفتَقِرُ إلى واحِدٍ منها[2]. أوْ هُوَ إلحاقُ مَسألَةٍ ليسَ فيها نَصٌّ في الحُكْمِ بِمَسألَةٍ فيها نَصٌّ يَجْمَعُ بَينَهما العِلّةُ[3]؛ كَتحْريمِ المَشروباتِ المُسْكِرَةِ – القَديمَةِ مِنها والحَديثَةِ – قِياسًا على الخَمْرِ؛ لاتِّفاقِهِما

---

[1] سنن ابن ماجه: ٤٣

[2] خروفة، علاء الدين، فلسفة التشريع الإسلامي، سلسلة محاضرات العلماء البارزين، منشورات البنك الإسلامي للتنمية، ص ٤٣.

[3] خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، الدار المتحدة بدمشق، ١٩٥٦، ص.٥٢

في عِلَّةٍ واحِدَةٍ؛ وهي الإِسْكارُ. ويَدُلُّ على القياسِ والاجتهاد قَولُ النَّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وصَحبِهِ وسلَّمَ لِمُعاذٍ رضِيَ اللهُ عَنهُ لَمّا بَعثَهُ إلى اليَمنِ: "**بِمَ تقْضي إذا عَرَضَ بِكَ قَضاءٌ؟ قالَ: أقضي بِكتابِ اللهِ، قالَ: فإِنْ لَمْ تجِدْ في كِتابِ اللهِ؟ قالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، قالَ: فإِنْ لَمْ تجِدْ في سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، ولا في كِتابِ اللهِ؟ قالَ: أجْتَهِدُ رأيي ولا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على صَدْرِ مُعاذٍ بِيَدِهِ، وقالَ: الحَمْدُ للهِ الذي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِما يُرضي اللهَ ورَسُولَهُ**"[1].

الاسْتِحْسَانُ: وهُوَ عُدُولُ المجْتَهِدِ عَنْ مُقْتَضى قِياسٍ جَليٍّ إلى مُقْتَضى قِياسٍ خَفيٍّ، أو عَنْ حُكْمٍ كُلِّيٍّ إلى حُكْمٍ اسْتِثْنائيٍّ لِدليلٍ انْقَدَحَ في عَقْلِهِ رَجَّحَ لَديهِ هذا العُدُولَ[2]. ومِثالُ ذلكَ أنَّ الشَّارِعَ الحَكيمَ نَهى عنْ بَيعِ المَعدُومِ، والتَّعاقُدِ عليهِ؛ ولَكِنَّهُ رَخّصَ اسْتِحسانا في السَّلَمِ، والإِجارَةِ، والمُزارعَةِ، والمُساقاةِ، والاسْتِصْناعِ؛ وَهِيَ عُقودٌ كُلُّها.

المَصالِحُ المُرسَلَةُ: وهِيَ التي لَمْ يَشْرَعِ الشَّارِعُ حُكْمًا لِتحْقِيقِها، ولَمْ يدل دليلٌ شرعِيٌّ على إلغائِها، وقد سُمِّيَتْ مُرسَلَةً؛ لأنَّها لَمْ تُقيَّد بدليلِ

[1] مسند أحمد: ٢١٠٠٠

[2] خلاف، مرجع سابق، ص ٧٩.

اعْتِبارٍ أو إلغاءٍ[1]. وتفصيلُ ذلكَ أنَّ الحَوادثَ تَسْتَجِدُّ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ (زمكانيّ) وأنَّ نُصُوصَ الشريعةِ الغرَّاءِ لا تَستوعِبُ كلَّ ما يَحدُثُ "فالنُّصوصُ المُتناهِيَةُ لا تَستوعِبُ الوقائعَ غيرَ المُتناهيةِ[2]، وأنَّ اللهَ أرادَ لِهذهِ الشَّريعةِ أنْ تكونَ صالحةً لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، فلا بُدَّ إذنْ مِنْ إيجادِ أحكامٍ شَرعِيّةٍ لِتلكَ الأحداثِ والمُستَجِدَّاتِ تَدورُ في فَلَكِ النُّصوصِ، ولا تَخْرُجُ عن أهدافِها؛ وإلاّ كانتْ تلكَ الأحكامُ غيرَ شَرعِيَّةٍ، ولا مُسْتَساغَةٍ. ومثالُ المصالحِ المُعتَبرَةِ حِفْظُ المَالِ، وقدْ شرَعَ اللهُ لِتَحقيقِ هذهِ المَصلَحةِ تَحريمَ السَّرِقَةِ، وقَطْعَ يدِ السَّارِقِ والسَّارِقَةِ، وتحريمَ المَيْسِرِ والرِّبا، ووُجوبِ الضَّمانِ على مُتْلِفِ مالِ الآخَرِ. أمّا المَصالِحُ المُلغاةُ؛ كمَصلَحَةِ المُرابي في زيادةِ أموالِه عن طريقِ الرِّبا؛ فالأدِلَّةُ كثيرةٌ على حُرمَةِ الرِّبا، منها قولُه تعالى: **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** (البقرة: ٢٧٥). يقولُ العزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ سُلطانُ العُلماءِ (ت ٦٦٠ هـ-١٢٦٢م): الشَّريعةُ كُلُّها مَصالِحُ؛ إمَّا درءُ مَفاسِدَ، أو جَلْبُ مَصالِح[3].

---

[1] خلاف، مرجع سابق ص ٨٤.

[2] الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ٥.

[3] خروفة، مرجع سابق ص ٥٨ نقلا عن قواعد الأحكام ١/٢٩.

سَدُّ الذَّرائِعِ: وهِيَ عِبارَةٌ عَن أمْرٍ غَيرِ ممْنوعٍ لِنَفْسِهِ يُخافُ مِن ارتِكابِهِ الوقوعُ في المَمْنوعِ[1]؛ كَقولِ النَّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "**لا تجُوزُ شَهادَةُ خَصْمٍ، ولا ظِنِّينٍ**"[2]، وقولِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "**لا يَحْتَكِرُ إلاّ خاطِئٌ**"[3]، فالاحْتِكارُ ذَريعَةٌ للتَّضْييقِ على النّاسِ؛ وبالتالي فالاستيرادُ واجِبٌ في الضَّائِقاتِ؛ كَقولِه صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "**الجَالِبُ مَرْزُوقٌ، والمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ**"[4].

العُرفُ: وهُوَ ما تعارَفَ عليهِ الناسُ مِنْ قولٍ أو فِعْلٍ دُونَ أنْ يُعارِضَ نَصًّا صَريحًا، ولِذَلِكَ قِيلَ: المَعْرُوفُ عُرفًا كالمَشْرُوطِ شَرطًا، والعادَةُ شَرِيْعَةٌ مُحَكَّمَةٌ.

شَرْعُ مَنْ قَبْلَنا: إنَّ أصلَ الشَّرائِعِ السَّماويةِ كافَّةً واحِدٌ وكُلُّها عن اللهِ تعالى. لِذَلِكَ فَقَد اتَّفَقَ الفُقهاءُ جَميعًا على حُجِّيَّةِ شَرْعِ مَنْ قَبْلَنا؛ فَيَحِقُّ لنا ما لَمْ يَرِدْ في شَرْعِنا ما يَنْسَخُهُ. ولَمْ يُخالِفْ هذا الرّأيَ إلاّ قليلٌ[5]، قال

---

[1] خروفة، مرجع سابق ص ٦٧

[2] موطأ مالك: ١٢٠٨

[3] مسند أحمد: ٢٥٩٨٨

[4] سنن ابن ماجه: ٢١٤٤

[5] خروفة، مرجع سابق ص ٧٩.

تعالى: يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواكُتِبَعَلَيْكُمُالصِّيَامُكَمَاكُتِبَعَلَىالَّذِينَمِن قَبْلِكُمْلَعَلَّكُمْتَتَّقُونَ (البقرة: ١٨٣).

قَولُ الصَّحابيِّ: الصَّحابيُّ هوَ الذي التقَى رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وآمَنَ بِهِ؛ كالخُلفاءِ الرَّاشِدينَ، وعبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ، وعبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ، وغيرِهِم رَضِيَ اللهُ عنهُم[1]؛ لِذَلِكَ فإنَّه يُعتبَرُ حُجَّةً:

١- قولُ الصَّحابيِّ في المسألةِ التي لا تُدْرَكُ بالرَّأيِ والاجْتِهادِ.

٢- قولُ الصَّحابيِّ الذي حَصَلَ عليه الإجْماعُ. كما لا يُعتبَرُ قولُ الصَّحابيِّ حُجَّةً على غيرِه مِن الصَّحابةِ إذا كانَ اجْتِهاداً، ولِكُلِّ مُجْتَهِدٍ نَصيبٌ مِنَ الأجْرِ.

الاسْتِصْحابُ: وهُوَ الحُكْمُ على الشيءِ بالحالِ التي كانَ عليها مِنْ قَبْلُ[2]، أو هُوَ اسْتِدامَةُ إثباتِ ما كان ثابتًا على ما كان، أو نفيُ ما كان مَنْفِيًّا، وقدْ دَلّ على العَملِ بالاسْتِصْحابِ:

١- الشَّريعةُ: فَقَدْ ثَبَتَ بالاسْتِقراءِ أنّ أحكامَ الشريعةِ تبْقى على ما هِيَ عليهِ حتّى يَثْبُتَ دليلٌ على عكسِها.

---

[1] خروفة، مرجع سابق ص ٨١.

[2] خلاف، مرجع سابق، ص ٩١.

٢– العَقلُ: فليسَ لأحدٍ أنْ يدَّعي أنّ فُلانًا مُباحٌ دَمُهُ لارْتِدادِهِ؛ إلاّ إذا قامَ الدليلُ على رِدَّتِهِ؛ لأنّ الأصلَ حُرمةُ دَمِ المُسْلِمِ[1]. ومِنَ القواعدِ التي تفرَّعتْ عن الاستصحابِ: أنّ ما ثَبَتَ بِيَقينٍ لا يَزولُ إلاّ بِيَقينٍ مِثلِهِ، وأنّ ما يَثْبُتُ حِلُّهُ لا يَحْرُمُ إلاّ بِدليلٍ مُغيِّرٍ، أو بأمْرٍ يُغيِّرُ صِفاتِهِ، وأنّ كُلَّ ما لَمْ يَقُمْ عليهِ دليلٌ شرعيٌّ يبْقى على حُكْمِ الأصلِ. لِذَلِكَ نقولُ أنّ المُتَّهَمَ بَريءٌ حتّى تَثْبُتَ إدانَتُهُ، أو أنّ العَقْدَ شَريعةُ المُتعاقِدَينِ أو المُتعاقِدِينَ؛ لأنّ الأصلَ إباحةُ العُقودِ مالمْ تُخالِفْ حُكْمًا شَرعيًا.

نَستنتِجُ مِمَا سَبَقَ أنّ القُرآنَ الكريمَ، والسُّنَّةَ النَّبويَّةَ الشَّريفةَ، والإجْماعَ تُعتبَرُ مَصادِرَ ثابِتةً للتّشريعِ، وللمَعرِفةِ الإسلاميةِ. أمّا المَصادِرُ الأُخْرى فهِيَ فَرْعٌ تَستَقي مِنَ الثَّوابتِ؛ فالقِياسُ، والاسْتِحْسانُ والمَصالِحُ المُرسَلَةِ، وسَدُّ الذَّرائعِ هيَ مَجالٌ فسيحٌ لإعمالِ العقلِ بالاستنتاجِ، أمّا العُرْفُ، وشَرْعُ مَن قَبْلَنا، وقولُ الصحابيِّ، والاستِصحابُ؛ فهِيَ تَسمحُ بالاستقراءِ؛ أي قِراءةِ الوقائعِ التاريخيةِ، واسْتِخلاصِ ما هُوَ مُفيدٌ مِنها؛ فالمَعارفِ والعُلوم مِلْكٌ للبشريةِ جَمعاءَ.

[1] خروفة، مرجع سابق ص ٨٣

الثوابتُ والمُتغيِّراتُ في الشريعةِ الإسلاميةِ

الإسلامُ خاتمُ الأديانِ، وناسخُ ما كان قَبْلَهُ منها قال تعالى: **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** (آل عمران: ١٩)، وقالَ سُبْحانَهُ: **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (آل عمران: ٨٥)، وقالَ جَلَّ شأنُهُ: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** (المائدة: ٣)، والشريعةُ في اللُّغةِ هيَ الطريقُ الذي يُتوصلُ منهُ إلى الماءِ، والشريعةُ ما شَرَعَ اللهُ لعبادِهِ من الدِّينِ، وقد شَرَعَ لَهُمْ يُشَرِّعُ لَهُمْ شَرعًا أيّ سَنّ[1]. والشريعةَ هي المَنْهَلُ العَذْبُ سَهْلُ الشُّرْبِ؛ فهيَ شريعةٌ سَهلَةٌ مُيَسَّرَةٌ؛ كالماءِ الزُّلالِ؛ صَفاءً، ورِقَّةً، وعُذوبَةً، ورَواءً.

وبما أنّ الكونَ المحَسوسَ الذي نعيشُ فيهِ ينقسمُ إلى ثوابتَ؛ كَدَورانِ الأرضِ حولَ الشمسِ، ودَورانِ القمرِ حولَ الأرضِ، وتعاقُبِ الليلِ والنهارِ، واختلافِ الفصولِ، وإلى مُتغيِّراتٍ؛ كتَحوُّلِ الجُزُرِ إلى بَرارٍ بانحسارِ الماءِ عنها، أو برارٍ تَغمُرُها المياهُ، واصْفِرارِ الأوراقِ الخَضراءِ، وموتِ أشخاصٍ، وَولادةِ آخرينَ، وتَبَدُّلِ الخلايا والأنْسجَةِ. ولا يَخرُجُ الإنسانُ عنْ غيرِهِ من الكائناتِ فَلدَيهِ ثوابتُ؛ فهُو يأكُلُ ويَشرَبُ، ولهُ غرائزُ فُطِرَ عليها لا

[1] القرطبي، تفسير القرطبي، الجزء ٦، ص ١٣٧.

تُفارِقُهُ، ومُتغيِّراتٌ؛ فَمِزاجُهُ في تقلُّبٍ مُستمِرٍّ، وكذا سُلُوكُهُ، ولِباسُهُ، ووسائلُ انتقالِه.

ولّما كانت الشريعةَ الإسلاميةَ تَهدُفُ إلى تحقيقِ مصالِحِ الناسِ، وتستطيعُ أنْ تحَكُمَهُم في كُلِّ زمانٍ؛ فهِي الطريقُ التي تُوصِلُهُم إلى النَّجاةِ، فكانتْ كما أرادَها اللّهُ تعالى مِنها الثابتُ ومِنها المُتغيِّرُ: "**إنّ اللّهَ حَدَّ حُدُوداً فلا تَعْتَدُوها، وفَرَضَ فَرائِضَ فلا تُضيِّعُوها، وتَرَكَ أشْياءَ رَحْمَةً بِكُمْ فلا تَبْحَثوا عَنها**"[1]. فالثابتُ هوَ ما نَصَّ عليهِ الشَّرعُ في كِتابِ اللّهِ، وسُنَّةِ رَسُولِه، وما أجْمَعَ عليهِ المُسلِمُونَ، والمُتغيِّراتُ تَكْمُنُ فيما سَكَتَ عنهُ الشرعُ للاجْتِهادِ في أحوالِ البَشرِ، ويَتغيَّرُ الاجتهادُ بِتغيُّرِ الأحوالِ ضِمْنَ نِطاقِ الثابتِ دُوْنَ مُخالَفَتِه؛ فلا يَتجاوَزُهُ، ولا يُغيِّرُهُ، ولا يُعطِّلُهُ، ولا يَسْتَبْدِلُهُ، يَدلُّ على ذلكَ حديثُ رَسُولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ: "**الحَلالُ ما أحلَّ اللّهُ في كِتابِهِ، والحَرامُ ما حَرَّمَ اللّهُ في كِتابِهِ، وما سَكَتَ عَنْهُ؛ فَهُوَ مِمّا عَفا عَنْهُ**"[2]. ولو أرادَ اللّهُ أنْ يُلْغِيَ دَوْرَ الإنسانِ؛ لأنْزلَ آياتٍ مُحْكَماتٍ تُبيِّنُ كُلَّ شيءٍ وانتهى، لَكِنَّ اللّهَ قالَ: **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي**

---

[1] رواه الدار قطني وحسنه النووي في الأربعين.

[2] سنن ابن ماجه: ٣٣٥٨

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (آل عمران : ٧) . وقد ذَكَرَ الإمامُ الطَّبَريُّ في تفسيرِها قائلاً : المُحْكَماتُ : فإنَّهُنَ اللواتي قَدْ أُحْكِمْنَ بالبَيانِ والتَّفْصيلِ، وأُثْبِتَتْ حُجَجُهُنَّ وأدِلَّتَهُنَ على ماجُعِلْنَ أدِلَّةً عليهِ؛ مِنْ حَلالٍ وحَرامٍ، ووَعْدٍ ووَعِيدٍ، وثوابٍ وعِقابٍ، وأمرٍ وزَجْرٍ، وخَبَرٍ ومَثَلٍ، وعِظَةٍ وعِبَرٍ وما أشْبَهَ ذلكَ . ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثناؤهُ هذهِ الآياتِ بأنَّهُنَ أُمُّ الكِتابِ يعني بذَلِكَ أنَّهُنَ أصلُ الكتابِ الذي فيهِ عِمادِ الدِّين، والفَرائضِ والحُدودِ وسائرِ ما يَحتاجُ إليهِ الخَلْقُ مِن أمْرِ دِينِهِمْ وما كُلِّفُوا مِن الفَرائضِ في عاجِلِهِم وآجِلِهِم، وقالَ آخرونَ : المُحْكَماتُ مِن آيِ الكِتابِ ما لَمْ يَحتَمِلْ مِنَ التأويلِ غَيرَ وَجْهٍ واحِدٍ، والمُتشابِهُ مِنْهُ : ما احتملَ التأويلُ أوْجُهًا[1] . فالآيةُ توضحُ المجالَ الثابتَ والمُتغيِّرَ. فالجزءُ الثابتُ هُوَ مَنطقةٌ مُحدَّدةٌ لا مجالَ فيها للاجتهادِ، فيها النصوصُ مُحْكَمَةٌ قَطعيَّةُ الثُّبوتِ وقَطْعِيَّةُ الدِّلالةِ ولا مجالَ للاجتهادِ وهِيَ مَنطِقةٌ صَغيرةٌ لكِنّها مُهِمَّةٌ جِدًّا تُمثِّلُ الثوابتَ الفِكريةَ والشُّعوريةَ والعَمليةَ للأُمَّةِ وتجعلُ مِنها أُمَّةً واحِدَةً في الاتِّجاهِ والغايةِ والفِكْرَةِ[2] وبِها

[1] تفسير القرطبي

[2] القرضاوي، يوسف، دور الأخلاق والقيم في الاقتصاد الإسلامي، ص.٢١٢

تتوحَّدُ الأُمَّةُ وتتجسد شخصيَّتُها وتتجلّى. فَلِكُلِّ أُمَّةٍ ثوابتُ لا تَسمحُ لأحدٍ بِمَساسِها فَضلاً عن اختراقِها وبِها يُحافظُ المُسلِمُ على أُصولِه وقِيَمِه. أمّا الجُزءُ المُتغيِّرُ فهُوَ مَنطِقَةٌ مَفتوحةٌ فِيها الظَّنِّيَّاتُ التي تجعلُ بابَ الاجتهادِ غيرَ مُغْلَقٍ؛ فلا يَجْرُؤ أحَدٌ أو يستطيعُ أنْ يُغلِقَ بابًا فَتَحَهُ اللّهُ الوهّابُ، وسَنَّهُ رَسُولُهُ الخاتمُ مُحَمَّدٌ صلّى اللّهُ عليهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّم ودَخَلَهُ. فالشريعةُ دُونَ اجتهادٍ تَصيرُ جامِدةً ولا تَصمدُ أمامَ تجَدُّدِ الحوادثِ وتنوُّعِ مسائلِ الحياةِ وبِهذا يبْقى المُسْلِمُ مُتطوِّرًا بِمَعارِفِه، مُبْتكِرًا في أفكارِهِ وأساليبِ حَياتِهِ. يُؤكِّدُ ذلكَ أنَّه حِينَ قَدِمَ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ المدينةَ المُنوَّرةَ وكانوا يُؤبِّرونَ النَّخْلَ – يُلَقِّحُونَه – **فَقالَ: ما تَصنعونَ؟ قالُوا: كُنا نَصْنَعُهُ. قال: لَعلَّكُمْ لو لمْ تفْعَلُوا كانَ خَيراً، فَتَركُوهُ فَنَقَصَتْ، فَذَكَروا ذَلكَ لَهُ، فَقالَ: إنَّما أنا بَشَرٌ إذا أمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ مِنْ دِيْنِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وإذا أمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ مِنْ رأيٍ فإنّما أنا بَشَرٌ**[1]. **وفي رِوايةٍ أُخرى: أنْتُمْ أعلَمُ بِأمُورِ دُنياكُمْ**[2].

والنُّصوصُ الكُلِّيَّةُ في القُرآنِ الكريمِ كالآيتين: **يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُود** (المائدة: ١)، و: **يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا إِذاتَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى**

[1] صحيح مسلم: ٤٣٥٧

[2] صحيح مسلم: ٤٣٥٨

فاكْتُبُوهُ (البقرة: ٢٨٢) لمْ تَذكُرا زَمانًا أوْ مَكانًا مُحَدَّدَينِ ولا أيَّ نوعٍ مِنَ العُقودِ، هلْ هِيَ عُقودُ شِراءٍ أمْ بَيعٍ أمْ إجارةٍ أمْ مُزارَعَةٍ أمْ زَواجٍ أمْ طَلاقٍ أمْ شَراكةٍ أمْ مُعاهَدَةٍ؟. وأُخِذَتِ القَواعدُ الكُلِّيَّةُ مِنَ النُّصوصِ الكُلِّيَّةِ؛ كـ "الأُمورِ بِمَقاصِدِها" و"الضَّرُوراتُ تُبِيْحُ المَحْظُوراتِ" لِقولِه تعالى: **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ** (البقرة: ١٧٣)، ومِنْ قولِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "**إنّما الأعْمالُ بالنِّيَّاتِ**"[1] و"**لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ**"[2] و"**المُسلمونَ عندَ شُرُوطِهِم**"[3]، وكُلُّ تَصرُّفٍ جَرَّ فَساداً أوْ دَفَعَ صَلاحًا فَهُوَ مَنهِيٌّ عَنْهُ، ودَرْءُ المَفاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المَصالِحِ. كما تَنقَسِمُ القواعدُ الكُلِّيَّةُ إلى أُخَرَ جُزْئِيَّةٍ مِثالُ ذلكَ القاعِدةُ الكُلِّيَّةُ "لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ":

- الضَّرَرُ يُزالُ أوَّلاً.
- الضَّرَرُ لا يُزالُ بِضَرَرٍ.
- الضَّرَرُ لا يُزالُ بِضَرَرٍ أكْبَرَ مِنْهُ.
- يُتَحَمَّلُ الضَّرَرُ الأدْنى لِدَفْعِ الضَّرَرِ الأعلى.
- يُفَضَّلُ – يُقَدَّمُ – الضَّرَرُ الخاصُّ لِدَفْعِ الضَّرَرِ العامِّ.

---

[1] صحيح البخاري: ١

[2] سنن ابن ماجه: ٢٣٣٢

[3] صحيح البخاري: باب أجر السمسرة

وأجمعَ الفُقهاءُ على قاعدةِ تَغيُّرِ الفَتوى بِتَغيُّرِ الزَّمانِ والمَكانِ والعُرْفِ والحَالِ وعَمِلُوا بِذَلِكَ؛ لِذا فإنّ مَنطِقةَ المُتغيِّراتِ أعطَتْ سَعَةً ومُرُونةً للشريعةِ الإسلاميةِ للتَّكيفِ مَع الوقائعِ والعُصورِ والبيئاتِ المُختلفةِ، ولا ولنْ تَضيقَ الشريعةُ بأيِّ حالٍ مِن الأحوالِ، وهِيَ – كانتْ ولا زالتْ وستَظَل – حاكِمَةً على الأزمانِ لا مَحْكُومٌ عليها قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: **ويَكونَ الدِّينُ لِلهِ**.

وتَفتحُ الآيةُ الكريمةُ: **عَلَّمَ الإنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ** (العلق: ٥) الأُفُقَ واسِعًا أمامَ الناسِ للتَّعلُّمِ والتَّطوُّرِ، ويَذْكُرُ الإمامُ القُرطُبيُّ بأنَّ المَقصودَ مِنْ عَلّمَ، أي المُستَقْبَلَ، ويُقرُّ قولُ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "**إنّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ على رأسِ كُلِّ مائةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها دِينَها**"[1] بشَرعِيَّةِ التَّجديدِ سواءً على يدِ فَردٍ أو مَجموعةِ أفرادٍ؛ كمَدرسةٍ فِكْريةٍ مَثلاً. ومِمّا يَدُلُّ على المُرونةِ أيضًا العجوزُ التي اسْتَوقَفَتِ الخليفةَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في إحْدى خُطَبِهِ ومَنَعَتْهُ مِنْ تَحديدِ المُهورِ فقالَ: "أصابَتِ امرأةٌ وأخطأَ عُمَرُ"، وتَرَكَ ذَلِكَ حَسبَ ظُروفِ كُلِّ زَمانٍ ومكانٍ. كما استندَ الخليفةُ عُمَرَ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ في عَدمِ تطبيقِ حَدِّ السَّرِقَةِ في عامِ المَجَاعةِ إلى حديثِ رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "**ادْرَؤوا الحُدودَ عَنِ المُسلِمينَ ما**

[1] سنن أبي داوود: ٣٧٤٠

اسْتَطَعْتُمْ فإنْ كانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ فَإنّ الإمامَ لأنْ يُخْطِئَ في العَفْوِ خَيرٌ مِنْ أنْ يُخْطِئَ في العُقوبَةِ"[1]، وفي روايةٍ أُخْرى: **"ادْرَؤوا الحُدودَ بالشُّبهاتِ"**، مُراعِيًا مَقاصِدَ الشريعةِ فلمْ يَقْطَعْ يَدًا سَرَقَتْ لأنّها جاعَتْ.

ولعَلَّ الحِكْمَةَ مِنَ الثوابتِ "أنْ لا تُعوَّدَ النَّفْسُ ما تَميلُ بهِ إلى الشَّرَهِ ثُمَّ يَصْعُبُ تَدارُكُها فَتعوَّدَ مِنْ أوَّلِ الأمرِ على السَّدادِ فإنَّ ذَلِكَ أهْوَنُ مِنْ أنْ تُدَرّبَ على الفَسادِ ثُمَّ يَجْتَهِدُ في إعادَتِها إلى الإصْلاحِ"[2] فلا يَنْبَغي أنْ نَتْرُكَ المُمارَسَةَ تَقودُ الفِكْرَ؛ فالضَّوابِطُ مَطلُوبَةٌ وَواجِبةٌ مِنَ البَدءِ إلى الانتهاءِ. و"كلَّما ابتعَدتِ العُلومُ والتّكنولوجيا وانفصلت عن الاعتباراتِ الأخلاقيةِ والثوابتِ المُقدَّسةِ بَدَتْ نتائجُ هذا الانفصالِ كئيبةً ومُخيفةً كَما حَصَلَ ويَحصَلُ، مَثلاً، في التَّلاعُبِ بالجِيناتِ أو في نتائجِ تلكَ الغَطْرَسَةِ العِلْمِيَّةِ؛ كقضيةِ جُنونِ البقرِ"[3].

---

[1] سنن الترمذي: ١٣٤٤

[2] القرضاوي، د. يوسف، المنتقى في الترغيب والترهيب، جزء ٢، ص ٦٠٤-٦٠٣، مطبعة دار الوفاء.

[3] من خطبة ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز بشهادته في جامعة اكسفورد عام ١٩٩٣.

المبحث الرابع
فروض منهج البحث العلمي

إذا كان المَنهَجُ هُو الطَّريقةُ المُنظِّمَةُ التي تُحدِّدُ الخُطواتِ التي يَجبُ أنْ تُتَّخذَ في نظامٍ مُعيَّنٍ مِنْ أجْلِ الوُصولِ إلى أهدافِ ذلكَ المنهَج[1]، فإنَّ الفروضَ هي مُقدماتٌ علميةٌ تتصفُ بأنّها عامةٌ تُمثلُ نتائجَ معرفيةً مقبولةً عمومًا تعملُ كأساسٍ لإطارٍ فكريٍّ يُساعدُ في بناءِ النِظامِ المعرفيِّ.

ويَختلفُ المنهجَ باختلافِ طبيعةِ المَسألةِ التي يُرادُ الوُصولُ إلى يقينٍ بِشأنِها[2]، ويُستدَلُّ مما سبق أنّ لِلمُسلِمينَ منهاجًا مُستقِلاً عنْ غيرِهم مِمّا يُوجِبُ البَحثَ عنْ هذا المَنهجِ الذي سَيُحَقِّقُ لهُمُ الغاياتِ التي أوصَاهُم بها شَرعُهُم الحَنيفُ. وينبغي ألاّ يَركَنَ المُسلِمونَ إلى ما يأتيهِمْ دُونَ نِقاشٍ، قالَ عَزَّ وَجَلَّ: **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** (هود : ١١٣)، فلا يَصحُّ أنْ يَتعارَضَ شيءٌ مع الشريعةِ الإسلاميةِ، وليسَ في ذلكَ مُصادَرةٌ لأيِّ فِكْرَةٍ؛ بلْ قَيدٌ يَجعلُها تسيرُ ضِمْنَ أُطُرٍ صَحيحةٍ لِتصِلَ شاطِئَ المَعرِفةِ بِأمانٍ دون شطط،

---

[1] القاضي، د. حسين، مرجع سابق، ص ٣١، بتصرف.

[2] البوطي، د. محمد سعيد، هذه مشكلاتهم، دار الفكر بدمشق، ص ١٢٢.

فالإسلامِ لا يحَجْرُ على الفِكْرِ الأصيلِ؛ بل يَدعو للتفكرِ والتفكيرِ للوصولِ إلى الحقيقةِ باستخدامِ الاستقراءِ، وإثارةِ التساؤلاتِ بالاستنباطِ والتجربةِ.

وتشترطُ المقدماتُ التي سيأتِي ذِكرُها للشاطبيّ ضرورةَ ارتباطِ البحوثِ النظريةِ بتطبيقاتٍ عمليةٍ مفيدةٍ تخصُّها، ولو تأخَّرَ أحدُهُما عَن الآخرِ كما هي الحالُ في الخيالِ العلميِّ.

إن الشكُ نقيضَ اليقين؛ لذلك عبَّر القرآن الكريم عن يقين المؤمنين، وشكِّ غيرِهم بعباراتٍ عديدة، نُلخِّصها بأقسامٍ ثلاثة هي: (اليقين، والظنّ، والشكّ)، ولكلٍّ منها درجاتٌ.

أولا: اليقين ودرجاته

جاء في لسان العرب أن اليَقِينُ هو (العِلْمُ وإزاحة الشكِّ وتحقيقُ الأَمر)، وهو نَقيض الشكِّ؛ فالعلم نقيضُ الجهل، وعليه يُقال: عَلِمْتُه يَقينًا. وقد جاءت كلمة اليقين لوصف إيمان المؤمنين بالغيب؛ فالإيمانُ اليقيني يكون:

– باليوم الآخر، كقوله تعالى: **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** (لقمان: ٤)،

– بالموت، كقوله تعالى: **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** (الحجر: ٩٩).

ويصل أصحاب الفكر والبصيرة الذين اهتدوا إلى درجة اليقين بملاحظة آيات الله المنتشرة من حولهم، يقول الله تعالى عنهم: **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ** (الذاريات: ٢٠).

العِلم أدنى الدرجات؛ يعلوه (عِلم اليقين)؛ ثم (عَين اليقين)؛ أمّا أعلاها فـ (حقّ اليقين)

أما الحق فهو غير اليقين؛ فهو (خالصُه وأَصَحُّه)؛ لذلك أَضاف الله تعالى الحقَّ إلى اليقين ليس إضافةَ الشيء إلى نفسه؛ بل إضافةَ البعضِ إلى الكُلِّ، يقول تعالى: **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** (التكاثر: ٣-٧).

لقد ذكرَ اللهُ تعالى في سورة الواقعة **حق اليقين** بعد أن يصل الضالُّون والمكذِّبون حميمَ الجحيم فيُكابِدُونها ويتحقَّقون منها بالمباشرة والمواقعة، قال الله تعالى: **فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ** (الواقعة: ٩٣-٩٥). أمّا **عين اليقين** فيتحقَّق بِحاسَّة البصر؛ كقوله تعالى: **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**، بينما يتحقَّق **علم اليقين** بالخبر من خلال حاسَّة السمع فيستقر في القلب ويُصدِّقه؛ كقوله تعالى: **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ**.

وعليه فلليقين ثلاثُ درجاتٍ هي:

- **حقُّ اليقين**، وهو أعلاها.

- **عَين اليقين،**

- **علم اليقين.**

واستخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم درجتَي (الشكِّ واليقين) في حديثه فقال: **إذا شكَّ أحدُكُم في صلاتِه فلم يَدرِ كَمْ صلَّى أثلاثًا أمْ أربعًا؟ فلْيَطرحِ الشكَّ ولْيَبنِ على ما استيقنَ**[1]. لذلك أرسى الأئمَّة قاعدةً كُلِّيَّة نصُّها: (اليقينُ لا يزولُ بالشَّكِّ)، وصفَها الإمام السيوطي بأنها تدخل في جميع أبواب الفقه، وأنّ المسائل المخرّجة عليها تبلغ ثلاثةَ أرباع الفِقه وأكثرَ[2].

لذلك يَستخبرُ المشركونَ في سورة يونس عن عذاب يوم القيامة، أحقٌّ هو؟: **وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** (يونس: ٥٣)، ويقول الله تعالى لرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يقول لهم: نعمْ وربِّي إنَّه لحقٌّ لا شكَّ فيه، وما أنتم بمُعجزي الله أن يَبعثكم ويُجازيكم، فأنتُم في قبضَته وسُلطانه[3]. وإنّ جواب الشكِّ الذي يدور في أذهان الكافرين وتقولُه ألسنتُهم (استنكاراً أو استهزاءً) كان جوابا قطعيًا: بأنه

---

[1] صحيح مسلم.
[2] السيوطي، الأشباه، ص ٥٦.
[3] التفسير الميسر، بتصرف.

حقٌّ لا شكَّ فيه، ويبدو أنّ مصدَر قولهم هو تمكُّنهم من الهرب (في هذه الدنيا)؛ لذلك هُم يَستنبِؤن.

وإنّ نظير هذه الآية حسبَ ابن كثير قولُه تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (التغابُن: ٧)، والزعم هو القول بالظنِّ؛ لذلك كان الجواب على ذلك الظن جوابًا قطعيًا ذلك بأنهم سيُخرجون من قبورهم أحياء، ثم سيُخبَرون بأعمالهم، وذلك على الله يسير؛ فـ(الإعادةُ أسهل من الابتداء)[1]، كما أخبرَ الله تعالى بذلك.

ثانيا: الظنُّ ودَرجاتُه

الظنُّ غير الحقِّ، وسبَبه نقصُ العِلم وضَعفه، وهو لا يصلح للاتِّباع لمن أراد أن يصل للحقيقة؛ فلو كان العلم إناءًا يَتَّسعُ لكميَّةٍ محدَّدة من سائل، فإنه كلَّما زاد العلم انخفضَ حجم الظنِّ والعكس بالعكس؛ لذلك كان قولُ الله تعالى عمَّن يتَّبع الظنَّ أنّه مَبلغُهم من العِلم، ومعنى ذلك؛ أن لو زاد عِلمهم لانخفض ظنُّهم. يقول الله تعالى: وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا

[1] تفسير القرطبي، بتصرف.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (الجن: ٢٨–٣٠).

والظنُّ مفيدٌ في البحث العلميّ؛ بل هو أهمُّ أداةٍ من أدوات تحقيقه للوصول للحقائق العلمية التي تُقارِبُ اليقينَ.

أمّا درجاتُ الظنِّ فهي:

- **غَلَبَة الظنِّ**: ويكون عندما يبتعدُ عن حدِّ الشك باتجاه اليقين؛ أيّ: نحو الأعلى.
- **الظنُّ**: ويكون عندما يُقارِبُ الشكَّ؛ أي (بين الإثبات والنفي).
- **ظن السَّوء**: الوهم، ويكون عندما يبتعدُ عن حدِّ الشكِّ باتجاه الوهَم؛ أيّ: نحو الأسفل.

الظنُّ أداةٍ من أدوات المعرفة وطُرُقِ البحث فيها[1]:

خلق اللهُ تعالى الإنس والجنَّ وأسكنهم الأرض لعبادته فقال: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (الذاريات: ٥٦). فكيف يعبدونه دون أن يعرفونه؟؛ لذلك لا بُدَّ من توافر المعرفة كوسيلةٍ للتعرُّف على آلاء الله ونَعمائه.

[1] قنطقجي، د. سامر، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، ٢٠٠٣.

فالمعرفة – كما ذكرنا – هي سبيل تحقيق الغاية التي خُلق الخَلق لأجْلها، وهي تُمثِّل المرحلة الأولى للعِلم تتمُّ بأدواتٍ كـ (العقل والحواس)، وبما أنّ الله تعالى ميّز الإنسان بـ (العقل) فإنّ التفكير والاستنباط هما أداتان مساعدتان في عملية تحليل البيانات الواردة إليه للوصول إلى قراراتٍ ذكيّة؛ سواء اكتفى العقل بالاستقراء والتجرِبة أم أدخل القياس وأعملَ الفِكر بالاستنتاج؛ لذلك فالكون المحسوس هو مصدرٌ ثانوي للمعرفة، وهو مخلوقٌ من قِبَلِ (خالقٍ مُبدِعٍ خبيرٍ عليمٍ). وهذا شأن الإنس والجن. وبما أن الله تعالى هو خالق كلِّ شيء فهو المصدر الأساسُ أو الأولي للمعرفة، وقد أعلمَنا اللهُ تعالى أنّ أوَّل مخلوقٍ على البسيطة هو آدم عليه السلام، تلقَّى العلمَ من خالقه عز وجل، وبه ميزه عن سائر المخلوقات بمَن فيهم الملائكة، يقول تعالى : **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** (البقرة : ٣١).

أمَّا عن ذُرِّيَّة آدمَ عليه السلام فهم يُولَدُونَ دون علمٍ؛ لكنَّهم يمتلكون الحواس التي بها يكتسبون العلم، يقول الله تعالى : **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (النحل : ٧٨).

ثم أرسل رُسلَه إلى الناس لتهديهم إليه، يقول الله تعالى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (الشورى: ٥١).

قسمَ الإمامُ الغَزاليُّ (ت ٥٠٥ هـ= ١١١٢ م) العِلمَ إلى: عِلمٍ يَقينيٍّ، وعِلمٍ ليسَ يَقينيًّا[1]:

علمٍ يَقينيٍّ

هُو الذي يَنكشِفُ فيه المَعلومُ انكشافًا لا يَبقى مَعهُ رَيبٌ، وليسَ فيهِ مَكانٌ للغلطِ والوَهَمِ، ولا يَتَّسِعُ القلبُ لِتقديرِ ذلكَ، وهُو ما يَرقى إلى دَرجةِ الحَقائقِ العِلميةِ. وهذا مُؤدّاهُ:

- أنّ الأمانَ مِنَ الخَطأ ينبغي أنْ يكونَ مُقارِنًا لليقينِ.
- أنّ الدليلَ ضِدَّهُ لا يُؤدِّي للشَّكّ بالمَعرِفةِ. والدَّليلُ في هذه الحالةِ قطعيٌّ أيّ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ، والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ المُطَهَّرَةِ.

وهذا القِسْمُ مِنَ المَنهَجِ ثابتٌ عَبْرَ الزّمانِ والمَكان، أوردَ الشاطبيُّ (ت ٧٩٠ هـ- ١٣٨٨ م) ثلاثَ عَشْرَةَ مُقدِّمَةً في مُوافقاتِه تُشكِّلُ مُقدِّماتِ الاستِدلالِ، وفُرُوضُ البحثِ العلميِّ[2]:

---

[1] الغزالي، أبي حامد، المنقذ من الضلال، تحقيق محمود بيجو، مطبعة الصبح بدمشق، ١٩٩٢ص ٣٢-٣٣.

[2] الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج ١، الصفحات ١٩-٧٠.

- **المُقدِّمةَ الأُولى**: أُصولُ الفقهِ قطعيَّةٌ، لا ظَنِّيَّةٌ، قالَ تعالى: **إِنَّانَحْنُ نَزَّلْنَاالذِّكْرَوَإِنَّالَهُلَحَافِظُونَ** (الحِجْر: ٩).
- **المُقدِّمةَ الثانيةَ**: الأدلَّةُ المُستعمَلةُ في أصولِ الفِقهِ قطعيةٌ، عَقليةً كانتْ أوْ عادِّيةً أو سمْعيةً.
- **المُقدِّمةَ الثالثةَ**: الأدلَّةُ السمعيةُ لا تُفيدُ القطعَ بآحادِها؛ لِتوقُّفِها على مُقدِّماتٍ ظَنِّيَّةٍ، ويَحصلُ القَطعُ إذا تكوّنَ من مَجمُوعِها ما يُشبِه التواترَ المَعنويَّ.
- **المُقدِّمةَ الرّابعةَ**: كُلُّ مَسألةٍ مَرسومةٍ في أُصولِ الفِقهِ لا يَنبني عليها فُروعٌ فِقهيةٌ، أو آدابٌ شرعِيةٌ، أو لا تكونُ عَونًا في ذلكِ؛ فوضْعُها في أصولِ الفِقهِ عاريةٌ، والذي يُوضحُ ذلكَ أنّ هذا العِلمَ لمْ يختصّ بإضافتِه إلى الفِقهِ إلاّ لِكونِه مُفيداً لهُ، ومحققا للاجتِهادِ فيهِ؛ فإذا لمْ يُفِدْ ذلكَ فليسَ بأصلٍ لهُ.
- **المُقدِّمةَ الخامِسةَ**: الاشتغالُ بالمَباحثِ النظريةِ التي ليسَ لها ثمَرةٌ عمليةٌ مَذمومٌ شرعًا؛ فكُلُّ مسألةٍ لا ينبني عليها عَمَلٌ فالخَوضُ فيها خَوضٌ فِيما لمْ يدلّ على استِحسانِه دليلٌ شرعيٌّ، وأعنِي بالعَملِ عملَ القلبِ، وعَملَ الجَوارحِ مِنْ حيثُ هو مَطلوبٌ شرعًا.

- **المُقدِّمة السادسة**: إنّ التعمُّقَ في التعاريفِ والأدلَّةِ، والبُعدَ بِهما عنْ مَدارِكِ الجُمهورِ ليسَ مِنْ هدي الرَّسولِ، ولا السَّلَفِ الصّالِح.
- **المُقدِّمة السابِعة**: العِلمُ ليسَ مَقصوداً لِذاتِه؛ بلْ للعَملِ بِهِ، حتّى العِلم باللهِ تعالى لا فَضْلَ فيهِ بدونِ العَملِ بهِ وهُو الإيمانُ.
- **المُقدِّمة الثامِنة**: العِلمُ الذي هُو العِلمُ المُعتبَرُ شرعًا، هُو العِلمُ الباعِثُ على العَملِ الذي لا يُخلِّي صاحبَهُ جاريًا معَ هَواهُ كيفما كانَ؛ بلْ هُو المُقيِّدُ لِصاحِبِهِ بمُقتضاهُ الحامِلُ لهُ على قوانينِه طوعًا، أوْ كَرهًا.
- **المُقدِّمة التاسِعة**: مِنَ العِلمِ ما هُوَ مِن صُلْبِ العِلمِ، ومِنهُ ما هُو مُلَحُ العِلمِ، ومِنهُ ما ليسَ بصُلْبِهِ ولا مُلَحِه، والأوَّلُ هو الأصلُ، والمُعتمَدُ؛ وذلكَ ما كانَ قطعيًا، أوْ راجِعًا لأصلٍ قطعيٍّ، والثاني ما لمْ يكنْ قطعيًا، ولا راجِعًا إلى أصلٍ قطعيٍّ؛ بلْ إلى ظنِّيٍّ، والثالثُ ما لمْ يرجِعْ إلى أصلٍ قطعيٍّ، ولا ظنِّيٍّ، وهذا ليسَ بعِلمٍ؛ لأنَّهُ يرجِعُ على أصلِه بالإبطالِ.
- **المُقدِّمةَ العاشِرةَ**: إذا تعارضَ النقلُ والعقلُ في المَسائلِ الشرعيةِ؛ فعلى شرطِ أنْ يتقدَّمَ النقلُ فيكونُ متبوعًا، ويتأخَّرَ العقلُ فيكونُ تابعًا؛ فلا يَسرَحُ العقلُ في مَجالِ النظرِ إلاّ بقدْرِ ما يُسرّحهُ النقلُ. ولولا ذلك لجَازَ إبطالُ الشريعةِ بالعقلِ، وهذا مُحالٌ باطلٌ. وعليهِ؛

فليسَ القياسُ مِن تصرُّفاتِ العُقولِ مَحضًا دائِمًا تصرّفت فيهِ مِن تحتِ نظرِ الأدلَّةِ، وعلى حسبِ ما أعطتهُ مِن إطلاقٍ، أو تقييدٍ.

- **المُقدِّمة الحادية عَشرَة**: المَطلوبُ مِنَ المُكلَّفِ تعلُّمُه هُو ما دلت عليهِ الأدلَّةُ الشرعيةُ.
- **المُقدِّمة الثانية عَشرَة**: مِنْ أنفعِ طُرُقِ العِلمِ المُوصِلةِ إلى غايةِ التحقُّقِ بهِ أخذهُ عنْ أهلِه المُتحقِّقينَ بهِ على الكمالِ والتمامِ ؛ فلكُلِّ علمٍ رِجالُه، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ .
- **المُقدِّمة الثالثة عشرَة**: كُلُّ مَعنىً لا يستقيمُ معَ الأصولِ الشرعيةِ، أو القواعدِ العقليةِ لا يُعتمَدُ عليهِ.

عِلمٌ ليسَ يقينيًّا

هُو ما داخَلَهُ الشَّكُّ، والشَّكُّ أو الظَّنُّ هُو بمَثابةِ أداةٍ، أو طريقةِ بَحثٍ. وهذا القِسمُ سَيُشكِّلُ مَنهجًا مُتطوِّرًا بِشكلٍ مُستمِرٍّ، وحيثُ أنّ المَنهجَ يجبُ أنْ يستوعِبَ مشاكلَ التطبيقِ العمليِّ[1]:

(١) ففي **المَنهجِ العقليِّ** – تُشكِّكُ الحَواسُّ بقدُراتِ العقلِ: والمَسائلُ التي لا تخْضَعُ للحِسِّ؛ وإنّما تدخُلُ في غيبِ الماضي السَّحيقِ، أو المُستقبَلِ البعيدِ، أو المَوجوداتِ الخَفيَّةِ عن حِسِّ الإنسانِ؛ كالرُّوحِ، والعقلِ،

[1] القاضي، مرجع سابق ص ٣١.

والمَلائكةِ... فإنَّ مَنهجَ الوُصولِ إلى اليقينِ العِلميِّ بشأنِها هو أحدُ شيئينِ:

- أوّلاً: الاعتمادُ على الخَبرِ الصَّادقِ وهُوَ الذي يَرقى إلى دَرجَةِ التواترِ والذي يكونُ مُنضبطًا بقُيودِه وشُروطِه العِلميةِ المَعرُوفةِ كيَقينِنا بِقيامِ الثورَةِ الفرنسيةِ ويَقينِنا بِوقعَةِ القادسيةِ وبوجودِ مَعالِمَ تاريخيةٍ قائِمَةٍ في مَناطِقَ نائيةٍ ما لمْ يُتَحْ لنا أنْ نراها كَتاجِ مَحلّ في الهِندِ والأهْرامات في مصرَ.
- ثانيًا: الاعتِمادُ على البُرهانِ العَقليِّ المُتمثِّلِ في قانونِ التلازُمِ وذَلكَ بأنْ نَفترِضَ أحدَ الاحتِمالاتِ بشأنِ هذهِ المَسألةِ الغَيبيةِ ثُمَّ نَتبينَ الآثارَ والمُستلْزماتِ العَقليةِ والطَّبيعيةِ التي لا بُدَّ أنْ تكونَ مَقرُونةً بهذا الاحتمالِ، فهلْ رأينا هذهِ الآثارَ مَوجودَةً بَعْدَ البَحْثِ والتَّفتيشِ؟ فالفرْضيةُ صَحيحةٌ.

والاحتِمالُ يُصبحُ حَقيقةً عِلميةً، وإنْ لمْ نَعثرْ على هذهِ الآثارِ فالفَرْضيةُ باطِلةٌ، والاحتِمالُ غيرُ واردٍ؛ وعِندَئذٍ نجَنَحُ إلى الفرْضيةِ الثانيةِ ونُفتِّشُ عن المُستلْزماتِ والآثارِ التي لابُدَّ أنْ تَتفرَّعَ عنها.

وهكذا فإنَّ دِراسةَ مَجموعِ الفرْضياتِ عن طريقِ ما يُسمّى بقانونِ

الحَصْرِ والإسقاطِ تُوصِلُ إلى اكتشافِ الحقيقةِ مِن بينِ تِلكَ الفرْضياتِ ومِنْ ثَمَّ تُوصِلُ إلى اليقينِ العِلميِّ بشأنِها[1].

(٢) أمّا المَنهجُ الحِسِّيُّ أو التجْريبيُّ – فالعَقلُ يُشكِّكُ بِقُدراتِ الحَواسِّ: فالمَنهجُ هو الاعتِمادُ على التجْربةِ الحِسِّيةِ فِعلاً ولذا يُحيلُ القُرآن الكَريمُ الإنسانَ في مَعرِفةِ قضايا الطبيعةِ وكُلِّ ما هُو مِن جِنْسِ المادَّةِ إلى هذا المَنهجِ ذاتِه دُونَ أنْ يُلقِّنَهُ أيَّ عِلْمٍ غَيبيٍّ أو إخبارٍ بشأنِها، فهُو يقولُ له مَثلاً عن الإنسانِ وتكوينِه وأجهزتِه: **وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ** (الذاريات: ٢١،) ويقولُ لهُ عن الطبيعةِ وأشيائِها المَبثوثةِ مِن حولِه: **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ** (يونس: ١٠١) دُونَ أنْ يُحرِجَهُ فَيلُومَهُ بأيِّ اعتِقادٍ في شيءٍ مِن شُؤونِهما قفزًا فوقَ المنهجِ العِلميِّ إلى ذلكَ وهُو التجْربةِ الاستِقرائيةُ والمُشاهَدةُ"[2].

[1] البوطي، مرجع سابق هذه مشكلاتهم، ص ١٢٣.

[2] البوطي، مرجع سابق هذه مشكلاتهم، ص ١٢٢.

وصَفوةُ القولِ:

إنّ قِيمةَ العِلْمِ تَكمُنُ فيما يبُثُهُ مِن الطمأنينة في العَقلِ؛ ولذا فإنّ الدَلائِلَ التي تُورِثُ الظنَّ أبعدُ ما تكونُ عن تسميَتِها عِلمًا. فإذا استقرَّ اليقينُ في العقلِ باتِّباعِ المنهجِ المَنطقيِّ العَقليِّ، فَقَدْ تَحَقَّقتْ لهُ القِيمةُ الذاتيةُ لِلعِلْمِ وتكامَلَتْ فيه كُلُّ خَصائِصِه ومَزاياه[1].

غَلبةُ الظَّنِّ:

ليس كلَّ الظَّنِّ إثمٌ؛ لِقوله تعالى: **يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوااجْتَنِبُوا كَثِيرًامِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** (الحجرات: ١٢)، كما أنّ اليقين قد لا يصل إليه جميعُ المؤمنين؛ لذلك يتدرَّج الظنُّ حتَّى بلوغه درجةً تُقارِبُ اليقينَ، فيسمَّى عِندَئذٍ بِغَالب الظَّنِّ؛ لأنه لا يصل لليقين تمامًا. فإن قُلنا: أنّ اليقين يمثِّل ١٠٠٪ فإنَّ غلبةَ الظَّنِّ دون ذلك تمامًا؛ أيّ: (أقلّ تمامًا من ١٠٠٪)؛ لذلك لا يغني الظن بدرجاته عن الحقيقة، قال تعالى: **وَمَالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** (النجم: ٢٨)، فنقص العلم حولَه إلى ظَنٍّ، فلم يَعُدْ (حقيقةً كاملة أو حقيقةً علمية راسخة)؛ لذلك هو دون اليقين تمامًا.

[1] البوطي، مرجع سابق هذه مشكلاتهم، ص ١٢٦، بتصرف..

وعليه فمَن أسلم نفسَه لله تعالى وهو في دائرة غلَبة الظنِّ، هو مقبولٌ عند الله تعالى؛ لقوله: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (البقرة: ٤٦)، فالظَّنُّ هُنا غالبٌ بأنهم سيُلاقوا ربَّهم.

وكذلك قوله تعالى: فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (البقرة: ٢٣٠)، والظَّنُّ هُنا فيه غَلَبةٌ؛ وإلاّ فما الداعي لعودتهما لحياةٍ يُشكُّ بأنها لن تستمرَ بنجاحٍ؟

ويُفيدُ الوصفُ التالي مدى اقتراب الظنِّ لدرجةٍ غالبة تُقارِبُ اليقينَ؛ فالشواهد (العَينيّةُ والحِسِّيَّةُ) أدركت الهلاكَ تماما؛ فوصفَ اللهُ حالَهم بقَوله: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (يونس: ٢٢).

ويُفيد الوصفُ التالي أنّ غلَبة ظنٍّ بعض الناس عندما يتمكَّنون بأخْذ أسباب القوَّة والقُدرة؛ كونها قُدرة غالبة، قال الله تعالى: إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (يونس: ٢٤).

وقد علَّمنا اللهُ استخدام أدواتٍ تُؤكِّد الظنونَ فتجعلها غالبةً لدرجةٍ عالية؛ كـ (التسجيل والكتابة، والشهادة، والرهن)، وطوَّر الفقهاءُ عِلمًا لم يعرفْه غيرُ المسلمين؛ ألا وهو (عِلْمُ الرِّجال)؛ فكان وسيلةَ إثباتٍ لمصدَر النصوص ولدلالاتها، أهي (صحيحةٌ يقينًا) أمْ أنها (مظنونةٌ) أم غير ذلك؟

ثبوتُ النصوصِ ودلالاتُها:

القطعُ هو العلم، وهو ما لم يتطرَّق إليه شكٌّ، ولا احتمال في خطئه أو خلافه وهو (العلم اليقينيّ)، ومِثاله الآيات القرآنية فكلُّها قطعيةُ الثبوتِ لا احتمالَ لخطأٍ في رواياتها؛ لتواترها؛ فقَد نقلَها جماعةٌ يستحيل تواطؤهم على الكذب أو الخطأ. أمّا دلالاتُها فقد تكون (ظنِّيَّة)؛ لأنّ بعضَها يحتمل أكثرَ من معنى. والظن هو احتمالٌ راجح للثِّقة فيه، فإذا ما زادت درجةُ الثقةِ يكون (ظنًّا راجحًا). أمَّا السُّنَّة الشريفة ففيها (المتواتر والآحاد)، فالواحد قد ينسَى أو يتوهَّم فيقع احتمالُ خطأٍ ولو بنسبةٍ

ضئيلة فيكون ظنًّا، فإن احتمل معنى الحديث أكثرَ من حالةٍ؛ فيكون ظنِّيًّا.

وبناءً عليه تُقسَم أنواعُ النصوصِ والأحكام إلى أربعةِ أنواعٍ؛ الأوَّل منها (قطعيٌّ)، والثلاثة الباقية (ظنِّيَّةٌ)، وهي:

- قطعي الثبوت قطعي الدِلالة، وهذا **قطعي**.
- ظنّي الثبوت قطعي الدِلالة، وهذا **ظنّي**.
- قطعي الثبوت ظني الدِلالة، وهذا **ظنّي**.
- ظنّي الثبوت ظني الدِلالة، وهذا **ظنّي**.

فـ(قطعيُّ الثبوت قطعيّ الدلالة هو اليقين)، وما أُجمع عليه من الأنواع الثلاثة الأخيرة فيكون بمثابة القطعي؛لأنّ الإجماع يُحوِّل النَّصَّ من الظنِّ إلى القطع أو غالب الظنِّ الذي يُقارِبُ اليقينَ، وفائدة هذا التقسيم أنَّ مَن أنكر القطعيَّ فقد كفرَ بما أنزل اللهُ، بينما مَن أنكر الظنِّيَّ وكان من المتأوِّلين والمجتهدِين فقد أخطأ؛ وإلاّ فهو فاسقٌ عاصٍ. وفيما يلي بيانٌ لتلك الدرجات:

قطعيُّ الثبوتِ قطعيُّ الدلالة:

هو ما يُفهَم من النصِّ ويستدلُّ منه؛ كقولِه تعالى: (أقيموا الصلاةَ) يُفهم منه وجوبُ إقامة الصلاة، ولا مجال لتفسيره بأيِّ معنىً آخرَ؛ فالدلالة التي فُهِمَتْ من هذا النصِّ قطعيةٌ لا مجال للخِلاف فيها.

أمَّا الثبوتُ فيُقْصَدُ منه طريقُ وصولِ النص إلينا؛ فالقرآن كلُّه قطعيُّ الثبوت؛ لأنه جاء عن طريق التواتر فلا مجال للطعن في صِحَّة ثبوت آياته؛ لذلك فالنَّصُّ (أقيموا الصلاة) قطعيُّ الثبوتِ قطعيُّ الدلالة.

ظنِّيُّ الثبوتِ قطعيُّ الدلالة:

هو نصُّ حديثٍ وردَ عن النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم؛ حيث دلالته (قطعيةٌ) ليس لها سِوى معنىً واحدٍ لا مجال لتفسيره بغَيره؛كقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: (**مَنْ أدركَ ركعةً مع الجماعةِ فقَد أدركَ الجماعةَ**) فلا يُخالِط فَهْمَ معناه أيُّ وَهَمٍ.

أمَّا ثبوتُ النَّصِّ عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم الذي لم يثبتْ بدليلٍ متواتر فلا نقطعُ بأنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قد نطقَ بكلِّ حَرفٍ منه؛ كأن يكون حديث آحاد فلا يصلُ في درجة ثبوته عن النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم مرتبة المتواتر، فيُقال عنه: (حديثٌ ظنِّيُّ الثبوتِ قطعيُّ الدلالة).

قطعيُّ الثبوتِ ظنِّيُّ الدلالة:

إنّ قوله تعالى: (**وامسَحُوابِرُؤوسِكُمْ**) لا يُشَكُّ في ثبوت نصِّه؛ لتواتر نقْله كما أوضحنا، بينما اُختلف في تفسيره وفهْمه؛ فهل حرفُ (الباء) في قوله تعالى: (**بِرُؤوسِكُم**) يدلُّ على التبعيض؛ أيّ: ببعض رُؤوسِكُم، أم الإلصاق، أي بجميع رُؤوسِكُم؟ لذلك هذا نصٌّ قطعيُّ الثبوت؛ لأنه ثابتٌ قطعًا، ظنِّيُّ الدلالة قد وقع الخلافُ في تفسير معناه.

ظنِّيُّ الثبوتِ ظنِّيُّ الدلالة:

هو نصُّ حديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِثاله قوله: (**البيِّعانِ بالخيارِ ما لم يتفرَّقا**)، فهذا حديثُ آحادٍ؛ لذلك هو ظنِّيُّ الثبوت، وبما أنه قد اُختلف في تفسيرِه؛ فهو ظنِّيِّ الدلالة أيضًا.

الظَّنُّ بمعنى الشَّكِّ:

إذا بلغ الظنُّ درجاتِ ثقةٍ دُنيا فيكون أقربَ للشَّكِّ؛ كقوله تعالى:

- وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (الأنعام: ١١٦).
- سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (الأنعام: ١٤٨).

- قَالَ الْمَلَإُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (الأعراف : ٦٦) .
- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (القصص : ٣٨) .
- وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (القصص : ٣٩) .
- وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (ص : ٢٧) .

ففي هذه الأمثلة بلغ الظنُّ مرتبةَ الشَّكِّ، فكان اتِّباعُ الظنِّ تقديرًا؛ أيّ: خَرْصًا دون أدلَّةٍ موضوعية، فأورث أصحابَه الرِّيبَة.

الظَّنُّ بمعنى الوهمِ؛ أو ظَنَّ السَّوءِ:

إذا بلغ الظنُّ أدنى درجاتِ الشك صار وهمًا مقاربًا للعدم، وهذا ما أسماه اللهُ تعالى بظَنِّ السَّوءِ؛ حيث يبتعد الظانُّون عن حدِّ الشَّكِّ حتَّى يتوهَّمون، كما هي حال المنافقين والمشركين يوم الحديبية، فيُعذِّبهم اللهُ تعالى بسُوءِ ظنِّهم باللهِ بأنّه لن ينصرَ نبيَّه محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم،

قال تعالى : وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ (الفتح : ٦) .

كما بلغ سوءُ ظنِّهم أنّ القتلَ مصيرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم هو ومَن معه مِن المؤمنين فيَسْتأصِلُونَهُم وينتهي أمرُهم وأمرُ دِينهم، قال تعالى واصفًا ذلك : بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا (الفتح : ١٢) .

ثالثًا : الشكُّ ودَرجاتُه

ذكرَ معجمُ المعاني الجامع أنّ (الشَّكَّ هو حالةٌ نفسيَّة يتردَّد معها الذهنُ بين الإثبات والنفي فيتوقَّف عن الحُكْم)، فيُقال : شَكٌّ، أيّ : الْتِبَاسٌ وَارْتِيَابٌ، وهذا نَقِيضُ اليَقِين . قال تعالى : فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (يونس : ٩٤)، ومعنى : لا تكونَنَّ مِن الممترِينَ؛ أيّ : لا تكونَنَّ مِن المشكِّكينَ .

وقد يقع الشَّكُّ في تطبيق الأحكام، جاء في (التفسير الميسَّر) عن عِدَّة النِّساء في قوله تعالى : وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (الطلاق : ٤)، فالمطلَّقات اللاتي انقطع عنهنَّ دمُ الحيض؛ لِكَبَر سِنِّهنَّ، قد يرتبنَ؛ أيّ: يشكُكن؛ فما الحُكْم فيهنَّ؟ إنَّ عِدَّتَهُنَّ ثلاثة أشهُر، وكذا الصغيرات اللاتي لم يَحضْن، أمّا ذواتُ الحَمْل من النساء فَعِدَّتُهُنَّ أنْ يضَعْنَ حَمْلَهنَّ.

تُقسَمُ درجاتُ الشَّكِّ إلى:

- **الرَّيب، أو رَيب المنُون، أو المِرْية.**
- **الشَّكِّ المريب.**

الرَّيب:

جاء في لسان العربِ أنّ (الرَّيْبَ والرِّيبةَ هي الشَّكُّ، والظِّنَّةُ، والتُّهْمَةُ)، وقد طلبَ اللهُ تعالى ممَّن يُشكِّكونَ في كتاب الله أن يأتوا بِسُورةٍ من مِثله، وليدعموا ذلك بمَن يشهدُ على فِعلهم إنْ كانوا صادقين، قال تعالى: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (البقرة : ٢٣). واستخدم القرآنُ الكريم كلمةَ (ريب) في مواطنَ عديدةٍ للدلالة على (الشكِّ والرِّيبة)، أو لِـ (نَفيها عن الغيبيات) التي ذكرت سابقًا؛ كقولِه تعالى لمن يُنكِرُ يوم القيامة: رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (آل عمران : ٩)، وقوله:

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (آل عمران : ٢٥) . وقوله لمن يُنكرُ الموتَ ونهايةَ الأجَل : أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا (الإسراء : ٩٩) .

والرَّيبُ يكون في (القلب)؛ وهو ما يجعل سلوكَ المرتابِ سُلوكًا مُتردِّدًا، يقول الله تعالى : إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (التوبة : ٤٥)، وقد يكبرُ حَجْمُ الرَّيب ليصبح كأنه بُنيانٌ؛ ممّا يدلُّ على أنه يتراكمُ في قلبِ المرتاب، يقول المولى عزَّ وجلّ : لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة : ١١٠) .

لقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أمِّيًّا لا يقرأُ ولا يكتب، وهذا من تدبير الله تعالى، فكان ذلك حُجَّةً على مُنكِري كتابِ الله والمشكِّكين فيه، يقول تعالى : وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (العنكبوت : ٤٨-٤٩) .

رَيبُ المَنُون:

ذكرَ القرآنُ كلمةَ المنونِ بعد الرَّيبِ؛ لتدلَّ على حَوادثِ الدَّهْرِ وَمَصائبِه – كما في معجم المعاني الجامع –، قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (الطور: ٣٠)، وحوادثُ الدهر ومصائبُه هي مخاطر تصيب الإنسانَ خلال حياته.

المِرية:

المريةُ حسب الصَّحاح في اللغة هي (الشَّكُّ)؛ كقوله تعالى: أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (فُصِّلت: ٥٤).

الشك المريب:

قد يكون الشَّكُّ مُريبًا؛ ممَّا يُصيب النفْسَ بقلقٍ يُقلِقُها ويهمّها فيُزعِجها، وقد أصاب الشَّكُّ المريب الأقوام الكافرة؛ فطريقة تفكيرهم ونهجهم واحدة، يقول الله تعالى:

- عن قوم صالحٍ عليه السلام: قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (هود: ٦٢)،
- وعن قوم موسى عليه السلام: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (هود: ١١٠)،

- وعن قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بَعدِهم : **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ** (إبراهيم : ٩) .

ويُقارِب الشَّكُّ المريب درجةَ الوهَم؛ لاقترابِه من العَدَم .

بناءً على ما سبقَ، يُمكِن تقسيم الاحتمالات إلى مجموعة أقسامٍ لكلٍّ منها درجاتُها :

درجاتُ الاحتمالات

(١) **اليقين** = **١٠٠**٪ وهو الجزم بحصول الشيء، وسُمِّي بـ **(قطعي الثبوت قطعي الدلالة)** . ودرجاتُه :

- **علمُ اليقين** : التحقُّق من معلومةٍ سُمع بها كخَبر .
- **عَينُ اليقين** : التحقُّق من المعلومة برؤيتِها بعدما سُمع بها .
- **حَقُّ اليقين** : التحقُّق من المعلومة المخبَر عنها بمعايشَتها بالمباشَرة والمواقعة .

(٢) **الظنُّ**، ودرجاتُه :

- **غالب الظَّنِّ** < **١٠٠**٪ : تكون درجةُ الظنِّ بـ (وقوع الشيء أو عدم وقوعه) بدرجةٍ تُقارِبُ اليقينَ، فإذا كان أحد المرجَّحين يطمئنُ إليه القلبُ، فهو ظنٌّ غالب يُقارِبُ منزلةَ اليقين. وهو قسمان :
  - (**ظنِّيُّ الثبوت قطعيّ الدلالة**) .
  - (**قطعيُّ الثبوت ظنِّيّ الدلالة**) .
- **الظَّنُّ** > **٥٠**٪ ، حيث يترجَّح فيه أحدُ الاحتمالَين، دون اطمئنانِ القلب للجهة الراجحة فيكون ظنًّا، ومجاله أكبرُ تمامًا من ٥٠ ٪؛ وهو ما يُسمَّى بـ (**ظنِّيِّ الثبوتِ ظنِّيِّ الدلالة**) .

(٣) **الشَّكُّ، ودَرجاتُه** :

- **الشَّكُّ أو الرَّيب أو المِرية** = **٥٠**٪ وفيه يستوي احتمالُ الـ (نعم، لا)، ويتردَّد الفعلُ بين الوقوع وعدمِه بلا مُرجِّح لأحد الاحتمالَين؛ أي : باحتمال ٥٠٪ لكلٍّ منهُما .
- **الشَّكُّ المُريب** > **٥٠**٪
- **الوَهَمُ أو المرجوح : وهو يُقارِبُ العَدم** ؛ لأنه موهومٌ؛ بسبب الجهل، وعَدم العِلم؛ لقول الله تعالى : (**مَالَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ**) وفيه

تـقعُ (الجـهالـة والـغَرر) بـدرجـاتٍ مـختلفة . ومـنه ظـنٌّ الـسَّوء أيضا .

(٤) **العَدم** = ٠ ، وهو الجزمُ بِعدَمِ حصول الشيء .

وقد وردت آية جمعت أكثرَ من عبارةٍ من عبارات الاحتمال، هي ذكرُ الله تعالى مصيرِ عيسى عليه السلام؛ فاليهودُ والنصارى يدّعونَ قتْله وصلْبه، وهذا ما نفاه اللهُ تعالى فـ (**ماقتلُوه وماصلُبوه**)؛ إنما أشكل عليهم الأمرُ وتشابَه عليهم، فالمختلفون في ذلك إنما هُمْ في شكٍّ مردُّه الوهَمُ وعدمُ العِلم، فكان الذي اتَّبعُوه ظنًا مُورثا للشك أما اليقين في الخبر فأنهم لم يقتلوه بشكل مؤكد، فقد رفعه الله تعالى إليه، يقول الله تعالى : **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** (النساء: ١٥٧) .

إنَّ نقصَ العلم قد جعل أولئك المدَّعين يقعون بالوهَم، والعِلمُ الذي ينبؤنا به الله تعالى في كتابِه على لسان عيسى عليه السلام بأنه سيُبعثُ حيًّا، قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** (مريم : ٣٣–٣٤)، وقد أيّد ذلك أحاديثُ نبويةٌ متواترة عديدة .

المداخل البحثية

إنَّ الإسلامَ دِينُ عَدلٍ ونِظامٍ، لِذلِكَ مِنَ الأولى أنْ يَنطلِقَ المنهجُ مِن أُصولِ الشريعةِ الغرّاءِ، ثُمَّ لا يَضيرُ أنْ يَستفيدَ مِن العُلومِ الأُخْرى، وهذا ما نجِدُهُ في استِقرائِنا لِتطبيقاتِ الفُقهاءِ. وسوفَ نُحقِّقُ هذا الهَدَفَ مِن خِلالِ المَدخلِ المِعياريِّ والسُّلوكيِّ والأخلاقيِّ والمَدخلِ التاريخيِّ الاستقرائيِّ والمَدخلِ الإيجابيِّ.

المَدخلُ المِعياريُّ

يَسعى هذا المَدخلُ إلى تحديدِ المفاهيمِ المُنبثِقَةِ مِن الثوابتِ الشرعيةِ. وهي المفاهيمُ التي لا تتغيَّرُ عَبرَ الزَّمانِ والمكانِ وهِي مُستمَدَّةٌ مِن القُرآنِ والسُّنةِ والإجْماعِ في الأغلبِ.

المَدخلُ السُّلوكيُّ الأخلاقيُّ

إنَّ نَمَطَ السُّلوكِ الإنسانيِّ هُو سُلوكٌ مَحكومٌ بالقِيمِ الأخلاقيةِ التي تَقومُ على المسؤوليةِ أمامَ اللهِ تعالى أيًّا كانَ مَصدرُ الالتزامِ ذاتيًّا مِن نَفْسِه، أو تعاقُديًّا مع الآخرينَ، مِمّا يَلزَمُ منهُ مُراعاةُ القِيَمِ الإنسانيةِ المُرتبِطَةِ بهذا السُّلوكِ؛ كالقَناعَةِ، والصِّدقِ، والأمانةِ، والوفاءِ، والعَدل[1]؛ فالإسلامُ بذلِكَ

[1] قضايا ومسائل تتعلق بمنهجية البحث في الاقتصاد الإسلامي، سلسلة حلقات نقاشية بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، ١٩٩٧. ص ٥٢.

قدْ تفرَّدَ وسَبَقَ الأدبياتِ الحَديثةَ في المُوازَنةِ بينَ القيمِ الأخلاقيّةِ والماديِّةِ بنَظرَتِه الشُّموليةِ للكَونِ.

المَدخلُ التاريخيُّ الاستقرائيُّ

يَهدفُ هذا المَدخلُ للبَحثِ عن المُمارَسةِ العَمليةِ والنظريةِ للفِكْرِ في التاريخِ والاطلاعِ عليها لإثباتِ دَرجَةِ نُضجِ هذا الفِكْرِ.

المَدخلُ الإيجابيُّ

تسعى البُحوثُ الإيجابيةُ إلى تطويرِ نظريةٍ تُفسِّرُ السَّببَ الذي أدَّى ببَعضِ الظواهرِ إلى أنْ تأخُذَ شكلَها الحاليَّ وتحديدَ ما إذا كانت المعاييرُ والإرشاداتُ النَّموذجيةُ يُمكِنُ تطبيقُها في الواقعِ، وكيفَ يُمكِنُ مُواءمَتُها تمشيا مع مُتطلَّباتِ التطبيقِ والمُمارَسةِ. لذلكَ يَهدفُ هذا المَدخلِ لبيانِ مَدى مُلاءمةِ المعاييرِ الموضوعةِ للمُجتمعاتِ الأُخرى لأنَّ "**الحِكْمَةَ ضالَّةُ المُؤمنِ أينَما وَجَدَها فَهُو أحَقُّ بها**"[1]، فلا شيءَ يَمنَعُ مِن الاستِفادَةِ مِن عُلومِ وتجارِبِ الآخَرِينَ. وطبعًا ليسَ كُلُّ عُرْفٍ مَقبولٌ شَرعًا، فالعُرْفُ قد يَضُمُّ مَفاسِدَ ومَصالِحَ ولا يُعتدُّ بالعُرْفِ إذا خالفَ مَقاصِدَ الشرعِ،

[1] سنن ابن ماجه: ٤١٥٠

فالمَصلَحَةُ في عُرْفِ الشارعِ هِيَ المُحافَظةُ على مقاصِدِ الشارعِ ولو خالفَتْ مقاصِدَ الناسِ[1]، والشارعُ قَصَدَ حِفْظَ مَصالِحِ العِبادِ عاجِلاً وآجِلاً[2].

إذنْ فإنّ المنهجَ الإسلاميَّ يلتزمُ بالثوابتِ الشرعيةِ، ويستفيدُ من العُلومِ الأُخْرى بما لا يتناقضُ مَع هذهِ الثوابتِ باستخدامِ المَناهِجِ العَقليةِ، أو التجْريبيةِ، أو كِليهِما. فالمَدخلُ المِعياريُّ يُفيدُ في اقتراحِ المَفاهيمِ والفُروضِ؛ أمَّا المَدخلانِ الإيجابيُّ والاستقرائيُّ فَيُفيدانِ في إثباتِ وبَرهَنَةِ المُحتوى التَّطبيقيِّ والعَمليِّ لِهذهِ المَفاهيمِ والافْتِراضاتِ. كما أنَّ المَدخلَ السُّلوكيَّ والأخلاقيَّ يُساعِدُ في التزامِ الأفرادِ والجَماعاتِ بالمدخلِ المِعياريِّ وانسجامِ تطبيقاتِهمْ مع هذا المَدخلِ الإيجابيِّ؛ وذلكَ بانْضِباطِهِمْ من خِلالِ المُراقبةِ الذَّاتيةِ التي مَصْدَرُها الخَوفُ من اللهِ تَعالى والمُراقَبةِ الخارِجيةِ التي مَصْدَرُها الرَّقابةُ والمُراجَعةُ الخارِجيةُ من الأطرافِ ذاتِ الاهتِمامِ.

وعليه فإنّ المَنهجَ سَيُشكِّلُ:

(١) أرضيةً خِصْبةً لِلمَعارفِ العِلميةِ التي سيلْجأُ إليها الباحِثُ لإنجازِ عَملِه بالشكلِ العادلِ.

(٢) أداةً لِضَبطِ المَوضوعيةِ التي يَستخدِمُها في القياسِ.

---

[1] حسان، د. حسين حامد، فقه المصلحة وتطبيقاته المعاصرة، منشورات البنك الإسلامي للتنمية، جدة ١٩٩٣، ص ١١.

[2] الشاطبي، مرجع سابق مجلد ١ جزء ٢ ص ٦.

(٣) الأساسَ المَنطِقيَّ والعِلميَّ لِلمفاهيمِ.

إنّ بناءَ المَنهجِ في النَّمطِ التقليدي يكونُ بَعدَ انتشارِ التجْرِبةِ والمُمارَسةِ؛ حيثُ تتراكَمُ المَعارِفُ والمُشاهَداتُ، ثُمَّ يكونُ التحليلُ والتفسيرُ لِهذهِ المَعارفِ، عِندئذٍ يَتبلْورُ شكلُ المَنهجِ الذي يكونُ الأساسَ الذي تُشتقُّ منهُ الفُروضُ، فالمَفاهيمُ وُصولاً لِلمعاييرِ والمَبادئِ.

بَينما في النَّمطِ الإسلاميِّ يكونُ المَنهجُ؛ وخاصَّةً بِقِسْمِه الثابتِ؛ هُو الأساسُ الذي تنطلِقُ مِنهُ التجْرِبةُ والمُمارَسةُ وتنتمي إليهِ، حيثُ تتراكمُ المَعارِفُ والمُشاهَداتُ، ثُمَّ يَكونُ التحليلُ والتفسيرُ، ثُمَّ الفُروضُ، فالمَفاهيمُ، وُصولاً للمَعاييرِ والمَبادئِ. وما يُمَيِّزُ النمطَ الإسلاميَّ هُو ضَبْطُ شَطَطِ العِلْمِ والعامِلينَ فيهِ وإبقاؤهم ضِمْنَ مِعْيارِ الحِكْمَةِ الذي ذكرْناهُ سابِقًا لِيبْقى الابتكارُ العِلْميُّ ضِمْنَ نِطاقِ القِيمةِ المُضافةِ دُونَ فَسادٍ أو إفسادٍ في الأرضِ.

المبحث الخامس
أدوات البحث العلمي

بداهةً لا يُمكِنُ تصوُّرُ شخصٍ يُعِدُّ بحثًا علميًّا دونَ زادٍ مَعرِفيٍّ، وَرصيدٍ عِلميٍّ؛ فالأبحاثُ العِلميةُ عُمومًا، يقومُ بِها باحِثو الدِّراساتِ العُليا مِن طَلبةِ الماجستير والدكتوراه، كمَا يقومُ بها غيرهُم – مِن أساتذةِ الجامعاتِ وأعضاءُ مراكزِ البحثِ العِلميِّ وبعضُ المُهتمِّينَ وأصحابُ الخِبراتِ – مِن ذوي المعارفِ الثقافيةِ الواسِعةِ.

البحث العلمي عملية مستمرة

يجبُ على الباحِثِ أنْ يجعلَ تفكيرَه في حالِ يقظةٍ مُستمرَّةٍ؛ بحثًا عن أفكارٍ تَهمُّهُ؛ فيميلَ إليها ويتفاعلَ معها؛ لأنَّ ذلِكَ يجعَلُه يدورُ في فَلَكِ ما سَيكْتُبُ لاحِقًا.

لذلك فلا غرابة أن يعيش البحث في وجدان الباحث ملازمًا له، لا ينقطع عن التفكير فيه، حتى في نومه كما هو الحال في يقظته. مثال ذلك؛ أني رأيت منامين وأنا أشتغل ببحث: النموذج الرياضي لتوزيع أرباح وخسائر شركات المضاربة، رأيت فيهما المعادلات الرياضية اللازمة؛ لتثبيت ما كنت أفكر به باستمرار، فكنت أستيقظ من نومي ممسكا ورقة وقلمًا

أتركهما بجواري فأكتب ما رأيت؛ وهذا سببه شدة تفكيري الدائم بالقضية التي أبحث فيها، وهذا فضل من الله تعالى.

ومثال ذلك أيضًا؛ قصة زيارة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى للإمام أحمد بن حنبل ذات يوم في داره، وكانت للإمام أحمد ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين والأخيار، وتود أن ترى الشافعي لتعظيم أبيها له، فلما زارهم الشافعي فرحت البنت بذلك، طمعًا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله. وبعدما تناول طعام العشاء قام الإمام أحمد إلى صلاته وذكره، والإمام الشافعي مستلقٍ على ظهره، والبنت ترقبه إلى الفجر، وفي الصباح قالت ابنة الإمام أحمد لأبيها: يا أبتاه، أهذا هو الشافعي الذي كنت تحدثني عنه؟ قال: نعم يا ابنتي. فقالت: سمعتك تعظم الشافعي وما رأيت له هذه الليلة لا صلاة ولا ذكرًا ولا وِردًا؟ وقد لاحظت عليه ثلاثة أمور عجيبة، قال: وما هي يا بنية؟ قالت: أنه عندما قدمنا له الطعام أكل كثيراً على خلاف ما سمعته عنه، وعندما دخل الغرفة لم يقم ليصلي قيام الليل، وعندما صلى بنا الفجر صلى من غير أن يتوضأ. فلما طلع النهار وجلسا للحديث ذكر الإمام أحمد لضيفه الإمام الشافعي ما لاحظته ابنته، فقال الإمام الشافعي رحمه الله:

يا أبا محمد لقد أكلت كثيراً لأنني أعلم أن طعامك من حلال، وأنك كريم وطعام الكريم دواء، وطعام البخيل داء، وما أكلت لأشبع وإنما لأتداوى بطعامك، وأما أنني لم أقم الليل فلأنني عندما وضعت رأسي لأنام نظرت كأن أمامي الكتاب والسنة ففتح الله عليّ باثنتين وسبعين مسألة من علوم الفقه رتبتها في منافع المسلمين، فحال التفكير بها بيني وبين قيام الليل، وأما أنني صليت بكم الفجر بغير وضوء، فوالله ما نامت عينيّ حتى أجدد الوضوء. لقد بقيت طوال الليل يقظانًا، فصليت بكم الفجر بوضوء العشاء. ثم ودّعه ومضى. فقال الإمام أحمد لابنته: هذا الذي عمله الشافعي الليلة وهو نائم (أي مستلقٍ) أفضل مما عملته وأنا قائم.

ويتمُّ التعبيرُ عن الانفعالِ بالقراءةِ والمُلاحظةِ والتَّجاربِ؛ لاستقصاءِ حقائقَ مُعيَّنةٍ، أوْ ما يُمكِنُ أنْ يكونَ مِنها، عندَئذٍ سَيتَسِمُ الباحِثُ بالتفكيرِ العميقِ والإصرارِ العِلميِّ للغَوصِ في أعماقِ الظواهرِ بحثًا عنْ لآلئَ مُضيئةٍ هي حقائِقُ يجهلُها كثيرٌ مِنَ الناسِ؛ بينَما يَهمُّه بيانُها وتوضيحُها لَهُم.

تلكَ اللآلئُ لابُدَّ وأنَّ جمَالَها لمْ يَسبِقْ أنْ رآهُ أحدٌ؛ فتكونَ حقائقَ ابتكاريةً لم يَسبِقْ إليها أحدٌ، وقدْ تكونُ تصحيحًا لفكرةٍ سائدةٍ بشكلٍ خاطئٍ، أو تصحيحًا لمُمارَسةٍ غيرِ سليمَةٍ، أو فيها نقصٌ نَجَمَ عن قُصورٍ

سابقٍ، أو سببُه ظهورُ حقائقَ جديدةٍ يُوجِبُ تكميلَها، وقدْ تكونُ شرحًا لِشيءٍ مُبهمٍ غيرِ واضحِ المَعالمِ، أو تقْييمًا لحقائقَ، أو تفسيرًا جَديدًا لَها.

ويكونُ البحثُ العِلميُّ مُقيَّدًا بنقاطٍ مُحدَّدةٍ؛ تحتاجُ تعمُّقًا وبيانًا وتوضيحًا شافيًا، وليسَ سردًا لِما هوَ مَعروفٌ ومألوفٌ؛ فهذهِ صفة الكِتابِ لا البحثَ العِلميَّ. والبحثُ العِلميُّ قضيةٌ مُستمِرَّةٌ؛ وليستْ نهائيةً بنتائجِها؛ فالحقائقُ المُطلَقةُ ليستْ مِن صِفاتِ ونَتاجِ بني البَشر أبدًا؛ لذلكَ قد يَستَكملُ البحثُ أشياءَ يَستدْرِكُها؛ لِيصِلَ إلى حقائقَ، ومِن ثَمَّ قد تتلُوهُ أبحاثٌ؛ تستتبعُ تصحيحَ أوْ إكمالَ تلكَ الحقائقِ.

ويَشترِطُ البعضُ أنْ يكونَ البحثُ مُمكِنًا؛ فيُعلِّقونَ على قَبولِه تأكد الباحث مِن البداية على ذلك، مُبرْهِنًا وجهةَ نظرِهِ ومدى قُدرتِه الشَّخصيَّةِ ومُثبِتًا كِفايةَ المراجِعِ المُتوفِّرةِ بينَ يديهِ – لكِنَّ البُحوثَ الإبداعيةَ والابتكاريةَ تُغايرُ هذه الشروطَ والمبادئَ؛ بلْ لا تتوقَّفُ عندَها – لأنّها مُحدِّدَةٌ للفِكْرِ، مُضيِّقةٌ عليه؛ فكَمْ بدأنا ببَحثٍ مُبهَمٍ أو بسيطٍ، ثمَّ تتالتِ الأفكارُ – إضافةً أوْ تطويرًا – فخرَجَ بأشكالٍ جديدةٍ إبداعيةٍ؛ لذلكَ نجدُ بعضَ مدارسِ البحثِ العِلميِّ، قد أطرَّتِ الشَّكلَ العامَّ للبحثِ؛ فلابُدَّ مِنْ عُنوانٍ، ومُقدِّمَةٍ، وأهميَّةٍ، ثمَّ يُوضَعُ فصلٌ للجانبِ النَّظريِّ، وآخرُ للتجريبيِّ، أو الدِّراسةِ العَمليَّةِ، ثمَّ فَصلٌ للنتائجِ والمُناقشةِ؛ والتي

تُظهِرُ جُهدَ الطالبِ، وعمَلَه، ومدى تفاعُلِه معَ بحثِه، وُصولاً لِفصلِ النّتائِجِ والتَّوصياتِ.

إنّ هذهِ القوالبِ جيّدةٌ ومُفيدَةٌ، لكنَّها برأينا تحَدُّ مِن قُدراتِ الباحثِ وتكبتُ إبداعاتِه؛ فتُبقي نَتاجَه ضِمنَ قالَبِ ورقةِ بحثٍ ليس إلاَّ، فيصعُبُ عليه إخراجُها في كتابٍ لاحقًا، كما يُصعِّب على غيرِ المُقيّمينَ مُطالعَتُه وقراءتُه؛ فيبْقى البحثُ ضِمنَ أدراجِ ورُفوفِ المكتباتِ لا يرى الناسُ سَطرَه، وَلا نُورَه.

إنّ خطّةَ البحثِ مَهمَّتُها؛ بيانُ أركانِه وسُبلِه وُصولاً إلى خطّةٍ، تقترِحُ فِهرسًا؛ يمُثِّلُ الخُطواتِ التي سَيسيرُ الباحثُ على ضوئها؛ وهذا شأنٌ لهُ أهميَّتُه وجَدواه.

إنّ بعضَ المدارسِ البحثيةِ تجعلُ العُنوانَ مُقدَّسًا؛ فلا تسمحُ بتغييرِه أبدًا، معَ إمكانِ إحداثِ تغييراتٍ في الخطةِ؛ حسْبَ سيرِ عمليةِ البحثِ، وهُناكَ مَدارِسُ تجعل كليهما مقدَّسًا؛ لا تسمحُ بتغييرِ أيِّ شيءٍ فيهما، وهُناكَ مدارِسُ إبداعيةُ تقبَلُ بتغييرِ أيٍّ مِنهُما برأي المُشرِفِ المعتبَرِ، ولا حاجةَ لقرارٍ مِن المجَلِسِ العِلمي؛ فالمجَلِسُ هو هيئةٌ (علميّةٌ، شرعيّةٌ، قانونيّةٌ) مُعتبَرةٌ بكاملِ شُروطِها؛ تصلُحُ للاختيارِ، ولاقتراحِ التعديلاتِ بِما يُحقِّقُ رسالةَ وهدفَ المؤسَّسةِ العِلميةِ التي يمُثِّلُونَها.

إنّ جميعَ هذهِ المدارسِ مُحِقّةٌ فيما تذهبُ إليهِ؛ بشرطِ عدمِ الرُّكونِ إلى طريقةِ عملِها بشكلٍ مُستمرٍّ؛ بلْ لابُدَّ أن تُؤخذ بعين الاعتبارِ التغييراتُ المُحيطةُ، سواءً أكانتْ اعتباراتٍ بيئيةً أمْ علميةً أمْ اجتماعية؛ فمثلاً لم يتفاعلْ كثيرٌ منَ الناسِ مع أفلامِ الخيال العِلميِّ حين ظهرتْ على الرغمِ من تكاليفِها الهائلةِ وإخراجِها الشائقِ البديعِ؛ بُحجَّةِ أنّ ذلكَ بطرٌ وترفٌ، ثمَّ ما لبثتِ الاختراعاتُ أنْ حقّقتْ ذلك الخيالَ؛ فعرَضتْ بين أيدي غيرِ المُتفاعلينَ أجهزةً وأدواتٍ لا يستغنونَ عنها؛ بل يتغنَّونَ بها، وإذا بهم يتناسَونَ موقِفَهُم المُعارِض أوْ غيرِ المؤيِّد الآنفِ الذِكْرِ. ولو توقّفنا قليلاً عند مَن يكتُبُ أو يعطي الأفكارَ لتلكَ الأفلامِ لوصفَنا أكثرهُم بالجُنونِ، ويبدو أنَّ هذه الصفاتِ تكونُ لازمةً ومُلازِمةً؛ لتحقيق تلك الإبداعاتِ، وكما قيلَ: شعرةٌ بين العَبقريَّةِ والجُنونِ.

ونتوقفُ عندَ مثالٍ آخرَ هو تميُّزُ بعضِ طلبةِ الجامعاتِ في سنواتِ دراستِهم، ومنهُم مُخترِعو الكمبيوتر ونظمِ تشغيله؛ حينَ طوَّروا تلكَ الأعمالَ وحوّلوها إلى مراكزَ بحثيةٍ فاقتْ كثيراً من أعمالِ الباحثين العريقينَ، وقدّمُوا للبشريةِ خدماتٍ جليلةً. فهُمْ لمْ يبْدؤوا حياتَهُم البَحثيةَ بوضعِ ورقةٍ بحثيةٍ بشروطٍ مألوفةٍ، وهذا لا يعني رفضَنا للشروطِ، والمواصفاتِ

العلميةِ لكتابةِ البحثِ العلميِّ؛ بل لا يجعَلُنا نرفضُ أيَّ طريقةٍ، أو فكرةٍ لمُجرَّدِ عدمِ مُواءمَتِها لتلكِ القواعدِ.

أذكرُ مرَّةً أنّي زُرتُ إحدى الجامعاتِ في جنوبِ المملْكةِ العربيةِ السّعوديةِ؛ فقابلني دكتورُ محاسبةٍ بسؤالٍ اختباريٍّ مُفاجئٍ قائلاً: مِنْ فضلِكَ عرّفْ لي قضيّةَ (كذا)، فعرَّفتُ القضيةَ المعروضَةَ من واقعِ خبرتي وممّا حفظتُه؛ وكنتُ حديثَ العهدِ بالدكتوراه، فتلا عليَّ شروطَ التعريفِ الجامعِ المانعِ الكاملِ؛ فصَدمَني، وسألتُ نفسي: وهلْ هناكَ تعريفٌ جامعٌ لمْ يختلفْ عليه أحدٌ ومانعٌ وجوبًا لأيِّ خلافٍ وكاملٌ دونَ نقصٍ؟ إذنْ – لو كان الشأنُ العلميُّ بهذه البساطةِ – لانتهى البحثُ العلميُّ ولتوقّفَ الناسُ عن الاجتهادِ؛ لكمالِ اجتهادِ غيرِهم. ويخالف هذا المنطق المقدمة السادسة التي وضعها الشاطبي كما مرّ سابقًا، وفي ذلكَ نستذكرُ مقولةَ الإمامِ مالكٍ للإمامِ أحمدَ (رحِمَهُما اللهُ تعالى): كُلٌّ يُؤخَذُ منهُ ويُرَدُّ عليه إلاّ صَاحِبُ هذا القبرِ؛ ويقصَد نبيَّ اللهِ مُحمَّدًا صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وصَحبِه وسلّمَ؛ لأنّه لا ينطِقُ عن الهَوى كمَا أخبرَ اللهُ تعالى؛ فأرسى الإمامانِ رُكنًا من أركانِ البحثِ العلميِّ؛ وهو قابليتُهُ للنِّقاشِ دَومًا وباستمرارٍ، ولا يخرُجُ عنْ ذلكَ إلاّ الثوابتُ التي أتى بها القُرآنُ الكريمُ؛ وهو كلامُ اللهِ تعالى، وما

سنّهُ لنا رسُولُهُ مُحمّدٌ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم؛ مع الأخذِ بعينِ الاعتبارِ التحلّي بآدابِ البحثِ والمُناظرَةِ والحِوارِ.

وكذلك أرسَى الإمامُ الشافعيُّ رحِمَه اللهُ تعالى رُكنًا آخرَ بقولِه: رأيي صَوابٌ يحتمِلُ الخَطأ، ورأيُ غيري خطأٌ يحتمِلُ الصَّوابَ؛ فلا جمودَ في التفكيرِ، ولا حَجْرَ على الفِكرِ، ولا توقفَ عن الإبداعِ، ولا تضييقَ على الابتكارِ، ولابُدَّ من قَبولِ الرَّأيِ الآخرِ والتوقفِ عندهُ معَ احتمالِ خطأِ وصوابِ أيٍّ منهُما.

إنّ الأفكارَ التي تدورُ وتتحرّكُ في ذِهنِ الإنسانِ تقوم بدورٍ مُهمٍّ؛ لذلكَ يُنصَحُ صاحبُها بالمُسارَعةِ إلى تدوينِها قبْلَ ضياعِها وقد قيلَ: العِلم في السُّطورِ لا في الصُّدور، وذلكَ بعدَ أن يستقرَّ في الصُّدورِ. كَما أن العِلمُ صَيدٌ والكِتابَةُ قيْدُه؛ والمقصودُ تثبيتُ العلمِ الموجودِ في الحِفظِ على الوَرقِ، أو غيرِه من وسائلِ الحفظِ السائدةِ؛ ليبْقى بعد موتِ العالِمِ الحافظِ؛ لذلك طُلِبَ في عهودِ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ – رضِيَ اللهُ عنهُمْ أجمعين – تدوينُ القُرآنِ الكريمِ بعدَ أنْ اشتهرَ حِفظُه في الصُّدورِ؛ نظراً لموتِ كثيرٍ من الحُفَّاظِ، وكذلكَ بسببِ حاجةِ نقْلِه إلى مُختلفِ البُلدانِ، إضافةً لإرسالِ كبارِ الصَّحابةِ؛ ليُفسِّرُوهُ، ويُبيِّنُوهُ، ويُحفّظوه الناسِ (رَضِيَ اللهُ عنهُمْ

وأرضاهُم). ثم دُوّنَ الحديثُ الشريفُ حتّى صارَ مراتبَ ودرجاتٍ يُوصَفُ بها مِن المتواتِر، والمشهورِ، والصحيحِ، والضَّعيفِ، والموضُوعِ.

إذًا يجبُ على الباحثِ أنْ يجمعَ أفكارَه التي خطَّها على قُصاصاتٍ؛ سواءٌ كانتْ نُصوصًا أو رُسومًا أو ما شابَه، فهذهِ القُصاصاتُ تحملُ في طيّاتِها بناتِ أفكارِ صاحبِها وخُلاصةِ فكرِه؛ قد تكونُ نواةً بحثِه ومُنطلقَهُ. وتُعتبَرُ القراءةُ المُكثَّفةُ خاصَّةً في الاتجاهِ التخصُّصيِّ أمرًا مُهِمًّا؛ لتوسيعِ المداركِ والأفهامِ؛ وذلكَ لوضعِ الأفكارِ الرئيسةِ للبحثِ؛ سواءً أكانَ تجربةً، أمْ مُقارَنةً، أمْ وُجهةَ نظرٍ، أمْ نَقْدًا بنّاءً؛ مِن ناقدٍ بَصيرٍ.

الفجْوةُ البَحثيةُ[1]

تختلفُ وُجهاتُ نظرِ الباحثينَ حولَ فجوةِ البحثِ العلميِّ باختلافِ مَشاربهم ومَدارسِهم. وإنَّ مآلَ البحثِ العلميِّ يكونُ بوضعِ نظريةٍ، أو اختبارِها، أو كليهما معًا. وهناكَ مَن يهتمُّ بدراسةِ وبحثِ ما هو سائدٌ من مبادئ وقوانينَ وإجراءاتٍ، سواءً أكانَ مُسوِّغًا، أمْ مُفنِّدًا، وربَّما يأتي بعدَه مَن ينتقدُها مُفتِّشًا، أو مُنقِّبًا عن حقيقةٍ مُقنِعَةٍ؛ فتُشبِعَ نَهمَه العِلمي، وذَوقَه الفنِّيَّ، وطُموحَه العالَميَّ.

[1] بعض النص مقتبس من حوار مع الأستاذ باسم عليوه، بتصرف.

فما الحقيقةُ، وما سِرُّها، وما شكلُها، وما صِفاتُها، وما أبعادُها؟

وهل هي واحدةٌ، أم تختلِفُ مِن مكانٍ لآخرَ؟ ومِن زمانٍ لآخرَ؟

وهل المجُيبُ على الاستقصاءِ، أو المقابلَةِ الشخصيَّةِ يعلمُ الحقيقةَ بشكلٍ واضحٍ؟ أمْ أنّها تُستَشف مِن كلامِه؟ وهل الحقيقةُ قابلةٌ للتعميمِ؟

وهل للباحثِ شخصيَّتُه البحثيةُ البارِزةُ في ثنايا بحثِه؟

هل وُجهةُ نظرِه خاصَّةٌ بهِ؟ هل كانَ دورُه اختبارَ العلاقاتِ دونَ تدخُّلٍ وتأثيرٍ؟

إنّ مَن سارَ على طريقِ البحثِ العلميِّ؛ سيغُوصُ في المعارفِ؛ ليستخرِجَ الدُّرَرَ، ويترتّبُ عليه التفكيرُ فيها، واختبارُ علاقاتِها؛ لتفسيرِ الواقعِ مِن وُجهةِ نَظرِه؛ فيعملَ لتوضيحِه، أو قد ينأى عن ذلكَ كلِّهِ بالبحثِ عن مُستجِدَّاتِ الأمورِ، وما يجبُ أنْ تكونَ عليه.

وينقسِمُ أولئكَ إلى فريقينِ اثنينِ:

- **فريقٍ مبتكرٍ مبدعٍ**، يعملُ على وضعِ نظرياتٍ تفسيريةٍ جديدةٍ؛ فيضعَ فجواتٍ علميةً تُتيحُ للآخرينَ إثباتَها أو نفيَها.
- **فريقٍ تجريبيٍ مُشككٍ**، يهتمُّ بدراسةِ الواقعِ المُتغيرِ، وإثباتِ فعالية مبادئِه وقوانينِه السائدَةِ أو عدمِها.

فإذا أضحتِ النظريةُ رأيًا عامًّا؛ صارتْ أشبهَ بالعلمِ الرّاسخِ لاستقرارِها في العُقول؛ فيستشْعِرَ الناسُ عُمومًا، ومُتخذو القرارِ خُصوصًا بأهمِّيتها؛ فيعمَلونَ لتحويلِها إلى مبادئَ فقوانينَ وإجراءاتٍ. ثمَّ ما يلبَثُ أنْ يأتيَ باحثونَ يُفنِّدونَ تلكَ الإجراءاتِ والقوانينَ درْسًا وتمْحيصًا.

وَيأتيَ غيرهُم لِمتابعَةِ البحثِ العِلميِّ سعيًا لمزيجٍ مِن التَّطوراتِ؛ فتعودُ الكَرّةُ مِن جديدٍ، ويَحكُمُ ذلك سُنَّةٌ مِن سُنَنِ اللهِ تعالى في أرضِه؛ هي سُنَّةُ التَّدافُعِ الرّبّانيّة، يقولُ اللهُ تعالى: **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** (البقرة: ٢٥١)، وذلكَ تحقيقًا لِسُنَّةِ البَقاءِ التي يُقرِّرُها تعالى؛ لإبقاءِ الأصلَحِ والأنفعِ للنّاسِ، بقوله: **كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ** (الرعد: ١٧).

ويبقى الفريقانِ في سَعيهما إلى أن يشاءَ اللهُ تعالى؛ فيكونَ منهُم التفسيريونَ، ومنهُم الواقعيونَ.

فالتفسيريونَ يرَونَ أنَّ العِلْمَ يَختلفُ مِن مَكانٍ لآخَرَ، ويضَعونَ فَرْضياتهم مِن بيئَتِهِم المُحيطَةِ، فَتَجِدُ باحِثَهُمْ يَعْرِضُ سُؤالَهُ البَحثيَّ مُؤيِّدًا إيَّاهُ بِدراساتٍ تُثبتُ حَداثتَه. مما يسهمُ ببناءِ حقائقَ جَديدةٍ فاتحًا المجَالَ لِغَيرِه لإكْمالِ البناءِ، لذلك تُمثلُ هذهِ المَدرسةُ بيئةً حُرَّةً للإبْداعِ، لأن

الباحِثَ يبْني مَدرَستهُ العِلميةَ أو الفِكْرِيةَ الخاصَّةَ بهِ ويَعملُ لأجلِ تطويرِها. وهذا يُثبِتُ كونَ الحقيقةِ غيرَ واحدةٍ.

ومما يجب التنبه إليه؛ أن قسم الدراسات العليا يجب أن يضم أساتذة مبدعين ومبتكرين، يمثلون محركًا لطلبة الدراسات العليا. ففي إحدى الكليات يُنظر لأستاذ عريق من أساتذة الدراسات العليا نظرة محدودة بسبب مشاركاته وأجوبته المقتضبة والتي تحتمل التأويل والتفسير، وكذلك لأسلوبه الصعب في صياغة العبارات وجزالة كلامه، وغموض أجوبته. وهذا مرده ضعف نظر وتقدير إدارة الكلية وجهلها بأركان وعناصر البحث العلمي، لذلك لا غرابة إن جاءت أبحاث طلبتهم رتيبة مكرورة لا حاجة للناس بها؛ فقد اعتادوا وتربوا على الرتابة؛ فكان تفكيرهم عاديًا.

وهذا ما دفعني لإضافة فقرة تالية تتناول (القياس والقياس العقلي) وهي لإخوان الصفا وتتناول القياس المبرهن وأنواعه وكيفية تأليفه واستعماله، واستخراج نتائجه؛ وهذا نص من التاريخ العربي والإسلامي يعود للقرن الثالث الهجري أو العاشر ميلادي، وذلك رغبة مني في حشر الباحث العلمي في صياغات صعبة ليتمرس عقله عليها، فلا عذر لباحث حصّل

الدرجات العلمية العلا ثم يصعب عليه ولوج بيئة تتقاذفها أفكار وعبارات عتيدة.

أما **الواقعيونَ** فيرَونَ أنّ العلمَ واحِدٌ؛ وتتعلّقُ فرضياتُ بحثِهم ببيئاتٍ خارجيةٍ يعمَلُون لتطبيقِها على بيئتِهم المحلِيّةِ؛ والباحِثُ مِنهُم تجِدُه يبحَثُ عنْ فجوةٍ أغفلَها غيرُه؛ فيعملُ على مَلئِها لِيُسدَّ حاجاتِ المجتمعِ بما يَراهُ، ويجتهدُ فِيه. فتَتقاعَسُ هَذهِ المَدرسةُ عن وضْعِ نَظريَّاتٍ جَديدةٍ لِتأثُّرِها بالدِّراساتِ السابِقَةِ باعتبارِها قَيْداً عليها فَتَحُدُّ حَركةَ باحثِيها الإبداعيةِ وتجْعلُ تفكيرَهُم تابعًا لِغَيرِهِم.

ويمكن تشبيهُ البحث العلميِّ حسب هذه المدرسة بلوحةِ أحجيةٍ أو لغزٍ Puzzle، والمطلوبُ من الباحثِ الواقعي؛ أن يُوجد القطعةَ الناقصةَ وليس البحثُ عنها؛ ولربما كانت هي القطعةُ الأخيرةُ.

أما الباحثُ الابتكاريُّ فعليهِ مهمةُ وضعِ القطعةِ الأولى في اللوحةِ فتراهُ يُؤسِّسُ لقضيةٍ جديدةٍ مبتكرةٍ لم يسبقهُ إليها أحد.

نَتاجُ البَحْثِ العِلميِّ

يُنتِجُ البَحثُ العِلميُّ مَجموعةَ نظرياتٍ تُشكِّلُ العِلْمَ بِمجْموعِها، يُولَدُ منها المَبادئُ التي تسيرُ عليها القوانينُ والإجْراءاتُ الناظِمَةُ لها.

فالنظريةُ هيَ محاولةُ تفسيرِ الواقِعِ وظواهِرِه؛ لأنّها تفسيرُ ما يَعلَمُهُ الناسُ، وما لا يَعلمُونه مِن ظواهِرَ جَديدةٍ.

أمّا **العِلْمُ** فهُو مَجموعةُ نظرياتٍ مُتكامِلَةٍ مُترابِطَةٍ تَّم إثباتُها، فإنْ تناقضَتْ، ولَدتْ نظرياتٌ أُخرى لِتفسيرِ التناقُضِ، ولِتُسهِمَ ببناءِ مَعارِفَ أكثرَ تكامُلاً.

أمّا **المَبادئ** فهِي مَفاهيمُ تنبثِقُ عن العِلْمِ، أيّ أنّ النظريةَ تنتَهي بمبادئَ يتمُّ السيرُ على هُداها، فمَبدأُ الإصلاحِ يقومُ على مُعالجَةِ الفَسادِ ومَنعِه، لِذَلِكَ يَتمُّ سَنُّ قوانينَ لِمَنْعِها، ولا يكونُ ذلكَ إلاّ بتطبيقِ إجراءاتٍ تَخدمُ تلكَ القوانينَ، تحقيقًا لاتِّساقِ المَبادئِ والقوانينِ المُتناغِمَةِ وضَمانًا لِحُسْنِ تطبيقِ إجْراءاتِها التي هِي مَجموعةُ تدابيرَ مُتَّخَذَةٍ لأمْرٍ ما.

بناء المعايير في النمط التقليدي	بناء المعايير في النمط الإسلامي
المعايير (أو المبادئ)	المعايير (أو المبادئ)
المفاهيم	المفاهيم
الفروض	الفروض
المنهج	الجزء المتغير من المنهج (المداخل الأخرى)
التحليل والتفسير	التحليل والتفسير
تراكم المعرفة	تراكم المعرفة
التجربة والممارسة (المشاهدات)	التجربة والممارسة (المشاهدات)
	الجزء الثابت من المنهج (المدخل المعياري)

تُمثِّلُ النظريةُ والعِلْمُ والمَبادئ هَرَمَ مَصْدَرِ البَحْثِ العِلميِّ الذي يقومُ بِها الباحِثُ في مَرحَلةِ الدِّراساتِ العُليا بمَنهجيةٍ مُحدَّدةٍ قدْ تقومُ على :

- **البحث الاستقصائيِّ** لاختبارِ علاقاتٍ مِن خلالِ قياسِ مَجموعةِ مُتغيِّراتٍ تَعكِسُ مَفاهيمَ مُحدَّدةٍ .
- أوْ من خِلالِ **دراسةِ حالةٍ** مُعيَّنةٍ، فَيستخدَمُ لأجْلِ ذلكَ بياناتٌ كَميّةٌ كاستِقصاءِ القوائمِ الماليةِ .
- **البَحثِ الكيفيِّ** فَيستخدَمُ لأجْلِ ذلكَ التحليلُ الكميُّ للبحثِ عن علاقاتٍ رقميةٍ بينَ الأشياءِ وقد يقيسُ اختلافاتِها إحصَائيًا، أو يَعتمِدُ

على إجراءِ تحليلٍ وصْفيٍّ باستخدامِ الترميزِ أو التصنيفِ لِتفسيرِ الأشياءِ بأسلُوبٍ لَفظيٍّ.

لذلك يَجبُ على الباحثِ أنْ يُؤسِّسَ مَفاهيمَه قَبْلَ البَدءِ بِبَحثِه، لأنَّه يَحتاجُ مَذهبًا يسيرُ على هُداه، بمَداخِلَ وصفيَّةٍ أو كميَّةٍ أو نفعيَّةٍ. فإنْ كان مَدخلُهُ وصفيًا اكتفى بالوصفِ النظريِّ للظواهِرِ، وإنْ كانَ كمِّيًا اعتمدَ على التحليلِ الكمِّيِّ الرِّياضيِّ والإحصائيِّ ثُمَّ يَلجَأ لِتحليلِ مَقاصِدِه وتفسيرِها، وإنْ كانَ نفْعيًا فَذلِكَ يَقودُهُ إلى تحديدِ مَنافِعَ مُحدَّدةٍ. وتُعتبَرُ المداخِلُ جميعُها مُفيدةً، كما قدْ يُشرِكُ الباحِثُ أكثرَ من مَدخلٍ مَعًا.

تَعتمِد المَداخِلُ على مَنهجَينِ اثنَينِ، استنباطيٍّ واستقرائيٍّ، وكلاهُما منهجُ إثباتٍ، فالاستنباطيُّ أشبَهُ بجذْعِ الشَّجَرَةِ لأنَّهُ يَنبُتُ من الأصلِ، بينَما أوراقُها تُمثِّلُ الاستقرائيَّ لأنَّه يُثبِتُ وُجودَها. وتُقسَمُ هذهِ المَناهجُ إلى مَناهِجَ فَرعيةٍ هِيَ الدِّراساتُ التفسيريةُ والدِّراساتُ الإيجابيةُ.

١- الدِّراساتُ التفسيريةُ

نُميِّزُ بينَ نوعينِ منها:

- **الدَّراساتِ التفسيريةِ الكيفيةِ**: وتقومُ على المُقابلاتِ الشخصيةِ، أو دِراسةِ حالَةٍ مُعيَّنةٍ، وهذهِ هِيَ حالُ المدرسةِ البَحثيةِ التقليديةِ البَريطانيةِ

مِـنها والأوروبـيةِ، فَهَـدَفُ الـباحِـثِ هُـو فَـهْمُ ظـاهِـرَةٍ، أو مُـشكِلَةٍ، وتفْسيرُها، ورَسمُها، ونَقلُها مِن الواقعِ لِتكونَ رَسْمًا توضيحيًا لِمُتخذي القَرار. لِـذَلِـكَ ظَهَـرَتْ مَـدارِسُ عِـلميَّةٌ كَـثيرةٌ فـي النَّـمْذَجَـةِ، مِمَّـا أَخْـرَجَ النَّموذجَ مِن ثوبِهِ التقليديِّ على أنَّهُ مَجموعةٌ مِن العَلاقاتِ المُختبَرةِ، لِيكُونَ تمثيلاً للواقعِ.

ثُـمَّ ظهَرتْ مَدارسُ التفكيرِ المُنظَّمِ حيثُ يستخدمُ الباحِثُ التفسيرِ مِن خلالِ فَهمِهِ للنَّصِ وللكلامِ وتفسيرهُ للواقعِ، لِذَلِكَ يَعتقِدُ الباحِثُ بِصُعوبةِ إمكانِ إعادةِ التطبيقِ، ولا يكونُ التعميمُ مَطلوبًا في المَقامِ الأوّلِ، فالحَقيقةُ قدْ تكونُ مَوجودةً إذا بُحثَ الأمرُ مَعَ الخُبراءِ، أو أنّها غيرُ واضِحَةٍ يحتاجُ فيها إلى إيجادِ علاقاتٍ تُفَسِّرُ وتسوِّغُ الظواهِرَ.

- **الـدِّراسـاتُ التفسـيريـةُ الـكَمِّيَّةُ بتَحـليلٍ كـيفيٍّ**: يـكونُ البحثُ تفسيريًا بِهَدَفِ بناءِ نَظريةٍ، ثُمَّ مُحاولَةِ فَهْمِ الأنماطِ المُختلِفةِ لِلسلوكياتِ وتَفسيرِها وتحليلِ سَبَبِ تكرارِها، وتَتمُّ دِراسةُ أخطاءِ المُراجَعةِ وقياسُ أعدادِها، ثُمَّ تفسيرُها مِن خِلالِ المُقابلاتِ الشخصيةِ لِفَهْمِ سَبَبِ الأخطاءِ.

وهـناك مَـزيـجٌ كـبيرٌ مِـن الـدِّراسـاتِ، فـالأبْـحاثُ لَيسـتْ مَـحصُورةً

بـالاسـتنباطـيةِ والاسـتقرائـيةِ، لأنَّ فَـنَّ صِـناعـةِ الـعِلمِ يَـحوي كـثيراً مِـن أساليبِ البَحثِ.

٢- الدِّراساتُ الإيجابيةُ

نُميِّزُ بينَ نوعينِ منها:

ـ الدَّراساتِ الإيجابيةِ الكَمِّيَّةِ وتقومُ على الاستِقصاءِ والتحليلِ بأسلُوبٍ كَمِّيٍّ: تكونُ بوضْعِ فُروضٍ واختِبارِها بأداوتِ الاستِقصاء، ثُمَّ تحـليله بـاسـتِخدامِ بـرامـجَ إحْـصائـيةٍ لاخـتبارِ الإطـارِ (أو مَجـموعـةِ الفَرْضياتِ) للخُروجِ بنَموذجٍ ما. وهُنا قدْ يَقتَنِعُ الباحِثُ بأنّ الحَقيقةَ واحِدَةٌ على مُستوى العالَمِ، أو على مُستوى القِطاعاتِ، أو أنَّ الحَقيقةَ واحِدَةٌ على مُستوى القِطاعِ أو الصناعةِ. وحيثُ أنّ الحَقيقةَ لا يعلَمُها الباحِثُ ولا المُجيبُ على الاستِقصاءِ فلا يَصحُّ للباحِثِ أنْ يُدلي برأيه بـأيِّ شـيءٍ سِـوى الـتعليقِ عـلى الاسـتِنتاجـاتِ، وتـكونُ مـعايـيرُ جَـودةِ البَحثِ بِقابليةِ إعادةِ تطبيقِه وتعميمِه في القِطاعِ المَعنيِّ أو في الدَّولَةِ.

ـ الدِّراساتِ الإيجابيةِ الكيفيةِ بتحليلٍ كَمِّيٍّ: يَفْرِضُ الباحِثُ فُروضًا ويَختبِرُها بِمَنْهَجيةٍ كيفيَّةٍ، كوضْعِ فُروضٍ واختبارِها مِن خِلالِ دِراسةِ الحالةِ، أو اختِبارِها مِن خِلالِ المُقابَلاتِ الشخصيّةِ. وقدْ يَكونُ أسلوبُ التحـليلِ كمِّيًّا رغـمَ كـونِ الـدِّراسـةِ كـيفيَّة. فـمِنْ خِـلالِ المُـقابـلاتِ

الشخصيةِ يُمكِنُ وَضْعُ الجُمَلِ الدَّالَّةِ على الكَفاءةِ والأداءِ، ثُمَّ ايجادِ عَلاقةٍ بينَ الأشخاصِ الذينَ ذُكِرَ في كلامِهِم أنَّ لَديهِم كفاءةً وأداءً عاليًا، ويَتمُ التحليلُ إحصائيًا كالاستِقصاءِ.

للاطلاع

- العالمة الفرنسية بريجيت كيفر: أطمح إلى اكتشاف متاهات العقل، رابط الفيديو
- العالمة ميشال سيمونس: ملكة فيزياء الكم، رابط الفيديو

القِياسُ والقِياسُ العَقليُّ[1]

لَمّا كانتْ طُرُقُ العُلومِ والمَعارِفِ والاستِشعارِ والإحْساسِ كثيرةً، بَعضُها مَحسوسٌ وبَعضُها مَعقُولٌ، وبَعضُها مِن أجناسِ العُلومِ؛ فإنّ القِياسَ يَعتبرُ طريقَ الحُدودِ. ولَمّا كانَ أكثرُ مَعلوماتِ الإنسانِ مُكتسبًا بطريقِ القِياسِ، وكانَ القِياسُ حُكمُهُ تارةً يكونُ صَوابًا، وتارةً يكونُ خطأً، فإنّ القِياسَ هُو تأليفُ المُقدِّماتِ، واستِعمالُه هُو استِخراجُ نتائِجها، ومُقدِّماتُ القِياسِ مَأخوذةٌ مِن المَعلوماتِ التي في أوائلِ العُقولِ، وتِلكَ المَعلوماتُ أيضًا مأخوذةٌ أوائلُها مِن طُرُقِ الحَواسِ.

[1] رسائل إخوان الصفا - الرسالة الرابعة عشرة: القياس البرهاني وأنواعه وكيفية تأليفه واستعماله، واستخراج نتائجه، ص ١٧٧-١٧٣، بتصرف.

فالحَواسُ تُدْرِكُ أنّ الأشخاصَ مُركَّبةٌ مِن جَواهِرَ بَسيطةٍ، في أماكِنَ مُتباينَةٍ، وأعراضٍ جُزئيةٍ، في مَحالَّ مُتميِّزةٍ، فكانتْ أعيانًا غيرَ بعضِها. أمّا كمِّياتُها وكيفياتُها فلا تُعلَمُ على الاستِقصاءِ إلاّ بالقِياساتِ المَوضوعةِ المُركَّبةِ. مِثالُ ذلكَ أنّه إذا عَلِمَ الإنسانُ بالحَواسِّ أنَّ بَعْضَ الأجْسامِ ثقيلةً أو كثيرةً أو عظيمةً، فإنّه لا يُمكِنُه أنْ يَعْلَمَ كمِّيَّةَ أثقالِها إلاّ بالمِيزانِ، ولا كَثرتَها إلاّ بالكيلِ، وما شاكَلَ هَذهِ، وهِيَ كُلُّها مَوازينُ، ومَقاييسُ يَعلَمُ الإنسانُ بِها ما لا يُمكِنُه أنْ يَعلَمَهُ بالحَزْرِ والتَّخْمِينِ.

ويَدخُلُ الخَطأ في القِياسِ مِن وُجوهٍ ثلاثةٍ:

١. أحدِها أنْ يكونَ المِقياسُ مُعْوجًّا ناقِصًا أو زائِدًا.

٢. والثاني أنْ يكونَ المُستعمِلُ لِلقياسِ جاهِلاً بكيفيةِ استِعمالِه.

٣. والثالثِ أنْ يكونَ القِياسُ صَحيحًا، والمُستعْمِلِ عارِفًا، ولكِنْ يَقصِدُ فيُغالِطَ غِشًّا لِمأرِبٍ لَهُ.

وعلى هذا يَجري سائِرُ أحكامِ العُقلاءِ وظُنونُهُم وتَوهمُهم في الأشياءِ قبلَ البَحثِ والكَشفِ، حتَّى يَستبينَ لَهُم بَعْدَ التجْرِبةِ حَقيقة ما كانوا يَتوهَّمُونَ. وإنّ نِسبةَ المَعلوماتِ التي يُدْرِكُها الإنسانُ بالحَواسِّ الخَمْسِ، إضافةً إلى ما يَنتجُ عنها في أوائلِ العُقولِ، كثيرة.

التَّحَرُزُ مِن أخطاءِ القِياسِ

إنّ الخَطأَ الذي يَدخلُ في القِياسِ مِن جِهةِ اعْوجاجِهِ كثيرُ الفُنونِ كَثرةً يَطولُ شَرحُها، ومِن القِياساتِ التي تُخطئ وتُصيبُ؛ القِياسُ على مَجْرى العادةِ بالأنموذجِ، وهُو قِياسُ الجُزْءِ على الكُلِّ. وشُروطُ صِحَّتِه أنْ يُؤخَذَ في كُلِّ عِلْمٍ وتَعلُّمٍ قِياسيٍّ مَعنيانِ مَعلومانِ، مِمّا هُو في أوائلِ العُقولِ، هُما:

- هل هُوَ؟
- ما هُوَ؟

فلا يُمكِنُ أنْ يُعلَمَ مَجْهولٌ بمَجْهولٍ، ولا أنْ يُقاسَ على شيءٍ مَجْهولٍ وشَيءٍ مَعلومٍ، بلْ لابُدَّ أنْ يُؤخَذَ شَيءٌ مَعلومٌ مِمّا هُو في أوائلِ العُقولِ، ثُمَّ يُقاسُ عليهِ سائرُ ما يُطلَبُ بالبُرهانِ. والذي في أوائلِ العُقولِ شيئانِ اثنانِ:

- هُويَّاتُ الأشياءِ.
- ما هيّاتُها.

وذلِكَ أنّ هُويِّاتِ الأشياءِ تحصلُ في النفوسِ بِطَريقِ الحَواسِّ، وما هيّاتِها بِطَريقِ الفِكْرِ والرَّوِيةِ والتَّمييزِ، وإذا حَصَلتْ هُويَّاتُ المحْسُوساتِ في النَّفسِ بِطَريقِ الحَواسِّ، وما هيّاتِها بِطَريقِ الفِكْرِ والرَّوِيَّةِ والتَّمييزِ، سُمِّيتِ النُّفوسِ عِنْدَ ذَلِكَ عاقِلَةً. والعَقلُ الإنسانيُّ، ليسَ هُو سِوى النَّفْسِ الإنسانيةِ التي صارَتْ علامَةً بالفِعْلِ بَعدَما كانتْ علامَةً بالقُوَّةِ. وإنَّما صارَتْ علامَةً

بالفعْلِ بَعدَما حَصَلَ فيها صُورُ هُويِّةِ الأشياءِ بِطَريقِ الحَواسِّ، وصُورُ ماهيَّتِها بِطَريقِ الفِكْرِ والرَّوِيةِ.

المُسلَّماتُ والبَديهياتُ

إنّ أوائِلَ العُقولِ وأوائِلِ المَعلوماتِ هِيَ ما نسمِّيها بالمُسلَّماتِ والبَديهياتِ، وهِيَ الأشياءُ التي يَعلَمُه العُقلاءُ كُلُّهُم فلا يَختلِفونَ فيها إذا تأمَّلُوها وأمْعَنوا النَّظَرَ فيها؛ وإنّما اختِلافاتُهُم تكونُ في الأشياءِ التي تُعلَمُ بِطَريقِ الاستِدلالِ والقِياسِ، أمّا سَبَبُ اختِلافِهِم فِيها فَكثْرَةُ طُرُقِ وفُنُونِ المَقاييسِ وكيفيةِ استِعمالِها. وتُسمّى أوائلَ في العُقولِ لأنّهُ يَحصَلُ في نُفوسِ العُقلاءِ باستِقراءِ الأُمورِ المحْسُوسةِ شَيئا بَعْدَ شَيءٍ، وتَصَفُّحِها جُزءًا بَعْدَ جُزْءٍ، وتأمُّلِها شَخْصًا بَعْدَ شَخْصٍ، فإذا وَجَدَوا مِنها أشخاصًا كثيرةً تشمِلُها صَفةٌ واحِدةٌ حَصَلَ في نُفوسِهم بهذا الاعتبارِ؛ أنَّ كُلَّما كانَ مِنْ جِنْسِ ذلِكَ الشَّخْصِ ومِن جِنْسِ ذلك الجُزءِ، فهذا حُكْمُهُ، وإنْ لم يَكونُوا يُشاهِدُونَ جَميعَ أجزاءِ ذلكَ الجِنْسِ.

قواعدُ في القِياسِ

(١) **المَعلولُ لا يُوجَدُ قَبْلَ العِلَّةِ**: هذا بيِّنٌ في أوائلِ العُقولِ، فالمَعلولُ لا يكونُ قَبْلَ العِلَّةِ، وبِسبَبِ أنَّهُما مِن جِنْسِ المُضافِ فَيُوجَدانِ مَعًا في الحِسِّ، وإنْ كانتْ العِلّةُ قَبْلَ المَعلولِ بالعَقلِ فَرُبَّما ذَلِكَ يُشكِلُ،

فلا تَتبيَّنُ العِلَّةُ مِنَ المَعلولِ؛ مِثالُ ذَلِكَ إذا سُئِلَ: ما عِلَّةُ طُولِ النَّهارِ في بَلَدٍ دُونَ بَلَدٍ، فيَقول: كَونُ الشَّمسِ فَوقَ الأرضِ هُناكَ زَمانًا أطولَ. وإذا عَكَسَ هذهِ القَضيةَ وقِيْلَ: كُلُّ بَلَدٍ يَكونُ فِيهِ مُكْثُ الشمسِ فَوقَ الأرضِ أكثرَ، فنَهارُهُ أطولُ، فَتَصْدُق، فيَخفى على كثيرٍ مِمَّنْ لَيستْ لَهُ بذلِكَ العِلْمِ، أيّهُما عِلَّةٌ للآخَرِ، أكَونُ الشمسِ فوقَ الأرضِ لِطُولِ النهارِ؟ أمْ طُولِ النهارِ لِكونِ الشمسِ فوقَ الأرضِ؟.

(٢) **لا يَستَعمِلُ البُرهانُ الأعراضَ المُلازِمَةَ وإنّ عِلَّةَ الشيءِ مِن ذاتياتِه، وكَونَ المُقدِّمةِ كُلِّيَّةً**: لا يُستَعمَلُ في البُرهانِ الأعراضُ المُلازِمةُ، لأنَّ الأعراضَ المُلازِمةَ لا تُفارِقُ الأشياءَ التي هِيَ لازِمَةٌ لها، كما أنّ العِلَّةَ لا تُفارِقُ مَعلولَها، وذلِكَ أنَّه متَى حُكِمَ على شيءٍ بأنَّه مَعلولٌ، فَقَدْ وَجَبَ أنّ لَهُ عِلَّةً فاعِلَةً لَه. والأعراضُ المُلازِمةُ، وإنْ كانتْ لا تُفارِقُ، فليستْ هِيَ فاعِلَةً لَهُ. مِثالُ ذلِكَ أنّ المَوتَ، وإنْ كانَ لا يُفارِقُ القَتلَ، فإنَّه ليسَ لَه بِعِلَّةٍ، ولا القَتْلُ أيضًا عِلَّةٌ لِلمَوتِ ذاتيَّةٌ، إذْ قد يكونُ مَوتْ كثيرٍ بلا قَتلٍ، فلا يكونُ مَعلولٌ بِلا عِلَةٍ. وإمّا أنْ تكونَ العِلَّةُ ذاتيةً للشيءِ، فإنَّما مِن أجلِ أنَّه قدْ يكونُ للشيءِ الواحدِ عِلَلٌ عَرضِيةٌ، ولكِنَّها لا تكونُ مُستَمِرَّةً في جميعِ

أنواعِ ذلكَ الجِنْسِ، ولا جميعِ أشخاصِ النوعِ، كالقتْلِ الذي هُو عِلَّةٌ عَرضيةٌ لِلموتِ غيرُ مُستَمِرَّةٍ في جميعِ أنواعِه، ولكنْ تحتاجُ أنْ تكونَ العِلَّةَ ذاتيةٌ، حتّى تكونَ القضيةُ صادقةً قَبْلَ العَكْسِ وبَعْدَهُ، كَقولِكَ: كُلُّ ذي لَونٍ فهُو جِسْمٌ، فإذا عَكَسْتَه وقُلْتَ: وكُلُّ جِسْمٍ فهُو ذُو لَونٍ، لأنَّه لا يُوجَدُ شيءٌ ذُو لَونٍ إلاّ وهُو جِسْمٌ، فإذًا الجِسْمُ عِلَّةٌ ذاتيةٌ لِذي اللونِ.

أمّا أنْ تكونَ المُقدِّمةُ كُلِّيَّةً، فمِنْ أجْلِ أنَّ المُقدِّماتِ الجُزئيةَ لا تكونُ نتائِجُها ضَروريةً ولكِنْ مُمكِنَة، كَقَولِكَ: زَيْدٌ كاتِبٌ، وبَعضُ الكُتَّابِ وَزيرٌ، فيُمكِنُ أنْ يكونَ زيدٌ وَزيرًا، وأمّا إذا قِيلَ: كُلُّ كاتِبٍ فَهُو يَقْرأ، وزَيْدٌ كاتِبٌ، فإذا زَيْدٌ بالضَّرورةِ قارِئٌ.

(٣) **الحُكْمُ بالصِّفاتِ الذّاتيةِ**: أنْ يكونَ المَحمولُ في المَوضوعِ كَونًا أوَّليًّا، فالمَوضوعاتُ على نَوعينِ: مِنها أوَّليات، ومِنها ثوانٍ، مِثالُ ذَلِكَ: كونُ ثلاثِ زوايا في كُلِّ مُثلَّثٍ أمْرًا أوَّليًّا لأنَّها الصُّورةُ المُقوِّمَةُ لَهُ، أمّا أنْ تكونَ الزَّوايا حادَّةً أو قائِمةً أو مُنفَرِجةً فهُو أمْرٌ ثانٍ. فَقَدْ استَبانَ أنّه لا يُستعملُ في القِياسِ البُرهانيِّ إلاَّ الصِّفاتِ الذاتيةَ الجَوهريةَ، وهِيَ الصُّورَةُ المُقوِّمةُ للشيءِ، وبِها يكونُ ذلِكَ الحُكْمُ المَطلوبُ الذي يَخرُجُ في النتيجةِ الصَّادِقةِ.

والصفاتُ الذاتيةُ الجوهريةُ ثلاثةُ أقسامٍ: جِنسيةٍ ونوعيةٍ وشخصيةٍ:

- كُلُّ صفةٍ جنسيةٍ تَصدقُ عندَ الوصفِ على جميعِ أنواعِ ذلكَ الجِنسِ ضَرورةً.
- كُلُّ صِفةٍ نوعيةٍ تَصدُقُ على جميعِ أشخاصِ ذلكَ النوعِ عندَ الوصفِ لها. فهَذهِ الصفاتُ هِيَ التي تَخرجُ في النتيجةِ صادِقةً، لِذلِكَ تُستعملُ في البُرهانِ ويُحكَمُ بِها.
- أمّا الصفاتُ الشخصيةُ فإنّه ليسَ مِن الضرورةِ أنْ تَصدُقَ على جميعِ النوعِ، ولا كُلُّ صِفةٍ نوعيةٍ تصدقُ على جميعِ الجِنسِ، فلا تُستعملُ في البُرهانِ، ولا يُحكَمُ بِها حُكْمٌ حَتميٌّ، ولا تُستعمَلُ للحُكْمِ اليقينيِّ.

إنّ الحُكماءَ والفلاسِفَةَ ما وضَعوا القياسَ البُرهانيَّ إلاّ لِيعلَمُوا بِه الأشياءِ التي لا تُعلَمُ إلاّ بالقِياسِ، وهِيَ الأشياءُ التي لا يُمكِنُ أنْ تُعلَمَ بالحِسِّ ولا بأوائلِ العُقولِ، بلْ بِطَريقِ الاستِدلالِ وهُوَ المُسمّى البُرهانُ. فَلِكُلِّ صِناعةٍ أهلُها، ولأهْلِ كُلِّ صِناعةٍ أُصولٌ في صِناعَتِهِم، هُم مُتَّفِقونَ عليها، وأوائلُ في عُلومِهِم لا يَختلِفُونَ فيها، لأنَّ أوائلَ كُلِ صِناعةٍ مأخُوذةٌ مِن صِناعةٍ أُخرى قَبْلَها في الترتيبِ. وصِناعةُ البُرهانِ نَوعانِ: وأوائلُ صِناعةِ البُرهانِ

مأخُوذةٌ ممّا في بِدايةِ العُقولِ، وأنَّ التي في بِدايةِ العُقولِ مأخُوذةٌ أوائِلُها مِن طَريقِ الحَواسِّ.

مثال: راجت في هذه الأيام الأصول الرقمية Digital Assts وذلك بعد انتشار تقنيات البرمجيات السحابية Clouding والعملات المشفرة Cryptocurrency وغيرها من أشياء، والتي صارت تُعرف بالأصول الرقمية، وقد تختلف طريقة قياس قيمتها، لكن بعد الاعتراف بها تضاف إلى أصول الشركة المالكة. وهذه لا يُعلم قياسها بالحس كالأصول الثابتة وهي قريبة من الأصول الوهمية لكنها ليست منها، ولا بالقياس بأوائل العقول أي البديهيات، بل تحتاج إلى الرد إلى الصناعة التي تنتمي إليها ليتم التعبير عنها بما يناسب تلك الصناعة.

المقاصِدُ التي ينبغي اعتِمادُها بالتأليفِ وإلغاءِ ما سِواها

إنّ الناسَ حصَروا مقاصِدَ التآليفِ التي ينبغي اعتمادها وإلغاءَ ما سِواها؛ فعَدُّوها سبعةً[1]:

أوّلها: ابتكارُ ما لم يُسْبَق

استنباطُ العِلم بمَوضُوعِه وتقسيمِ أبوابِه وفُصولِه وتتبُّعِ مسائلِه، أو استنباطِ مسائِل ومباحثَ تعرضُ للعالِم المحقِّقَ ويَحرصُ على إيصالِه بِغَيره؛ لِتَعُمَّ المنفعةُ به فيودع ذلكَ بالكتاب في المصحفِ؛ لعلَّ المتأخِّر يظهرُ على تلك الفائدةِ، كما وَقَعَ في الأصولِ في الفِقه؛ فقَد تكلَّم الشافعي أوّلاً في الأدلَّةِ الشرعيةِ اللفظيّة ولخصَّها (وأصَّلها كِتابةً)، ثمَّ جاء الحنفيّة فاستنبطوا مسائِلَ القياسِ واستوعبُوها، وانتفعَ بذلكَ مَن بَعدَهُم إلى الآن.

وثانيها: شرحُ المستغْلَقِ

أن يقفَ على كلام الأوَّلينَ وتآليفِهم فيجدُها مُستغْلقةً على الأفهامِ ويفتح اللّهُ له في فهمِها فيحرصَ على إبانةِ ذلك لِغَيره ممّن عساهُ يستغلقُ عليه؛ لتصلَ الفائدةُ لِمستحقِّها. وهذه طريقةُ البيانِ لكُتب المعقولِ والمنقول، وهو فصلٌ شريقٌ.

وثالثُها: تصحيحُ الخطأِ في كلامِ المتقدِّم

[1] ابن خلدون، المقدمة، الفصل الخامس والثلاثين.

أن يعثرَ المتأخِّرُ على غَلطٍ أو خطأٍ في كلامِ المتقدِّمينَ ممَّن اشتهرَ فضلُه وبَعُدُ في الإفادةِ صيتهُ، ويستوثقُ في ذلك بالبرهانِ الواضحِ الذي لا مدخلَ للشكِّ فيه؛ فيحرصَ على إيصالِ ذلك لِمن بعدَهُ؛ إذ قد تعذَّرَ محوُه ونزعُه بانتشارِ التآليفِ في الآفاقِ والأعصار، وشُهرَةِ المؤلِّفِ ووثوقِ الناسِ بمعارفِه؛ فيودعَ ذلك الكتابَ ليقفَ على بيانِ ذلك، أو لعل الخطأ بان نتيجة تغيرات حدثت بعد كلام المتقدم.

ورابِعُها: إتمامُ الناقصِ

أن يكونَ الفنُّ الواحِد قد نقَصَتْ منه مسائلُ أو فصول بحسبِ انقسامِ موضُوعِه فيقصدَ المطلّع على ذلك أن يتمِّمَ ما نقصَ من تلك المسائلِ؛ ليُكمِّلَ الفنَّ بكمالِ مَسائلِه وفُصولِه، ولا يبقى للنقصِ فيه مجالٌ.

وخامِسُها: ترتيبُ المختلطِ

أن تكونَ مسائلُ العِلْمِ قد وقعَتْ غيرَ مرتَّبةٍ في أبوابِها ولا منتظمةٍ؛ فيقصِدَ المطلِّعُ على ذلك أن يُرتِّبَها ويُهذِّبَها، ويجعلَ كلَّ مسألةٍ في بابِها، كما وقعَ في المدوَّنة من روايةِ سُحنونٍ عن ابنِ القاسِم، وفي العُتبيّةِ من روايةِ العُتبيِّ عن أصحابِ مالك، فإنّ مسائلَ كثيرةً من أبوابِ الفقْه منها قد وقعتْ في غَير بابِها فهذَّب ابنُ أبي زيدٍ المدوَّنة وبقيتِ العُتبيَّة غير مُهذَّبةٍ؛ فنَجِدُ في كلِّ بابٍ مسائلَ من غَيرِه. واستغنَوا بالمدوَّنة وما فعلَه

ابنُ أبي زيدٍ فيها والبرادعيُّ مِن بَعدِه. وقد يكون السبب في الاختلاط بسبب النسّاخ لأن العادة كانت أن الفقيه يتكلم وتلامذته ينسخون ما يكتبه ثم يجمعونه.

وسادِسُها: جمعُ المفرَّقِ

أن تكونَ مسائلُ العِلْمِ مُفَرَّقةً في أبوابِها مِن عُلومٍ أُخْرى فيتنبَّه بعضُ الفُضلاءِ إلى موضوعِ ذلك الفنِّ وجميعِ مسائلِه؛ فيفعلَ ذلك، ويظهرُ به فنٌّ ينظِّمُه في جُملةِ العلومِ التي ينتحِلُها البَشرُ بأفكارِهم، كما وَقَعَ في عِلْمِ البيانِ. فإنّ عبدَ القاهر الجرجاني وأبا يوسف السكاكي وجدا مسائله مستقرية في كتب النحْو وقد جمعَ منها الجاحِظ في كتابِ "البيان والتبيين" مسائلَ كثيرةً، تنبَّهَ الناسُ فيها لموضوعِ ذلك العِلم وانفرادِه عن سائرِ العلومِ؛ فكُتبتْ في ذلكَ تآليفُهم المشهورةُ، وصارتْ أُصولاً لِفَنِّ البيانِ، ولقَّنَها المتأخِّرونَ فأربَوا فيها على كُلِّ مُتقدِّمٍ.

وسابِعُها: تلخيصُ المطوَّل

أن يكونَ الشيءُ مِن التآليفِ التي هي أمَّهاتٌ للفنونِ مُطوَّلاً مُسهبًا فيُقصدَ بالتآليفِ تلخيصَ ذلك بالاختصارِ والإيجاز وحَذْفِ المتكرِّر – إنْ وَقَعَ – مع الحذَرِ من حَذْفِ الضَّروريّ؛ لِئلا يخلَّ بمقْصِدِ المؤلِّف الأوّل.

فهذهُ المقاصِد التي ينبغي اعتمادُها بالتأليفِ ومُراعاتِها. وما سِوى ذلك فِفعلٌ غَير مُحتاجٍ إليه وخطأ عن الجادَّةِ التي يتعيَّنُ سلوكُها في نظَر العُقلاء؛ مِثل انتحالِ ما تقدُّمِ لِغَيره من التآليفِ أن يَنسِبَه إلى نفْسِه ببعضِ تلبيسٍ، مِن تبديلِ الألفاظ وتقديمِ المتأخِّر وعكسِه، أو يحذِفَ ما يحتاجُ إليه في الفنِّ، أو يأتي بما لا يُحتاج إليه، أو يُبدِلَ الصَّوابَ بالخطأِ، أو يأتي بما لا فائدةَ فيه. فهذا شأنُ الجَهْلِ والقِحَةِ. ولذا قال أرسطُو، لما عدد هذه المقاصد، وانتهى إلى آخرِها فقال: وما سِوى ذلك ففَصلٌ أو شَرَهُ؛ يعني بذلكَ (الجهْلَ والقِحَةَ). نعوذُ باللهِ من العَملِ فيما لا ينبغي للعاقلِ سُلوكُه. واللهِ يَهدي للتي هِي أقومُ.

المبحث السادس
اختيار مشكلة البحث وعنوانه

يُعتبَرُ اختِيارُ مَوضُوعِ الرِّسالةِ مَهمَّةً تَقَعُ على عاتِقِ الطالبِ، ويُساعِدُهُ مُشرِفُهُ في ذلكَ أحيانًا، ويَحتاجُ المَوضوعُ إلى عُنوانٍ فريدٍ ومُمَيَّزٍ (ابتِكارٌ وتَمَيُّزٌ).

وإنّ كثِيراً مِن الباحِثينَ يَبحثونَ عن عُنوانٍ لِرَسائِلِهم العِلميةِ قَبْلَ التفكيرِ بِمَوضوعِهِ ومَجالِهِ، وهذا مِمّا يَجعلُ عمليةَ الاختيارِ غيرَ مُجْدِيَةٍ. فاختِيارُ العُنوانِ ليسَ أمْرًا سهْلاً بلْ هُو أصْعَبُ مَرحَلَةٍ، حيثُ تُعتبَرُ مُوافقةُ القِسْمِ ومَجلِسِ الكُلِّيَّةِ قَيداً عليهِ. وقدْ يَستغرِقُ ذلكَ أشهُرًا دُونَ أنْ يَصِلَ الطالبُ إلى نتيجةٍ إذا لمْ يأخُذْ بِعَينِ الاعتِبارِ مَجموعةً مِن الإجْراءاتِ المُساعِدَةِ.

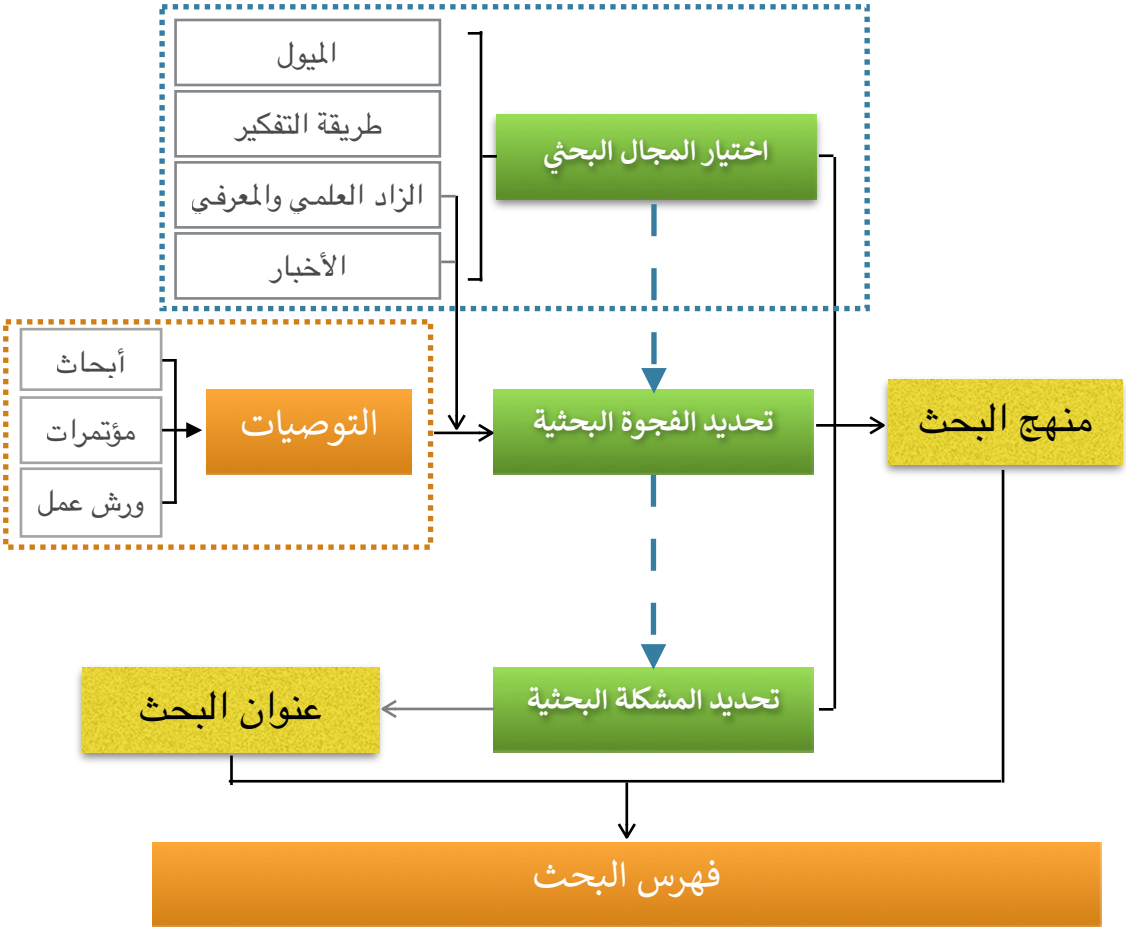

شكل يوضح تداخل عناصر أدوات البحث العلمي اختيار عنوان البحث

ولمزيد عن المناهج المميزة، يمكن الاطلاع على ملحق: نماذج فريدة في اختيار المنهج.

اعتباراتِ شخصيَّة الباحث

ينبغي على الباحِثَ أوّلاً مُراعاةُ اعتباراتِ شخصيَّتِه في الاختيارِ، ومِن ذلكَ:

- رَغبتُه الذاتيةُ.
- قُدراتُه وإمكاناتُه.
- اهتماماتُه وقِراءاتُه السابقةُ.
- اختِصاصُهُ الدقيقُ.

ثم لابدَّ من اعتباراتٍ في الموضوعِ، ومنهَا:

- جِدَّةُ المَوضوعِ وأصالتُه.

فكَما أوضَحنا بأنّ الدِّراساتِ قدْ تكونُ تفسيريةً أو إيجابيةً، مِمّا يُوجِبُ على الباحِثِ مَعرِفةَ صفاتِه الشخصيةِ للمَيلِ لِنوعٍ يُناسِبُ قُدراتِه الشخصيةِ والعِلميةِ، فلو كانتْ مُيولُه للرِّياضياتِ غيرَ مَوجُودةٍ فلابُدَّ أنْ يبتعِدَ عن الدِّراساتِ الكَمِّيَّةِ والعَكسُ بالعَكسِ. وإنْ كانتْ شخصيَّتُه قِياديَّةً ابتِكاريَّةً فعلَيه أنْ يَطرقَ بابًا يُوصِلُه لابتِكاراتٍ لمْ يَسبِقْه أحدٌ إليها، أوْ أنْ يُجَدِّدَ مَعلوماتٍ لمْ يَسبِقْه إليها أحدٌ، فإذا فَقدَ صِفةَ حُبِّ الإقْدامِ على ما هُو جديدٌ فإنَّ الدِّراساتِ التفسيريةَ قدْ تُشبِعُ فُضولَهُ العِلميَّ.

الاعتِباراتُ البَحثيةُ

أمّا الاعتِباراتُ البَحثيةُ التي يَجِبُ عليهِ مُراعاتُها عندَ اختِيارِهِ مُشكلَةَ بَحثِه والتي تُمثِّلُ عصْفًا ذِهْنيًّا لَه، فهِي:

- التفكيرُ باختِياراتِه مُنذُ بَدْءِ سَنواتِ دِراستِه العُليا، وألاّ يَنتَظِرَ وُصولَهُ لِمَرحلةِ تسجيلِ رِسالةِ البَحثِ، فالتَّعرُّفُ على المَوضوعاتِ البَحثيةِ يَحتاجُ وقْتًا وتمحِيصًا. وشخصيًّا حَدَّدتُ مَجالَ بَحْثِي مُذْ كنت في سَنتِي الأُولى مِن البَكالوريوس عِندَما سَمِعَت أساتذتي في المُحاضَراتِ يقولونَ أشياءَ في الإدارةِ والاقتِصادِ والمُحاسَبةِ مُخالِفَةً للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ فَقَرَّرت وعَقَدت العَزْمَ على أنْ تكون دِراساتِي العُليا في مَجالِ الاقتِصادِ الإسلاميِّ أو أحدِ فُروعِه وعلى ذلكَ عَمِلَت وحَقّقَ اللهُ المُرادَ بِعَونِه وتَوفِيقِه.
- الاطلاعُ على قائِمةِ الأبْحاثِ المُقتَرَحةِ في قِسْمِ تَخصُّصِه، ومُناقَشةِ أساتِذَتِه حَولَ ذلكَ.
- الاطلاعُ على قائِمةِ الأبحاثِ والاحتِياجاتِ التي تُحَدِّدُها بَعضُ المُؤسَّساتِ الخاصَّةِ والحُكومِيةِ. وهذا ما يُساعِدُهُ في اختِيارِ مَوضوعٍ لهُ تطبيقاتُه العَمليةُ وكما يُساعِدُهُ أيضًا في اختِيارِ حَياتِه العَمليةِ. وهذا ما فَعلتُه في رِسالةِ الماجستير حين اخترتُ مَوضوعًا في إدارةِ

الصِّيانَةِ لأنَّ سُوريةَ كانت تُعاني مِن انقطاعِ التيارِ الكَهربائيِّ ل ١٨ ساعةً يوميًّا وقد تَبيَّنَ أنَّ السَّبَبَ في ذلِكَ يَعودُ لِصيانةِ عنفاتِ توليدِ الكهرباءِ وتوابعِها.

- القِراءةُ المُكثَّفةُ في مَجالِ اهتِمامِه، فإنْ رَغِبَ في مَوضوعٍ مِن مَجالٍ مُحدَّدٍ وَجَبَ عليه قِراءةُ عشراتِ الكُتُبِ والمَقالاتِ في هذا المجَالِ للتَّعرُّفِ على النقصِ في بعضِ المَوضوعاتِ التي قامَ بالاطلاعِ عليها.
- مُتابَعةُ توصياتِ المُؤتمَراتِ وورَشاتِ العَملِ والنَّدْواتِ العِلميةِ ذاتِ الاختِصاصِ فَقَدَ يَجِدُ فيها ضالَّتُه المَنشودَةَ.
- حُضورُ مُناقشاتِ رَسائلِ الماجستيرِ والدكتوراه ومُتابعةُ توصياتِ تِلكَ الرَّسائلِ، فبَعضُ الرَّسائلِ المُتميِّزةُ تُقدِّمُ أفكاراً تَستحِقُّ العَملَ عليها ضِمْنَ توصياتِها.
- مُتابَعةُ وسائلِ الإعلامِ التي تُقدِّمُ أفكاراً تَصلُحُ لِتكونَ مَشاكِلَ بَحثيةً، وبخاصَّة وسائلِ الإعلامِ الاقتصاديةِ إنْ كانَ مَجالُه الاقتصادَ، والوسائلِ الاجتماعيةِ إنْ كانَ مَجالُه الاجتماعياتِ، والوسائلِ العلميةِ إنْ كانَ بَحثهُ مُتخصِّصًا في الطِّبِّ أو الصَّيدَلةِ أو التكنولوجيا وهَكذا.

استخدامَ الأدواتِ البَحثيةِ

ينبغي على الباحثِ أن يَضَعَ نُصْبَ عَينَيهِ استخدامَ أدواتٍ بَحثيةٍ تُساعِدُ في:

- أنْ تكونَ طريقةُ المُعالجَةِ والنتائجِ النهائيةِ فريدةً مُتميِّزةً.
- أنْ يُقدِّمَ إثراءً للمَعرِفةِ البَشريةِ، وإضافةً لها.
- إظهارِ شَخصيَّتِه البَحثيةِ.
- أنْ يَكونَ بَحثُهُ سِجلاً تاريخيًّا علميًّا لَهُ.

وفي الحالاتِ كُلِّها لابُدَّ أنْ يكونَ مَوضوعُ بَحثِه جَديداً، وعُنوانُه لمْ يُسبَقْ تَسجيلُه أو دِراستُه، حتّى يستطيعَ أنْ يُحقِّقَ قِيمةً مُضافةً.

الاعتِباراتِ الفنِّيةِ

أمّا أهمُّ الاعتِباراتِ الفنِّيةِ التي يَجِبُ أن يُراعِيَها فهِيَ:

- تُعتبَرُ وَفْرَةُ المَراجِعِ والمَعلوماتِ المُتعلِّقةِ بِمُشكِلَةِ البَحثِ، مُشكِلَةً مُستَمِرَّةً وهذا مِن طبيعةِ البَحثِ العِلميِّ، فَقدْ يَنْدُرُ وُجودُ المَراجِعِ ممّا يَزيدُ صُعوباتِ الباحِثِ لكنَّها لنْ تجعلَهُ يَقِفُ نِهائيًا إذا توافرتْ فيه صِفاتُ الباحِثِ الحقيقي مِنْ حيثُ الدَّأبُ والجَلَدُ والأمانَةُ والقُوَّةُ والإِخلاصُ للهِ سُبْحانه وتَعالى. وللهِ دَرُّ الشافعيّ القائلِ:

أخِي لنْ تَنالَ العِلْمَ إلاّ بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عنْ تفْصِيلِها ببَيانِ

ذَكاءٍ وحرصٍ واجْتِهادٍ وبُلْغَةٍ وصُحْبَةِ أُستاذٍ وطولِ زَمانِ

ويَترتَّبُ على الباحِثِ أنْ يُراسِلَ الجِهاتِ ذات الاختِصاص مَحلِّيًّا وعَالَمِيًّا، وفِعْلاً قُمتُ خلالَ رسالةِ الماجستيرِ بمُراسلَةِ مُختلَفِ شَركاتِ ومَعامِلِ الإسْمنتِ في الوطنِ العربيِّ وأوروبا، فكانتِ الرُّدودُ مُختلِفةً جِدًّا فمِنهُم مَنْ رَفَضَ ومِنهُم مَنْ قدَّمَ شيئًا بسيطًا ومِنهُم مَنْ كالَ لِي بالكلامِ المُحبِطِ، لكنَّ شركةَ إسمنت الجنوبِ في المَملَكَةِ العَربيةِ السعوديةِ قدَّمَتْ لِيَ الكثيرَ عَبْرَ المُراسلَةِ ممّا أغنى البَحثَ وجَعلَهُ يَخرجُ بثوبٍ ابتكاريٍّ حتّى أنَّ جامعةً عربيةً سعوديةً ذاتَ ترتيبٍ عالَميٍّ مُتقدِّمٍ طلبَتِ البَحثَ لِيكونَ مُشتركًا بوصْفِه المَرجعِ العربيِّ بهذا الرُّقيِّ، كما اعتمَدَ عليه كثيرٌ مِن المُدرِّبينَ في دَوراتِهُم التدريبيةِ في الوطنِ العربيِّ.

- قد تعترِضُ الباحِثَ صُعوباتٌ تتمثَّلُ بِعَدَمِ تقديمِ الجِهَةِ التي سَيُطبِّقُ فيها بَحثَهُ أيَّةَ تسهيلاتٍ بحُجَجٍ مُختلِفةٍ، وعليه أنْ يتدبَّرَ أمْرَهُ، فقدْ واجَهتني هكذا صُعوبةٌ عندما اخترْتُ تطبيقَ بحثِ الماجستير خاصة في مَعملِ إسمنت حمَاة وزوَّدتني الجامعةُ بكتابٍ رَسْميٍّ لتسهيلِ عَملي لَكِنَّ الإدارةَ العُليا مُمَثَّلةً بالمُديرِ العامِّ رَفَضَ ذلكَ، فاضْطُرِرْتُ إلى

التعامُلِ مَع المُستوياتِ الإداريةِ الوسْطى لِتسهيلِ عَمَلي وفِعلاً كانوا مُمَيَّزينَ في تقديمِ مُساعدتِهم ودَعمِهم لِي.

- يَجبُ على الباحِثِ أنْ يُسوقَ فِكْرَتَهُ لِيتأكَّدَ مِن أنّ بَحثهُ سَيضيفُ شيئًا جَديدًا وأنّهُ سيتوصّلُ إلى حقائقَ غيرِ مَعروفةٍ.
- يجبُ أنْ تكونَ مُشكِلَةُ البَحثِ جذّابةً بِحَيثُ تشدُّ إليها اهتِمامَ الباحِثينَ الآخرِينَ. فعندما فَكَّرْتُ بتسجيلِ بَحثي حولَ المُحاسَبةِ الإسلاميةِ رَغْبَةً مِنِّي في بِناءِ نَظريَّةٍ مُحاسَبيَّةٍ إسلاميةٍ، اسْتهْجَنَ كثيرونَ فِعلي – وأقصِدُ الأساتذةَ والزُّملاءَ مِمَّنْ يَدرُسونَ – وأذكُرُ أنِّي قابلْتُ أساتذةً مُخْتصِّينَ في جامِعاتِ دِمشقَ وحَلبَ ثُمَّ زُرْتُ جامِعةَ بَيروت العَربية وجامِعةَ الأزْهَرِ، وزُرْتُ مُؤسَّساتٍ ماليةً في الأُرْدُنِّ ودُبيِّ والسعوديةِ، فمِنهُم مَن أيَّدَ ومِنهُم مَن عارَضَ ومِنهُم مَن قدَّمَ الدَّعْمَ المَعنويَّ وهذا ما كُنتُ أبْحَثُ عنهُ. والمُفيدُ بالأمْرِ أنَّ مُعارَضَةً شَديدةً واجَهتني استمرتْ لِخَمْسِ سَنواتٍ مُتتالِيةٍ حتّى قُبِلَ تَسجيلي، ثُمَّ بَعْدَ حُصولي على دَرَجَةِ الدكتوراه – وللهِ الحَمْدُ والمِنَّةُ – حاولَ بَعضُ الأساتذةِ الإساءةَ للبَحْثِ وتَحْجيمِه، ويا للأسفِ حاولَ قِسْمُ الدراساتِ العليا ثَنْيَ عَزْمِ كثيرٍ مِنَ الطُّلاَّبِ الذينَ أرادُوا أنْ يُكمِلُوا المَسيرةَ البَحثيةَ التي بَدأتُها. لكنْ بمُرورِ السَّنواتِ تكسَّرَتْ تِلكَ المُعارَضَة

وصارتْ مِن التاريخِ بلْ انقلبَ العديدُ مِن المُعارِضينَ إلى رُكوبِ مَوجَةِ التغييرِ بَعدَما تبيَّن لهُم أنَّهم ليسُوا على حَقٍّ، وأنَّهُم إنِ استمرُّوا على ما هُمْ عليه فسيكونُ مَصيرُهُم التغريدَ خارِجَ السِّربِ. وهذا ليسَ مِن مَصلَحَتِهِم. فسُبْحانَ مُقلِّبِ القلوبِ ومُغَيِّرِ القناعاتِ، وإنَّ الرُّجوعَ إلى الحَقِّ خَيرٌ مِنَ التَّمادِي في الباطِلِ.

- بعدَ تحديدِ المشكلة البحثيّة يتمُّ وَضْعُ عُنوانِ البحث، والأصحُّ أن يتمَّ وضْع مجموعةِ عَناوينَ ذاتِ علاقةٍ، ثمَّ يتمُّ دِراسَتُها ومُقاطعَتُها والتركيزُ على ما يُظهِرُ جِدَّةَ الموضوعِ وحَداثَتَهُ وُصولاً لِعُنوانٍ يُعبِّرُ عن المشكلةِ البحثيَّة موضوع البحث.
- بعد تحديدِ العُنوانِ تصبحُ نقاطُ البحثِ واضحةً؛ حيث يتمَّ عادةً اجتزاءُ العُنوان إلى عناصِره؛ لتحديدِ الفُصولِ الأساسية الواجبِ البحثُ فيها، ثمَّ يُنظَرُ لِمدى الحاجةِ لِفُصولٍ تمهيديَّة أو مُساعِدة للشرحِ والبيانِ؛ فقد يحتاجُ البحثُ إلى تطبيقٍ على أرضِ الواقع ممّا يستلزِمُ – أحيانًا – إلحاقَ الجزءِ النظريِّ بآخَرَ عمليٍّ يُحقِّقُ مَضامينُه ويَسيرُ على هُداه. فإذا كان العُنوان مَثلاً: "أثرُ الضوابط الشرعية للأدوات المالية الإسلامية على سُوق الأوراق المالية"، فهذا يَلزَمُه فصلٌ للضوابطِ الشرعية يُعَرِّفُها ويُبيِّنُها، ثمَّ فَصلاً للأدواتِ المالية الإسلامية، ولا بُدّ

مِن فصلٍ يسبقُ ذلك للتكلُّمِ عن السوقِ المالية عُمومًا والإسلاميةٍ خُصوصًا وهذا يعني الكلامَ عن الاستثمارِ؛ لأنّ السوقَ الماليّ موطِنَه ومَحلَّه.

المبحث السابع
أجزاء خطة البحث العلمي

صَفْحَةُ الغِلافِ

يتمُّ تصميمُ صفحةِ الغِلافِ، ويُدوَّنُ فيها اسمُ الجامِعةِ، وشِعارُها، ثُمَّ الكُلِّيَّةِ والقِسْمِ، ثمَّ يُدوَّنُ اسمُ البَحثِ في وسطِ السَّطرِ، وفي وسطِ السَّطرِ الذي يليهِ يُذْكَرُ اسمُ الطالبِ، وكذلك اسمُ مُشرِفِهِ، ثمّ بنهايةِ الصَّفْحَةِ يُدوّنُ العامُ الجامِعيُّ. ومِثالُ ذلكَ الشَّكْلُ التالي:

جامعـــةُ حَـلبَ
كُلِّيَّةُ الاقتِصـــاد
الدِّراساتُ العُليا
قِسْـــمُ المحُاسَـبَة

دَوْرُ الحَضَارَةِ الإِسْلامِيَّةِ في تَطويرِ الفِكْرِ المحُاسَبيِّ

The Role of Islamic Civilization
In Developing Accounting Thought

رِسالَةٌ قُدِّمَتْ لِنَيلِ دَرَجَةِ الدكتوراه في المحُاسَبَةِ

إعداد
سامِر مُظهَر قنطقجي

٢٠٠٢-٢٠٠٣ م

أمّا خُطواتُ إعدادِ خُطَّةِ البَحثِ لِنيلِ دَرَجَتَي الماجستير أو الدكتوراه كمثالٍ عمليٍّ، فهِيَ[1]:

أوّلاً: اختِيارُ مَوضوعِ البَحثِ مع الابتِعادِ عن المَوضُوعاتِ التي سَبَقَ أنْ كُتِبَ فيها أبْحاثٌ ورَسائلُ. ويَجِبُ توضيحُ مَدى اتِّصالِ مَوضوعِ البَحثِ وهَدفِه، ومَدى مُناسَبَتِها للوقتِ اللازمِ لإنْجازِها.

اختيارُ العُنوانِ المُناسِبِ

وضْعُ خُطَّةٍ

وتَضُمُّ الآتي:

- مُقدِّمَةٌ.
- أهمِّيَّةُ البَحثِ، وقِيمَتُهُ العِلميةُ: وتوضحُ الأهميّةُ مَدى مساهمَته النظريّةِ والتطبيقيّةِ دونَ تكرارِ أهدافِه التي يَسعى لإنجازِها.
- تحديدُ مُشكِلَةِ البَحثِ وفرْضِيّاته: تكونُ بتحديدِ المَوضُوعِ، وعَرْضِ أسئلةٍ، والفَرْضُ هو جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ تتطلَّبُ البَحثَ عنْ علاقةٍ بينَ مُتغيِّرينِ، أو فِكْرَتينِ، أو مَقولَتينِ، تجمَعُ المَعلُوماتِ اللازمةَ مِن مَصادِرِها، ويتمُّ التعرُّفُ على العلاقاتِ التي تربِطُ بينَها وبينَ غيرِها مِن المُتغيِّراتِ والأفكارِ. ثمَّ تُشكَّلُ الفَرْضِيَّاتُ، وتجُرى القِياساتُ للتأكُّدِ مِن

[1] مقتبس عن الورقة البحثية والبحث الصفي، خالد فراج، عضو هيئة تدريس في جامعة زايد / دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، بتصرف.

صِحَّةِ الفَرْضِيَّاتِ باختِبارِها ومُراجَعَتِها ومُوازَنَتِها. ثمَّ تُستخْلَصُ النتائِجُ بتفسيرِ ومُناقشَةِ ما تمَّ التوصُّلُ إليهِ مِنْ حلولٍ وكَشفِ العلاقاتِ وهِيَ (غايةُ البَحثِ).

- أسبابُ اختِيارِ البَحثِ وذلِكَ بالإجابةِ عن التساؤلِ: هلْ يستحِقُّ ذلِكَ بَذلَ الجَهْدِ ومُضِيَّ الوقتِ وإنفاقَ المالِ مِنْ أجْلِهِ؟، وتكون فرضِياتُ البَحثِ عَادَةً ذَات عَلاقَةٍ مُباشَرَةٍ بموضُوعِهِ.
- أهدافُ البَحثِ: وَهِي عِبَارَةٌ عَن إجابَاتٍ مُباشَرَةٍ لأسئلَةِ مُشكِلَةِ البَحثِ.
- مَنهجُ البحثِ.
- الدِّراساتُ السابِقةُ: وَيُوضَعُ في نِهايَتِها خُلاصتُها وَأَوجهُ الشَّبهِ وَالاختِلافاتِ فيما بَينها وَمَدى الاستِفَادَةِ مِنها في البَحثِ.
- الفِهْرِسُ المُقْتَرَحُ (فصولٌ ومَباحِثُ).
- رابعًا: بَعدَ أنْ يَفْرَغَ الطالبُ مِنْ إعدادِ خِطَّتِهِ الأوَّلِيَّةِ، يُقدِّمُ نُسخَةً مَطبوعةً عنها إلى إدارةِ الكُلِّيَّةِ، مِنْ أجْلِ إقرارِها، أو تعْديلِها، أو رَفْضِها. وبَعْدَ المُوافقةِ على الخِطَّةِ وتعيينِ أُستاذٍ مُشرِفٍ يُتابِعُ عمل الطالب حتى إنجازِ البَحثِ ومُناقشَتِهِ.

فِهْرِسُ البَحثِ (المُحتوياتُ)

يُوضَعُ في بدايةِ البَحثِ أو في آخِرِهِ، فإنْ كانَ فِهْرِسًا مُقترَحًا كما هُي الحالُ في خُطَّةِ البَحثِ فسَيتضمَّنُ توزيعَ الفُصولِ والأبحاثِ كما يُتوقعُ إنجازُها، وإنْ كانَ بعدَ إنجازِ البَحثِ واكتمالِه فيَذكرُ فيه الفُصولَ والمَباحِثَ الواردَةَ في البَحثِ حَسْبَ وُرودِها مُتسَلسِلةً، ويُوضَعُ كُلُّ عُنوانٍ رئيسٍ أو فرعيٍّ وما يُقابِلُه مِن رقمِ صَفْحَةٍ تَخُصُّهُ.

مثال:

الموضوع	الصفحة
الإهداءُ	
المُقدِّمة	
الفَصلُ الأوَّلُ	
المَبحْثُ الأوَّل:	
المَبحْثُ الثاني:	
...	
الفَصلُ الثاني	
المَبحْثُ الأوَّل:	
المَبحْثُ الثاني:	

الفَصلُ الثالِثُ	
...	
...	
النتائجُ والتوصِياتُ	
المراجِعُ والمَصادِرُ	

صَفْحَةُ المَصادِرِ والمَراجِعِ: تشمَلُ قائمةَ المَراجِعِ المُقترَحَةِ، وتُرتَّبُ صَفْحَتُها حَسْبَ أسماءِ المُؤلِّفينَ ترتيبًا ألفْبائيًّا، وهِيَ كما يلي: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي.

ويكونُ توثيقُ وترتيبُ المَعلوماتِ كما يلي:

توثيق المراجع

توثيقُ الكُتُبِ

لَقَبُ المُؤلِّفِ، اسمُ المُؤلِّفِ، (اسمُ الكِتابِ) ويكونُ بينَ قوسَينِ، مَكانُ النَّشرِ، دَارُ النَّشرِ، رَقْمُ الطَّبْعَةِ، عامُ النَّشْرِ، رَقْمُ الصَّفْحَةِ ورَقْمُ الجُزْءِ إنْ وُجِدَ.

مِثال:

الرَّافِعيِّ، مُصْطفَى صَادِق، (تاريخُ آدابِ العَرَبِ)، دارُ الكِتابِ العربيِّ، ط (٢)، بَيروت، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م، ص ٢٣٣ .

توثيقُ الدَّوريَّاتِ

كالصُّحُفِ والمجَلاَّتِ اليَوميّة والأُسبُوعيَّةِ والشَّهْرِيَّةِ، فيَكونُ كما يلي :

لَقبُ المُؤلِّفِ، اسمُ المُؤلِّفِ، (عُنوانُ المَقالِ) ويَكونُ بينَ قوسَينِ، اسمُ الدَّوريَّةِ ويُوضَعُ خَطٌّ تحْتَ الاسمِ، مَكانُ النَّشْرِ، رَقْمُ وعَدَدَ المجُلَّدِ، تاريخُ نشرِ العَدَدِ، رَقمُ الصَّفْحَة .

مِثال :

أمين، أحمَد، (جَمعُ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ)، مجلَّةُ مَجْمَعِ اللَّغَةِ العَرَبيَّةِ، مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبيَّة، ج ٨، القاهرة، ١٩٣٤ م، ص ٢٢ .

تكْرارُ توثيقِ الكُتُبِ أو الدَّوريَّاتِ

لَقبُ المُؤلِّفِ، اسمُ المُؤلِّفِ، (اسمُ الكِتابِ)، رَقمُ الصَّفْحَةِ XX، مَرْجِعٌ سابِقٌ .

توثيقُ النَّقْلِ والاِسْتِشهادُ

التوثيقُ هُوَ استِخدامُ الأدلَّةِ العِلميَّةِ مِن مَصادِرِها المَأخُوذَةِ منها لِزيادةِ قوَّةِ الفِكْرَةِ المَعرُوضَةِ لِلبَرْهَنَةِ عليها . والتوثيقُ يكونُ بالإِشارةِ إلى مَصْدَرِ

المَعلومةِ ضِمْنَ مَتنِ النَّصِّ أو في الهَوامِشِ أسفلَ الصَّفْحَةِ ، لِيكونَ النقلُ والاستِشهادُ مُحقِّقًا للأمانةِ العِلميةِ، وهو على نوعين:

- النَّقلِ الحَرْفيِّ: يُوضَعُ النَّصُّ المَنقولُ بينَ علامَتي تَنصيصٍ " "، ويُشارُ لها بِترْقيمٍ يَخُصُّها في الحاشيةِ (أسْفلَ الصَّفْحَةِ) لِبيانِ المَصدرِ الذي أُخِذَ منهُ حَسْبَ طريقةِ التوثيقِ المَذكورةِ أعلاهُ.
- النَّقلُ بالمَعنى: يُوضَعُ النَّصُّ من غيرِ علامَتي تنصيصٍ، ويُشارُ لها بِترْقيمٍ يَخُصُّها في الحاشيةِ (أسفلَ الصَّفْحَةِ) لِبيانِ المَصْدَرِ الذي أُخِذَ منهُ، حَسْبَ طريقةِ التوثيقِ المَذكورةِ أعلاهُ، ويُضيفُ كلمةَ (بِتَصَرُّفٍ).

وبالنسبةِ لِذِكْرِ التوثيقِ الذي مَصدرُه موقعٌ الكترونيٌّ فيجبُ ذِكْرُ الموقعِ إلى جانبِ سائرِ البياناتِ كما في التوثيقِ من كتابٍ عاديٍّ ويُضافُ إلى ذلكَ كِتابةُ زيارةٍ وتاريخ الدُّخولِ الموقَّعِ؛ نظرًا لأنّ هذه المواقعَ قد تُغيِّرُ أو تحذفُ ذلك الشاهدَ ممّا يجعلُ الإشارةَ إليه غَير متاحَةٍ.

الإمْلاءُ والترْقِيمُ

- يَجبُ مُراجَعةُ النَّصِّ للتأكُّدِ مِنْ خُلُوِّهِ مِنَ الأخطاءِ الإملائيةِ جَميعِها وتُراعى هَمزاتُ الوصْلِ والقطْعِ وتنقيطُ الأحرفِ المُعجَمةِ (المَنْقوطةِ).

- يَجبُ وضْعُ علاماتِ الترقيمِ في مَكانِها الصَّحيحِ بما يُعبِّرُ عن الوقْفاتِ الصَّحيحةِ، ووضْعُ فراغٍ بَعْدَ علاماتِ التنقيطِ وحذفُهُ قَبْلَها، وعلاماتِ التنقيطِ هي: النقطةُ .، إشارةُ الاستِفهامِ ؟، إشارةُ التعَجُبِ !، الفاصِلَةُ ،، الفاصِلَةُ المَنقوطةُ ؛، "(علامات التنْصيص)"، الأعدادُ وتنسيقُها.

أُسلوبُ الكِتابَةِ

ينبغي التأكد مِنْ سَلامَةِ اللُّغَةِ وحُسْنِ البَيانِ؛ فالكِتابَةُ تدُلُّ على صاحبِها، وتُعبِّرُ عن أفكارِهِ، وأحاسيسِهِ، ومَشاعِرِه، والرَّجُلُ هُوَ الأُسلوبُ، (سَهْلٌ، صَعْبٌ، سَهْلٌ مُمْتنِعٌ، راقٍ أمْ مُتدَنٍّ، عِلميٌّ دقيقٌ، أدبيٌّ رَقيقٌ، أمْ جامِعٌ بينَهما) وهكذا دَوالَيكَ، وأنَّ المُفرَداتِ المُستخْدَمَةِ تُناسِبُ المَعنى المَقصودَ، والأفضَلُ أنْ تكونَ لُغةً سَهلَةً وواضِحَةً. ويَجبُ الابتِعادُ عن تكرارِ العِباراتِ أو الكلِماتِ أو المُصْطلَحاتِ أكثرَ مِنَ اللازمِ، مَع مُراعاةِ أسلوبِ الاستِطرادِ في الكلامِ، ومُراعاةِ المُترادِفاتِ والألفاظِ المُشتركةِ والأضْدادِ. ويُعتبَرُ استِخدامُ الجُمَلِ الفِعليةِ والاسْمِيةِ أسلوبًا أفضلَ مِن البَدءِ بِغيرِها. وعلى الباحِثَ أنْ يَذكُرَ النظرياتِ الحقائِقَ العِلْميةَ بصِيغةِ الفِعلِ المُضارِع. وكذلك تجَنُّبَ الجُمَلِ الطويلةِ وغيرِ الواضِحَةِ. وعليهِ أنْ

يـأخُـذَ بـعَينِ الاعْـتِبارِ الأزمِـنةَ الـتي يَـكتبُ فـيها حَسْـبَ (سِـباقِ، سِـياقِ، لِحاقِ) الـكلامِ، ووقـوعِ الأحْـداثِ. ويُـعتبَرُ اسـتِخدامُ أسـماءِ الإشـارةِ مُـفيداً أحيانًا؛ فإذا ابتعَدتْ عن المُشارِ إليهِ قدْ تُرْبِكُ القارئَ فلا تُؤدي مَهمَّتَها المَرجُوَّةَ منها.

أمّا على مُستوى الفِقْرَةِ فلابُدَّ من التأكُّدِ مِنْ خُلُوِّها من الغُموضِ تجُاهَ الفِكْرَةِ المَشرُوحةِ وأنَّ كُلَّ فِقْرَةٍ لها جُمْلَتُها الرَّئيسةُ، ولابُدَّ منَ التفْصيلِ بما يُحَقِّقُ رَوْعَةَ البَيانِ مَعَ الدَّعْمِ بالأمْثِلَةِ الدَّالَّةِ على ذلكَ وكما قِيلَ: بالمِثالِ يَتَّضِحُ المَقالُ.

أمّا عن كِتابَةِ المُقدِّمَةِ والخَاتِمَةِ؛ فإمّا أنْ تُكْتَبَ المُقدمةُ أوَّلا فَتسمَّى مُقدِّمَةٌ، أوْ تُكتبَ بَعْدَ فَراغِهِ من كِتابَةِ البَحْثِ فَتسمَّى مُقدَّمةٌ، وإمّا أنَّهُما تُكتبانِ بَعدَ الفَراغِ من كِتابَةِ البَحثِ؛ فلكُلِّ مَبحَثٍ مُقدِّمةٌ وخاتِمةٌ تُكتبانِ بَعْدَ الفَراغِ من كِتابتِه، ثمَّ تُجْمَعُ مُقدِّماتُ المَباحِثِ لِتكوِّنَ مُقدِّمةَ الفصْلِ، وتُجْمَعُ خَواتيمُ المَباحِثِ لِتكوِّنَ خاتِمَةَ الفصْلِ مَع التدخُّلِ اللازمِ والكافي في الصِّياغَةِ، ومُراعاةِ الكتابةِ بصِيغةِ فعلِ المُضارِعِ المُستقبلِ للمُقدِّماتِ، وصِيغةِ الفِعلِ الماضي للخَواتيمِ. ثمَّ بجمْعِ مُقدِّماتِ الفُصولِ نكونُ أمامَ مُقدِّمةِ البَحثِ وينبغي أن تكون الخَواتيمُ حَسَنَةً؛ فالأمورُ بِخَواتِيمِها.

أمّا إذا تضَمَّنَ البَحثُ تعاريفَ فينبغي تحليلُ كُلِّ تعريفٍ، وتبيينُهُ، ثمَّ يَضَعُ الباحِثُ تعريفَهُ الخاصَّ، ثمَّ يَسردُ عناصِرَ التعريفِ المُقترَحِ، وتعريفِ مُفرداتِهِ، ويُحاوِلُ أنْ يكونَ تعريفًا جامِعًا مانِعًا دُونَ نقْصٍ أو اجتِزاءٍ ما استطاعَ إلى ذلكَ سبيلاً. ولا بُدَّ مِن التنويهِ إلى ضَرورةِ كتابةِ تعاريفِ المصطلَحاتِ المستخدَمة في البحثِ بعد الانتهاءِ من البحثِ أُسْوةً بمقدِّمة البحثِ وخاتمتِه وعدَمِ التسرُّعِ بكتابةِ التعاريفِ قبلَ الفراغِ من البحثِ ابتعاداً عن السطحيةِ والنقْلِ دونَ الغَوصِ في حيثياتِ الدلالةِ الواضحةِ الألفاظ.

إبرازُ شخْصِيَّةِ الباحِثِ

يُفترَضُ بالباحِثِ إظهارُ شخصيَّتِه البَحثيَّةِ في مَفاصلِ بَحثِه جميعِها، ويَبدأُ ذلكَ بأسْلُوبِه بالكِتابةِ والصِّياغةِ، ثمَّ بالتدخُّلِ برأيِه عندَ المُقارَنةِ، والمقابَلَةِ بَينَ مَعلوماتٍ مُتناقِضَةٍ أو مُتشابِهَةٍ؛ فيبَرهِن ويُقوِّي أدلَّةً ويَرفُضُ أُخرى ويُضيفُ إنْ لَزِمَ الأمْرُ قائِلاً ويَرى الباحِثُ، أو يُعرّف الباحِثُ، أو يستنتجُ الباحِثُ، مُبتعِداً عن استِخدامِ (الأنا) و (نحن) كقولِه ونَستنتجُ، ونُعرِّفُ، وهكذا. وعليهِ أنْ يكونَ حُرًّا في التعبيرِ عن رأيِه،

مُتجَرِّدًا عنِ العَصبيَّةِ، والتحزُّبِ، والأهْواءِ، مُدعِّمًا إيّاهُ بالدليلِ الصَّحيحِ، والحُجَّةِ البالِغةِ.

أُسُسُ تقديمِ البَحثِ بَعْدَ اكتمالِه

يتمُّ إضافةُ الصَّفحاتِ التالية بَعْدَ الفَراغِ مِنْ إعدادِه، ومُوافقةِ مُشرِفِه، وتقديمِه لمجْلِسِ الكُلِّيَّةِ، والمُوافقةِ على مُناقشتِه، وتُضافُ هذه الصَّفحاتُ بَعْدَ صَفحَةِ الغِلافِ مُباشرةً.

أوَّلاً – صَفحةُ الغِلافِ بَعْدَ استِكمالِ إعدادِه لِنَيلِ الدَّرَجةِ:

جامعَـــةُ حـَلَبَ
كُليةُ الاقتصـــاد
الدِّراساتُ العُليا
قِسْـــمُ المحُاسَـبَةِ

دَوْرُ الحَضارَةِ الإِسْلامِيَّةِ في تطويرِ الفِكْرِ المحُاسَبيِّ

The Role of The Islamic Civilization In Developing The Accounting Thought

إعداد
سامِر مُظهَر قنطقجي

بإشراف
الدكتور مُصطفى الخَنّ
أستاذٌ في كُلّية الشريعة – جامعة دمَشقَ
الدكتور إسْماعيل إسْماعيل
أستاذٌ في كُلية الاقتصاد – جامعة حَلَبَ

قُدِّمَتْ هذه الرِّسالةُ استكمالاً لمُتطلَّبات نيل دَرجة الدكتوراه في المحُاسَبة

Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of
DOCTORATE IN ACCOUNTANCY

ثانيًا – صَفحةُ شهادَةٍ بإنجازِ البَحثِ مِنْ قِبَلِ الباحِثِ ونِسبةُ التوثيقِ المُستشهَدِ بِها بأمانةٍ علميةٍ:

شهادَة

أشهَدُ بأنَّ العَمَلَ المَوصُوفَ في هذهِ الرِّسالةِ هُو نتيجةُ بَحثٍ قامَ بِهِ الطَّالِبُ سامِر مُظهَر قنطقجي تحتَ إشرافِ الدكتورِ مُصطفى الخَنّ الأستاذِ في كُليةِ الشريعةِ في جامعةِ دمَشقَ والدكتورِ إسْماعيل إسْماعيل الأستاذِ في كُليةِ الاقتصادِ في جامعةِ حَلبَ. وأيُّ رجوعٍ إلى بَحثٍ آخرَ في هذا المَوضوعِ مُوثَّقٌ في النَّصِّ.

المُرَشَّحُ	المُشرِفُ
سامِر مُظهَر قنطقجي	أ.د. إسماعيل إسماعيل

Certificate

It is hereby certified that the work described in this thesis is the result of the authors own investigations under the supervision of Dr. Mustafa Alkhen in the faculty of Shari'a Damascus university, and the Dr. Ismael Ismael in the faculty of Economics University of Aleppo, and any reference to other researcher work has been duly acknowledge in the text.

Candidate	Director of study
Samer Kantakji	Dr. Ismael Ismael

ثالِثًا – صَفحةُ تصريحٍ بأصَالةِ البَحثِ :

تصْرِيحٌ

أُصرِّحُ بأنَّ هذا البَحثَ "دَورُ الحَضارةِ الإسْلاميةِ في تطويرِ الفِكْرِ المُحاسَبيِّ" لمْ يَسْبِقْ أنْ قُبِلَ لِلحُصولِ على أيَّةِ شَهادةٍ ولا هُوَ مُقدَّمٌ حالِيًّا لِلحُصولِ على شهادةٍ أُخْرى.

المُرشَّحُ
سامِر مُظهَر قنطقجي
٢٦–٤–٢٠٠٣

Declaration

It Is hereby declared that this work has not already been accepted for any degree, nor it is being submitted concurrently for any other degree.

Candidate
Samer Kantakji

رابعًا – صَفحةُ لجَنةِ الحُكْمِ المُعيَّنةِ:

لجَنةُ الحُكْمِ والمُناقشةِ

الدكتور علي حاج بكري / مُشرفًا

أستاذُ المحُاسَبةِ في كُليةِ الاقتِصاد في جامِعة حَلبَ

الدكتور إسماعيل إسماعيل / عُضوًا

أستاذُ المحُاسبة في كُليةِ الاقتِصادِ في جامِعَةِ حَلبَ

الدكتور إبراهيم فتوح / عُضوًا

أستاذٌ مُساعِدٌ في كُليةِ الاقتِصادِ في جامِعَةِ حَلبَ

الدكتور حمزة حمزة / عُضوًا

أستاذٌ مُساعِدٌ في كُليةِ الشريعةِ في جامِعَةِ دِمَشقَ

الدكتور أحمَد حسَن / عُضوًا

مُدرِّسٌ في كُليةِ الشريعةِ في جامِعَةِ دِمَشقَ

خامِسًا – صَفحةُ العلامَةِ:

نُوقِشتْ هذهِ الرِّسالةُ بتاريخِ ١٤ ٢٦–٤–٢٠٠٣ وأُجيزَتْ بِدَرَجة ٩٤٪

بإِشْرافِ

الدكتورِ مُصطفى الخَنّ الدكتورِ إِسْماعيل إِسْماعيل

أستاذ في كُلية الشريعةِ بجامعَةِ دِمَشقَ أستاذ في كُليةِ الاقتِصادِ بجامعَةِ حَلَبَ

يَتمُّ مَلءُ العلامَةِ رَقْمًا وكِتابةً والتوقيعُ على هذهِ الوَرقةِ بَعْدَ انتهاءِ المُناقَشةِ.

المبحث الثامن
أُسس تقويم و تقييم ومناقشة رسالة البحث العلمي

يتمُّ تقويمُ الرِّسالةِ وتقييمُها ومُناقشتُها وفقَ أُسُسٍ أهمُّها:

المُواصَفاتُ العامَّةُ

- تُحدَّدُ صَفْحاتُ رِسالةِ "الماجستير" بِحَسَبِ ما يقتضيهِ مَوضوعُ الرِّسالةِ. وعلى سبيلِ المِثالِ تكونُ صفْحاتُ الرِّسالةِ بحُدودِ (٤٠٠٠٠ كلمةً) وأطروحة "الدكتوراه" بحُدودِ (١٠٠٠٠٠ كلمةً). ويَختلِفُ عددُ الصفْحاتِ بحَسبِ طبيعةِ الدِّراسةِ؛ فإنْ كانتْ تتألَّفُ من دراسةِ مَوادٍّ وبَحثٍ فيَقِلُّ عددُ صفحاتِه، وإنْ كانتِ الرِّسالةُ (بحثيةً) فيزيدُ عددُ صفْحاتِها عنْ ذلكَ.
- إذا كانَ مَوضوعُ الرِّسالةِ يُغطِّي أكثرَ مِن اختِصاصٍ فيمُكِنُ أنْ يكونَ الإشرافُ مِنْ أكثرَ مِنْ مُشرِفٍ مُختصٍّ كُلٌّ في تَخصُّصِهِ .
- طِباعةُ الرِّسالة: تتمُّ طِباعةُ الرِّسالةِ باستخدامِ أحدِ برامجِ الكمبيوتر الشهيرةِ بخطِّ نوع Traditional Arabic قِياس ١٦ نقطة وبهوامشَ افتراضِيّةٍ، وبترقيمِ الصفْحاتِ بشكلٍ مُتسلسلٍ عدا الغِلاف.

- بَعْدَ مُوافقةِ الأُستاذِ المُشرفِ على الصِّيغةِ النِّهائيةِ للرِّسالةِ (أو الأُطروحة) تُعينُ الكُلِّيَّةُ لِكُلِّ رِسالة قارِئَينِ على الأقلِّ، يَقومُ كُلٌّ منهُما بقراءةِ الرِّسالةِ ثمَّ يُقدِّمُ تقريراً مُوجَزًا عنها. فإذا وَجَدَ فيها خَللاً يَستوجِبُ رَدَّها فيضعُ تقريراً مُفصّلاً مع التوصيةِ بذلكَ، ثمَّ يُوصي المَجلسُ العلميُّ بما ينبغي فِعلُهُ بَعْدَ أخْذِ رأي الأُستاذِ المُشرِفِ.

المُناقشةُ

- تبدأُ المُناقشةُ بعَرْضِ المَوضوعِ من قِبَلِ الأُستاذِ المُشرِفِ مُقوِّمًا عَمَلَ الطَّالبِ بوَجْهٍ عامٍّ، ولهُ أنْ يَعرِضَ ويُوردَ على الطّالبِ بَعضَ الأسئلةِ إنْ أرادَ ذلك.
- ثمَّ يُقدِّمُ الطالبُ عَرضًا لِموضُوعِ رِسالتِه مُبيِّنًا القضيَّةَ الأساسَ التي تُعالجُها الرِّسالةُ؛ وذلكَ في غُضونِ عِشرينَ دقيقةً. ويحتوي هذا العَرْضُ عادةً على تحيَّةِ اللَّجنةِ، وأسبابَ اختيارِ البَحثِ، وأهميتَه، وخِطَّتَه وتقسيمَه، والشكرَ والتقديرَ لأعضاءِ اللّجنةِ وخاصَّةً لأُستاذِه المُشرِفِ.
- إنَّ من أهدافِ المُناقَشةِ اكتِشافَ شخصيَّةِ الباحِثِ الفِكريّةِ والمَنهجيَّةِ والتعبيريَّةِ؛ من خِلالِ توجيهِ الأسئلةِ الهادِفةِ المُتعلِّقةِ ببَحثِه، وإفساحِ المجَالِ لهُ للإجابَةِ والتوضيحِ.

- يُبدي المُناقِشُ ملحُوظاتِه، ويُبيِّنُ الأخطاءَ، ويُقوِّمُ البَحثَ مِن حيثُ الشكلُ والمَضمونُ.
- ضَرورةُ إبرازِ مَحاسِنِ البَحثِ لِتسويغِ الدَّرجةِ المُستحقَّةِ التي تُمنَحُ للطَّالِبِ.
- يَتفادى المُناقِشُ العِباراتِ، أو الكلِماتِ التي فيها تجريحٌ للطَّالِبِ أو بعِلمِه فِي أثناءِ المُناقشةِ.
- يَحْرِصُ المُناقِشُ على عَدَمِ التَّحيّزِ للطَّالِبِ أو ضِدَّهُ؛ عندَ تقديرِ الدَّرجةِ.
- لا تُمنَحُ دَرَجةُ (الامتِيازِ) إلاّ عندَ إجْماعِ أعضاءِ لجَنةِ المُناقشةِ على هذا التقديرِ، وذلكَ نتيجةَ القناعَةِ التامَّةِ بأنَّ البَحثَ والباحِثَ يَستحِقّانِها.
- تكونُ مُداولاتُ لجَنةِ المُناقشةِ سِرِّيَّةً.

التقويم والتقييمُ

يَعتَمِد التقويمُ والتقييمُ مَبدئياً على العناصِرِ الأساسيةِ الآتيةِ:

- المُحتوى العِلميِّ ومَنهجِ التفكيرِ (٥٠٪).
- المَنهجيةُ المُعتمَدَةُ في إعدادِ الرِّسالةِ (٣٠٪).
- أداءُ الطالِبِ أمامَ لجَنةِ المُناقشةِ (٢٠٪).

وقدْ تكونُ هذه العناصِرُ مُتداخِلَةً في بَعضِ الأحيانِ.

أمّا النقاطُ التي تندَرِجُ تحَتَ كُلِّ عُنصرٍ من عناصرِ التقويمِ فهِيَ:

١- المُحتوى العِلميُّ ومَنهَجُ التفكيرِ:

- مدى انسجامِ المَضمونِ معَ عُنوانِ المَوضوعِ وخِطَّةِ البَحثِ المُعتمَدَةِ.
- مدى ترابُطِ الأفكارِ وتسَلْسُلِها ونظْمِها في عِقْدٍ مُتكامِلٍ.
- قُدرةُ الباحِثِ على إعطاءِ فِكرةٍ جديدةٍ غيرِ مَسبوقةٍ.
- قُدرةُ الباحِثِ على تحليلِ المَعلوماتِ وتصنيفِها ورصْدِها في فُصولِها ومَباحِثِها.
- قُدرةُ الباحِثِ على استِيعابِ أفكارِ الآخَرينَ ومُناقشَتِها، واتِّخاذِ المَوقِفِ المُناسِبِ منها من حيثُ حُسْنُ عَرضِها، والقَبولُ، أو الرَّفضُ، أو الحِيادُ.
- المَعلوماتُ والمَعارِفُ التي تضمَّنها البَحثُ وقيمتُها العِلميةُ.
- المَصادِرُ والمَراجِعُ المُستفادُ منها وأهميَّتُها: زمَانًا ومَكانًا (زمكاني) وتأليفًا وموضوعًا.
- الأُسلوبُ اللُّغويُّ المُعتمَدُ أهُوَ عِلميٌّ تقريريٌّ دقيقٌ، أو أدبيٌّ مَجازيٌ رقيقٌ، أو عِلميٌّ أدبيٌّ، ومدى ملاءمتِه للبَحثِ.
- صِياغَةُ العِباراتِ المُستخدَمَةِ في البَحثِ، وتركيبُها، ومتانتُها، وسلاستُها، أو ركاكتُها.

- الأخطاءُ اللُّغويةُ ومدى استِخدامِ الكلِماتِ في غيرِ مواضِعِها.
- القُدرةُ على التعبيرِ بإيجازٍ ووُضوحٍ.
- استِخدامُ علاماتِ الوقْفِ والترقيمِ في مَواقعِها.

٢- المَنهجيَّةُ المُتَّبَعَةُ في إعدادِ الرِّسالةِ:

أ- مَلحوظاتٌ عامَّةٌ منها على سبيلِ المِثالِ لا الحَصْرِ:

- سلامَةُ توزيعِ الفُصولِ والمَباحِثِ والمَسائِلِ.
- الدِّقَّةُ في نَقلِ المَعلوماتِ وعَزوِها إلى مَصادِرها ومَراجِعها.
- الإشارةُ إلى الأفكارِ المأخُوذةِ عن هذا الباحِثِ أو ذاكَ.
- التفريقُ الواضِحُ بينَ ما يَقولُهُ الباحِثُ وبينَ ما يَنقلُهُ عنْ سِواه مِن الباحِثينَ.
- انسجامُ الحاشيةِ مع المَتنِ – ترقيمًا وتوثيقًا.
- اعتِمادُ أسلوبٍ واحدٍ في إثباتِ الحواشي.
- اكتِمالُ المَعلوماتِ الضَّروريةِ حولَ المَصدرِ / المَرجِعِ في القائِمَةِ المُشارِ إليها.
- عَزْوُ الآياتِ القُرآنيةِ الكريمَةِ وتخريجُ الأحاديثِ الشريفةِ وإسنادُ الأبياتِ الشِّعريَّةِ والحِكَمِ والأمثلةِ والشواهدِ الأُخرى إلى أصحابِها ومصادِرها.

– ترجَمةُ الأعلامِ في الحَواشي؛ وذلكَ عندَ وُرودِ اسْمِ العَلَمِ لأوَّلِ مَرَّةٍ في البَحْثِ، ثمَّ الإشارةُ إلى رَقْمِ الصفْحةِ عند وُرودِه مَرَّةً أُخرى.

ب- السِّماتُ الشَّخْصيَّة للباحِثِ من خِلالِ بَحثِه:

– النَّزاهةُ ومُقاومة الهَوى الذَّاتيِّ.

– الجُرأةُ الأدبيةُ، والتقديرُ للرَّأي الآخَرِ.

– التواضُعُ العِلميُّ والخُلُقُ الإنسانيُّ.

ج- الطِباعَةُ والإخْراجُ:

– الأخْطاءُ المَطْبَعيَّةُ وعَدَدُها قِياسًا مَع حَجْمِ الرِّسالة.

– نوعُ الطِباعةِ ووُضوحُ الحَرْفِ.

– نوعُ الوَرَقِ المُستَخدَمِ في طِباعةِ الرِّسالةِ.

– التغليفُ وتماسُكُ الأوراقِ في مَواضِعِها.

– التقيُّدُ بالإخْراجِ المُعتمَدِ للغلافِ.

٣- أداءُ الطالِبِ أمامَ لَجنةِ المُناقشةِ:

– مدى استِيعابِ الباحِثِ لِموضوعِ بَحثِه من خِلالِ إجابَتِه عن أسئلَةِ هَيئةِ المُناقَشةِ.

– المَنهَجُ الفِكْريُّ للباحِثِ في رَدِّه على المَلحُوظاتِ المُوجَّهةِ إليه.

– القُدرَةُ اللُّغويةُ في التعبيرِ عنْ مُرادِه للدِّفاعِ عمَّا يَراهُ صوابًا في بَحثِه.

– اللهْجَةُ المُستخْدَمة في الإجابَة (انفعاليَّةُ أو هادئة) .

٤- التقديرُ العامُّ:

تَعتمِدُ نتيجةُ المُناقَشةِ العامَّةِ لِدَرَجَتَي (الماجستير والدكتوراه) أحدَ التقديراتِ الآتيةِ: مَقبولٌ، حَسَنٌ، جيّدٌ، جيّد جداً، جيّد جداً مع التنويهِ، مُمتازٌ، مُمتازٌ مع مَرتبةِ الشَّرَفِ. وهناك بعض المدارس لا تمنح هذه التقديرات ومنها الماليزية.

المبحث التاسع
دور البحث العلمي ومؤسساته

إنه إذا اختلف الناس مع بعضهم، أو إذا اختلفوا مع حكوماتهم، أو إذا اختلفوا مع مؤسساتهم المهنية المنتشرة في الأسواق، فإن مؤسسات البحث العلمي متمثلة بالجامعات والمراكز البحثية وما شابهها، هي الكفيلة بحل هذه النزاعات، وهي الضامن بعدم انحراف البوصلات، ليبقى الجميع في مركب واحد متجهين نحو أهدافهم السامية.

مثالنا في ذلك مقال كتبته كمقال افتتاحي لمجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية في عددها الثالث – أغسطس ٢٠١٢ بعنوان: **الرؤية الإستراتيجية لتكوين المفاهيم الصالحة؛ أن تسبق مرحلة إنتاج المفاهيم مرحلة ابتكار المنتجات المالية.**

كان القصد من المقال بيان دور المؤسسات العلمية في التوسط بين تطرف المؤسسات المهنية وتماهيها وتطرف المؤسسات الشعبية وتسلطها في تسويق مفاهيم تخص كل منها.

وفيه:

تتحكم ثلاثة أطراف بإنتاج المعارف المالية الإسلامية، هي:

✳**المؤسسة المهنية**: يُمثلها المؤسسات المالية، ممثلةً برؤية مجالس إداراتها المسؤولة عن رسم الاستراتيجيات فيها، وسلوك إداراتها التنفيذية.

✳**المؤسسة الشعبية**: يُمثلها المجتمع في إطار العادات والتقاليد.

✳**المؤسسة العلمية**: تُمثلها الجامعاتُ ومراكز البحث ورجال الفكر والاقتصاد والقانون.

تقدم المؤسسة المهنية منتجاتِها المالية بهدف المنافسة بُغية تحقيق منافعَ للمستفيدين منها (كالعملاء) من جهة، والربح للمنظمين (المؤسسة المهنية) من جهة أخرى، إلا أن كثيراً من تلك المنتجات تحمل في طياتها (دكتاتورية المفاهيم)، لأن أصحابها يسَعون إلى نشرها ليكون السوق حبيسَ مصطلحاتِها. وبذلك فإن السوق لن تُحركه حقائقُ المنافسة التي تقودها بياناتُ الإفصاح والشفافية (أي التغذية الراجعة)؛ بل تحركها المعرفةُ الاستبدادية لأصحاب ذلك التوجُّه، وكأنَّ أصحاب تلك المعارف يَسعون لإنتاج مفاهيمَ مؤدَّاها تحقُّق مصالحهم ولو أدت للتشتت والضياع.

ويترتب على ذلك تصوُّر مرحلتين متتاليتين لطرح وتسويق المنتجات، هما:

مرحلة ١: وهي مرحلة إنتاج المفاهيم دون قيمة تفاعلية مع الجمهور بسبب تماهي واستعلاء الجهة المبتكرة أو المسوقة؛ فالاستعلاء حاصل بسبب استبدال المعرفة المتوهمة بالمعرفة الحقيقية. ويتجلَّى ذلك:

(١) بعدم طرح المؤسسة المهنية لمنتجاتها على الجمهور بقصد قياس آرائهم قبل إنتاجها أو طرحها النهائي، وهذا تماهٍ.

(٢) ثم بعدم استعدادها لنقاش أو لنقد منتجاتها، وهذا استعلاءٌ. ومؤدى ذلك حدوث انفصال بين الجمهور (المستهدف) صاحب الحاجات، والمؤسسات المالية (المسوقة) لتلك المنتجات المالية.

مرحلة ٢: وهي مرحلة لاحقة للمرحلة الأولى؛ حيث تستحكم المفاهيم في عقول الجمهور، مما يدفع إلى تأليه المعرفة لتتسلط على السوق، وبذلك يُصبح الجمهور داعيةً ومروجًا لتلك المبادئ. وهنا تلعب سلطة المفاهيم دورها في طمس الحقائق وإخفاء توجهها خدمة لتوجهات (ايديولوجيا) معينة، في حين أن النقد البناء يطور المعارف حتى لو أدى ذلك النقد إلى نقضها وإعادة بنائها من جديد.

وبناء عليه، فإن المصطلحات تُمارس على عناصر السوق أمرين:

✳تحويل السوق إلى مُروِّجٍ مُدافعٍ عوضًا عن كونه مُستقصيًا مُفنِّدًا؛ فالمؤسسة المهنية تسعى إلى تقديس مفاهيمها (المنتجة) والدفاع عنها.

✳بعد ذلك تكون مرحلة دمج المصطلحات (ذات التوجه) ضمن العادات والتقاليد أمراً ممكناً.

أما المؤسسة الشعبية والمتمثلة بالمجتمع فإنها درجَت على ابتكار تعاملاتها ومعاملاتها المالية حسب حاجاته؛ لذلك هي تبتكر ما تحتاجه دون مؤسسات ضابطة (كما هو متعارف عليه)، ومعيارها في ذلك أنه طالما تلك المنتجات تحقق مآربَ أصحابها ومنافعهم فإنهم يقبلونها ويعملون بها.

لذلك تزداد غربة المنتجات التي تطرحها المؤسسات المهنية، ويُساعد على ذلك قوة مكونات السوق التي تتوزع إلى نوعين:

✳**قوة العامة**؛ حيث مصدرُ قوتها كثرة عددها (لا رؤيتها)، مما يُهدد بعدم شيوع تلك المعرفة لعدم تداولها.

✳**قوة الأقلية**؛ حيث مصدرُ قوتها تسلُّط أفكار مثقفيها، وهي (أقلية ضمن المجتمع) لكن تعاملها مع غيرها من النخب (كالمؤسسة المهنية مثلاً) يعتمد على منطق الاصطفاء؛ حيث يرى كل منهم أنه على الحق وأنه يُمسك بالحقيقة.

إن قواعد الصراع (بين النخبة) يحكمه بقاء الأقوى فكرياً بوصفه الأفضل في الإقناع مما يمكنه من اجتذاب أكبر عدد إلى مشروعه الفكري؛ لذلك

تتسلح هذه الفئة بقضيتي النقض والإقصاء كلغةٍ غير تسامحية مع الآخر، مما يحد من النقد والتغيير الذين هما أساس أي عملية تطويرية.

وإذا أضفنا نظرة العامة للأمور التي تتصف بالجمود، وتتسم عقليتها بالعمومية والبساطة؛ فإننا نكون أمام (دكتاتورية مفاهيم) لشرائح المؤسسة الشعبية مقابل (دكتاتورية مفاهيم) للمؤسسة المهنية.

عند ذلك ستصطدم (استراتيجيات التسويق) بعوائقَ يصعب تجاوزُها، مما سيُفشل أية استراتيجية توسع ترغب الإدارة في تحقيقها.

أما المؤسسة العلمية، والمتمثلة بالجامعات بوصفها المصدرَ الرئيسَ للبحوث وللدراسات المستجدة، ومراكز البحث ورجال الفكر والاقتصاد والقانون ومن في حكمهم؛ فإن الأصل في هذه المؤسسة أن تكون قاطرة الابتكارات والأفكار الإبداعية لأن دورَها هو استشرافُ المستقبل وتحسُّس تطور الحاجات وتقديم المنتجات الجديدة أو المجددة لمقابلة تلك الاحتياجات المتغيرة؛ لذلك لا يصح أن تبتعد هذه المؤسسة عما يجري من حولها؛ فإجراء البحوث الأساسية وتطويرها يجب أن يتم قبل دخول السوق؛ لذلك يُلقى على عاتق فريق التسويق (بوصفه عينَ الصقر) معرفةُ جديد الأبحاث والدراسات، وعليه أيضًا تحسس التغيرات السوقية لأنه

على تماسٍ مباشر مع العملاء، كما يقع على عاتقه المحافظة على المنافسين والعملاء بمواكبة اتجاهات السوق وتحليل احتياجاتهم ورغباتهم.

إن نجاح نتائج البحث والتطوير يزيد فرصَ ارتفاع الأرباح وكسب حصة أكبر في السوق. ولا يتأتّى ذلك إلا ببناء نظام فعّال لجمع بيانات التغذية الراجعة، والسماح لعناصر السوق بالتفاعل البنّاء حتى لو أدى ذلك إلى هدم الحقائق وإعادة بنائها، مما يجعلنا أمام نظرة ناقدة متفحصة تتفهم الأمورَ ولا تقبل تعليلها وفق نمطيةٍ ثابتة ورؤية جاهزة، عندئذ نتخلص من (دكتاتورية المفاهيم) بإنتاج مفاهيمَ صالحةٍ ومفيدة جرّاء تطبيق سُنَة من سُننَ الله في أرضه ألا وهي سُنَة التدافع تحقيقًا لسُنَة أُخرى من سُنَنَه (جلّ وعلا) وهي سنَّة بقاءِ ما ينفع الناسَ وذهاب غيره، وبذلك تتحقق غاية الإعمار المنشودة التي ترافق بقاءَ البشر وصلاحهم.

العمل المؤسساتي

انتقلَ الناسُ إلى ميادينِ العملِ المؤسَّساتيّ؛ فصارتِ الجامعاتُ ومراكزُ البحثِ العلميِّ مراكزَ عِلميَّةً، الأصلُ فيها أن يَشِّعَ نورُ الحقائقِ التي تحقِّقُ مصالِحَ الناسِ وتُسعِدهُم فلا تُشقيهِم. فَبَعْدَ أن كان البحثُ فرديًّا صارَ البحثُ جَماعِيًا؛ وهذا ما رأينا بداياتِه عند الإمامِ أبي حنيفةَ؛ حيث كانتْ مجالِسُ العلمِ عِندَه تضمُّ ما يُقارِبُ الأربعينَ باحِثًا وكان العصفُ

الذِّهنيُّ بينهُم يُحقِّقُ نتائجَ مفيدةً؛ فقَد كانوا عامِلينَ بين الناسِ شأنهُم شأنُ الناسِ، وكانوا أيضًا باحِثينَ عن الحقيقةِ يطلُبونَ العِلمَ بِنَهَمٍ مستمرٍّ وشَغَفٍ وتَعَشُّقٍ؛ فَوضَعُوا القواعدَ والضوابطَ للوصولِ إلى ما هُو صحيحٌ، وقد ثبتتْ صِحَّة اتجاهاتِهم عبرَ الزَّمَنِ؛ ممّا يدلُّ على صِحَّة مناهجِهم.

لكنَّ تلكَ المؤسَّساتِ العلميةَ – وأقصِدُ الجامعاتِ خاصّةً – قد أصابَها في بعضِ البلدان (ومِنها بِلادُنا) ما أصابَها مِن تعطيلٍ وتَسييسٍ؛ فمِن التعطيلِ كان فَصلَ الجامِعاتِ عن الحَياةِ العَمليَّةِ مما أدّى إلى تقسيمِ العِلْمِ إلى نوعينِ مُتباعِدَينِ بزاويةٍ مُنفرِجَةٍ، أحدُهما نظريٌّ، والآخَرُ تطبيقيٌّ، ويا للأسَفِ سفَّه بَعضُ المُتسلِّطينَ النوعَ الأوَّلَ؛ فكانتْ عُلومُ جامِعاتِنا – إلاّ ما رَحِمَ ربِّي – فارغةً إلاّ مِن أصداءِ عُلومِ البِلاد الأُخرى؛ وبذلكَ خَرجْنا بِخُفيّ حُنينٍ مع القلقِ الحَزينِ. ومَن يُتابعُ الأبحاثَ الجامِعيةَ يرى أنَّ مُستوياتِها مُنحَدِرةً، ومَواضيعَها غيرَ مُستجِدَّةٍ؛ بلْ مُكرّرَةً ومَقيتة، والسَّبَبُ بينٌ؛ ففاقِدُ الشيءِ لا يُعطيه. وإنَّ التزامَ المناهجِ البحثيةِ بِمَا ذكرناهُ سَابقًا هو السبيلُ لإعادةِ البحثِ العلميِّ إلى مَسارِهِ الصحيحِ.

لقَدْ ذمَّ فُقهاءُ الأُمَّةِ الاشتِغالَ بالمَباحِثِ النظريةِ البَحتةِ، واعتبرُوهُ عمَلاً فيه مَضيعَةٌ للوقتِ وهَدْرٌ للمَواردِ، وتبديدٌ للطاقاتِ؛ وهذه نظرةٌ فيها الحِكْمَةُ والحِنْكَةُ، بينَما تذاكى عُلماءُ الفترةِ (الحاليّةِ) بانقطاعِهم عنْ منابعِهم فلمْ

يُواكِبوا مُكتشفاتِ عُلماءِ البَشرِ؛ فضاعوا وأضاعوا، فَهُم ليسوا إلى هؤلاءِ، ولا إلى هؤلاءِ؛ فعُلماءُ الكونِ استَقوا مِن فُقهاءِ هذه الأُمَّةِ وبَنَوا عليها مُنجزاتِهم وتابَعوا بِجِدٍّ ونشاطٍ ونحنُ قطعْنا كُلَّ دابِرٍ تشبُّهًا بِعلماءِ الغربِ وتناسينا أنَّ أولئك شرِبوا مِن مَعينِ فقهائنا وعلمائِنا الأوائِل.

لكِنْ مِنَ المَعلومِ لدَى الناقِدِ البَصيرِ أنَّ تنبيه الغافِلينَ، وتنشيطَ الخامِلينَ، وإيقاظَ الرّاقِدينَ، والعَودةَ إلى مَناهِلِ العِلمِ والمَعرِفةِ، ومَصادِرِ الطاقاتِ البشريةِ بِما فيها مِن ابتِكارٍ واختراعٍ واكتِشافٍ ومواهبَ، والاستفادةَ مِن المَواردِ الاقتِصاديةِ مِن زِراعَةٍ وصِناعَةٍ وتِجارَةٍ وسِياحَةٍ مُباحةٍ ومُتاحةٍ، والنهوضَ مِنَ النَّكباتِ والنَّكسَاتِ التي تُعاني منها الأُمّةُ؛ قد يكونُ بالمُبادَراتِ الفَرديَّةِ الواعيةِ المُخلِصَةِ التي تقومُ بِدَورٍ مُهمٍّ وحَيويٍّ في تحريكِ الوضْعِ الراكِدِ؛ بلْ قدْ تكونُ هِيَ الرَّائِدَةُ في المُجتمَعِ الذي آلتْ إليه الحال مِنَ الجُمودِ والرُّكودِ. ويبْقى احتِمالُ أنْ يَنفدَ صَبْرُ أصحابِ المُبادَراتِ الفَرديَّةِ بِخُروجِهِم مِن ذاكَ الوضْعِ المُتردِّي إلى مُجتمَعاتٍ أكثرَ حَيويَّةً. لِذلِكَ يَترتَّبُ على الناجِحِ (أوْ ما يُمكِنُ أنْ ننظر إليه مَشروعًا ناجحًا) أنْ يكونَ صَبُورًا، بينَما نجدُ النَّجاحَ في الدُّولِ الأكثرِ حَيويَّةً في كونِه عمَلاً مُؤسَّسِيًا تحتضِنُهُ بيئةٌ مُناسِبةٌ تفهَمُهُ وترْعاهُ وتُشجِّعُهُ وتقدِّرُهُ.

تسويق البحث العلمي

هل تنتهي مهمة الباحث في إنتاج بحث فريد مميز؟

لابد للباحث من تسويق بحثه وعدم تركه يقبع في رفوف المكتبات يعلوه الغبار ريثما يصبح قديمًا لا حاجة له، أو أن يكون من المنسيات.

والتسويق يكون بنشر مقالات حول البحث في الصحف والمجلات الاختصاصية والمحكمة، وكذلك بمشاركته في المؤتمرات الاختصاصية، والتواصل مع مراكز البحث العلمي والمؤسسات المهنية التي لربما تتبناه أو تدعم مسيرته ليكون أكثر نفعًا.

> إن مهمة المؤتمرات وورش العمل أن تعيد رسم وتحديد بوصلة البحث العلمي للباحثين، ويشمل ذلك الاقتصاد وغيره من العلوم التي يُفترض بها تصحيح مسار نهضة الأمة. ولا يصح أن تصبح أوراق العمل المقدمة مجرد تكرار يجتر ما سبقه، خاوٍ من أي جديد، وإلا فإنها لم تعد قاطرة جرّ للابتكار العلمي؛ فكل ورقة يجب أن تقدم ابتكارا فكريًا قابلا للبحث والتطبيق، محققة سبقًا علميًا فريداً، للمزيد يرجى الاطلاع على الملحق: دور الذكاء الصنعي في ارتكاب الاحتيال الأكاديمي.

إن من مهام الباحث أيضًا، تطوير بحثه باستمرار وإصدار طبعات متتالية منه، تشمل التحديثات وتواكب التطويرات، ويجب عليه عدم الاكتفاء بما كتبه وأنتجه.

الخاتمة

أنصَحُ نفْسِي ومَنْ يَسألنُي بعَدَمَ الاستِسلامِ للظُّروفِ وعَدمَ تعليقِ الفشلِ عليها؛ فالصُّعوباتُ لا تجْعلُنا نسْتَسْلِم مع أنّ المُعاناة كبيرةٌ وطويلةٌ، وطريقَ العِلمِ وَعِرَةٌ وغيرُ ممُهَّدةٌ، ومَنْ رَغِبَ فيهِ فَعليهِ أنْ يُشمِّرَ عن ساعِدَي الاجتِهادِ والإخْلاصِ، وأنْ يأخُذَ نفَسًا طويلاً عميقًا مُتوكِّلاً على اللهِ الوكيلِ سُبْحانَهُ وتعالى.

وأختُمُ بنَصيحَةٍ قدَّمْتُها لِوَلَدي (مَظهَر) حَفِظَهُ اللهُ ورَعاهُ وهُو يُجهِّزُ نفْسَهُ لاختِيارِ مَوضوعِ بَحثِ الدكتوراه في جامِعَتِهِ الإنسيف بماليزيا، بعدَ أنْ فرَغَ مِنْ نيلِهِ ماجستيرين وما يتعلَّقُ بالدكتوراه دراسِيًّا. وهِيَ نَصيحَةٌ وصَيْحَةٌ لِكلِّ أبنائِنا الباحِثينَ بوصْفِهِم مشاعِلَ النُّورِ ونُجُومَ الهُدَى الذي سَيضيءُ للأُمّةِ طريقَها؛ فيُبدِّدَ ظلامَها، وينوِّرُ عُقولَها؛ فيحمِلُونَ لِواءَها؛ ويحرِسُونَ حِمَاها؛ لأنَّهُمْ حُمَاتُها.

رِسالةٌ إلى وَلَدِي الذي سَيختارُ مَوضوعَ بَحثِ الدكتوراه بَعْدَ رِحلةِ أربعة أعوامٍ مِنَ الجِدِّ والدَّأبِ والجَلَدِ في الدِّراساتِ العُليا ومِن الغُربَةِ ومازالَ..

وإلى الدَّارِسينَ أمثالِهِ جميعًا وخاصَّةً طُلاَّبي الأعِزّاء..

ينْصَحُ الطَّلبةُ بَعضُهُم بَعضاً باختيارِ مَوضوعٍ سَهْلٍ مَراجِعُهُ مُتوفِّرَةٌ. لِيُنْهُوا مَرحلةً مُهِمَّةً مِن حياتِهم لِيشْرَعُوا في حياتِهم المِهنيَّةِ. أمَّا بالنسبَةِ لِمُعَلِّمٍ يَغارُ على طُلاَّبِه، ويُدْرِكُ بَعضاً مِنَ الحَقائقِ العِلميَّةِ والبَحثيَّةِ – ولله الحَمْدُ والمِنَّةُ – فأنصَحُ مِن واقِعِ طبيعَتي الشَّخصيَّةِ (التي تُحِبُّ التَّحدِّياتِ، ورُكوبَ الصِّعابِ) وطبيعَتي العِلميةِ، ومِنْ تجرِبةٍ مَرَرْتُ بِها.

فأقولُ وبالله التوفيق:

إنّ مَرحَلَةَ الدكتوراه يَمُرُّ بها الشَّخصُ الذي وَصَلَ إلى هذهِ المَرحَلةِ الصَّعْبَةِ مَرَّةً واحِدةً في حياتِه (وأحياناً أكثرَ) ويُحضِّرُ مَوضُوعَهُ لِمَرَّةٍ واحِدَةٍ، فلماذا يُنهِي مَسيرَتَهُ التأسِيسيةَ بتواضُعٍ؟ وأقولُ التأسِيسيَّةَ لأنَّ مَوضُوعَهُ سَيُلازِمُهُ طيلةَ حَياتِهِ.. وسَوفَ يكونُ مَعَهُ فإمَّا أنْ يَذكُرَ هذهِ الدَّرَجَةَ ويَذكُرَ مَعَها مَوضُوعه بإنصافٍ واعتِزازٍ.. وإمّا أنْ يَخْجَلَ مِنْ ذِكْرِ مَوضُوعِه فيَكتفي بسَابِقَةِ اسْمِه (د.).

لقدْ فَرَغْتُ مِن رِسَالتِي بالماجستير واستغْرَقَ تحضيرُها (٣) أعوامٍ و (٣) أشهُرٍ وأتشرَّفُ – والحَمْدُ للهِ تعالى – بأنَّ جامِعَةً عَربيةً عَريقةً ترتيبها بحدودِ ٣٥٠ على العالَمِ طلبَتها مِنِّي.. ومازال العديدُ مِن الأساتِذَةِ يُدَرِّسُونَها في دَوراتٍ تدريبيَّةٍ، مع أنَّي أنهيتُها منذُ عام ١٩٩٠م.

وفرغت مِنْ رسالَتِي بالدكتوراه ونِلتُها بفَضْلِ اللهِ تعالى والتي استغرَق العَملُ بها (٧) أعوامٍ وأتشرَّفُ بأنَّ أغلَبَ المُهْتمِّينَ بالمجَالينِ الاقتصاديِّ والإسلاميِّ يَقرَؤونَها وكثيرٌ مِنهُم يَحفَظُونها ويُراسلُونني بشأنِها ومِنها انبثقَتْ أغلبُ مؤلَّفاتي والتي قاربت الـ ٣٥ بحَمْدِ اللهِ وتوفِيقِه.. وهي مَرجعٌ لِكثيرٍ مِنَ الباحِثينَ والمُختصِّينَ.

عِندَما كُنتُ أرغَبُ بتسجيلِها حاولَ كثيرونَ مِن أساتِذتي وزُملائِي ثنيِيَ عَن مَوضُوعِها لِصُعوبَتِه ونُدْرَتِه (آنذاكَ) لَكِنِّي عوَّدتُ نفْسي على تحدِّي الصِّعابِ وعلى هذا دَرَجَتْ حَياتي وما زِلت على هذا النَّهْجِ.

أتوجَّهُ للأخوةِ الباحِثينَ وولَدي مِنْهُم قائِلاً: لا تقبَلوا بالأشياءِ العاديَّةِ فأغلبُ الناسِ عاديينَ.. بلْ ابْحَثوا عن المَهامِ الصَّعبَةِ التي تُناسِبَ غيرَ العاديينَ أي المُتميزينَ، ولا تَهِنُوا ولا تَحزَنوا فَسيَكفِيكمُ اللهُ، وسَيُعَوِّضُكمْ خيراً لكن لا تنسَوا أنْ تجعَلوا دراسَتكمْ للهِ لِيكونَ ذَلِكَ عِبادَةً.. ثمَّ بَعْدَ النَّجاحِ سَتعلمُونَ مقدارَ السعادة التي ستكونونَ بها.. وكيفَ ستكسَبونَ تقديركم لذواتِكُمِ وتقديرَ غَيرِكُم لكُمْ فمَنْ قدَّرَ نفسَهُ قدَّرَهُ الناسُ.. وستأخُذونَ مكانَكُمُ اللائقَ في العالَمِ؛ لأنَّ العِلمَ ليسَ لهُ هُويَّةٌ ولا جِنْسِيَّةٌ؛ بل وَهْبٌ وكَسْبٌ، وطالِبُ العِلْمِ وطَنُهُ العالَمُ، وأرضُ اللهِ واسِعَةٌ.. أمّا الحياةُ المِهَنيةُ فستكونُ طوعَ – بإذنِ اللهِ تعالى – عُقبَى ما

حقَّقتُمُوهُ مِن مَغانمَ عِلمية وعمليّةٍ.. أمّا المالُ فهو تحصيلُ حاصِلٍ، وهو لا يُحقِّقُ أيَّ سعادَةٍ؛ بلْ كثيراً ما يكونُ عاملَ شقاءٍ خاصَّةً إذا لمْ يُرافِقْهُ العِلْمُ والحِكمَةُ مَعًا. فاللهُ تعالى حضَّ على طلبِ المَزيدِ مِنَ العِلمَ فقالَ سُبحانه: **وقل ربِّ زِدني عِلمًا**، وقالَ في بيانِ الهدف مِنْ تحصيلِ العِلْمِ: **ومَنْ يُؤتَى الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيرًا كثِيرًا**.

وأخيراً إلى الآباءِ والأُمَّهاتِ جميعًا جَهِّزُوا أبناءَكُم، ووطِّنُوهُمْ على حُبِّ التَّحدِّي وطلَبِ المعالي، فـ(إن اللهَ تعالى كريمٌ يحبُ الكرمَ، ويحبُ معاليَ الأخلاقِ، ويكرهُ سفسافَها)[1]، واصْبِرُوا عليهِم، وتعَاونوا مَعَهُمْ، **وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** (محمد: ٣٥).

ختامًا: لقد اجتهدتُ في هذا البحثِ وبذلتُ ما مكنَّني اللهُ فيهِ، وأعَانَني عليهِ، ولكنْ لا يَخلوُ عملَ البشرِ من الخطأِ أو التقصيرِ حاشى الأنبياءُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ. فمَا كانَ في عَملي من صَوابٍ فهوَ مِن فضلِ اللهِ عليَّ وتوفيقِهِ، وما كانَ مِن خطأٍ، أو تقصيرٍ فهو مِن نفسِي.

أسألُ اللهَ العفوَ والمغفرةَ، وأن يُعينَني على تَدارُكِ التقصيرِ، وأن يُلهِمَني الصوابَ ويَرزُقَني السَّدادَ في الأمرِ، والعزيمةَ في الرُشْدِ.

---

1 الجامع الصغير: ١٧٧١

اللّهمَّ تقبَّلْ عَملِي هذا خالِصًا لوجهِكِ الكريمِ، واجعلْ مِثلَ ثَوابِهِ في صَحيفةِ والديَّ – رحِمهُمَا اللّهُ تعالَى –.

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (يونس: ١٠)

واللّهُ مِن وَراءِ القصْدِ

وكَتَبَهُ الفقيرُ إلى اللّهِ تعالى سامِر مُظهَر قنطقجي فِي حَماةَ (حَماها اللّهُ)

الإثنين ٢٣ جُمادَى الآخِرة ١٤٣٦ هـ الموافق ١٣–٤–٢٠١٥ م

وجُدِّد الجمعة ٠٢ ذي الحجة ١٤٤٣ هـ الموافق ٠١–٠٧–٢٠٢٢ هـ

ملحق - نماذج فريدة في اختيار المنهج

ينبغي على مَن أنعمَ اللهُ عليه الوصولَ لمراتبَ عِلميّةٍ عليّةٍ أن يكتبَ خُلاصةَ تجرِبَته ومَنهجِه في البحثِ؛ ليكونَ دليلَ عملٍ لِغَيرِه من الباحثين؛ فليس من الضَّرورة ثباتُ قواعدِ البحثِ العلميِّ ضمنَ أُطُرٍ وقواعدَ جاهزةٍ؛ بل هي حُرَّةٌ مُتحرِّكةٌ تضبطُها قواعدُ عريضةٌ، ويبقى لكلِّ باحثٍ ناجحٍ طريقتُه ومَنهجُه الذي يُميِّزُه.

ولعلَّ دِراسةَ حياةِ بعضِ الأنبياءِ عليهِم السلامُ تُساعِدُ في تحرِّي كثيرٍ من طُرُقِ البحثِ عن الحقيقةِ؛ فإبراهيمُ عليه السلامُ كان له مَنهجُه في البحثِ عن إلهِ الكونِ وخالِقه، فلاحظَ ثمَّ وَضَعَ فرْضياتٍ بِناءً على ما لاحَظَهُ، ثمَّ تحرَّى وتبيّنَ؛ فالأصنامُ لا تحَسُّ ولا تدري ما يدور حولَها، فنظرَ إلى الكواكبِ والقمَرِ لكنَّ أفولَها جعلَها لا تصلُحُ أن تكونَ بمرتبةِ الإلهِ العظيم، فلاحظَ أنّ الشمسَ كبيرةٌ بالنسبةِ لِغَيرِها من الكواكبِ لكنَّها أفلتْ أيضًا؛ لَكنَّهُ عليه السلامُ لا يُحِبُّ الآفلينَ؛ لأنّ ذلك مَرَّدَ ضَعْفٍ وهَونٍ، عِندئذٍ أعلنَ نَقْضَ ما افترضَهُ الناسُ، وتَوجَّهَ للهِ الواحدِ الأحدِ، قال تعالى واصِفًا بحثَ إبراهيمَ عن الحقّ: **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ**

لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام : ٧٦–٧٨) .

إذًا : كان البُرهانُ غيرَ ما سارَ عليه الناسُ الذينَ اكتفَوا بتقليدِ الآباءِ وآباءِ الآباءِ دونَ أن يُكَلِّفُوا أنفُسَهُم عَناءَ البحثِ فَضَاعوا وأضاعُوا، أمّا إبراهيمُ عليه السلامُ فكانَ شأنُه عظيمًا فأنْقَذَ نَفْسَه وأنقذَ الناسَ ممَّنْ آمنَ معهُ فكان قُدوةً تُحتذى؛ لذلكَ جعلَه اللهُ خَليلاً .

نماذج المنهج في كتاب الله تعالى

أرست الآية ٢٥٦ من سورة البقرة حقيقة؛ هي بديهية من بديهيات الدين الإسلامي، تناولت حرية الاعتقاد دون أي إكراه، يقول الله تعالى : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة : ٢٥٦)، إذًا الرشد بينّ، والغيّ بينّ، وحرية الاختيار بين الإيمان والكفر منوطة باختيار الإنسان نفسه، ثم جاء بعد هذه الآية مباشرة آيات دالّة بمنهجية علمية، منها التجريبية، ومنها العقلية، وكلاهما فرع من مناهج البحث العلمي .

وقد عُرضت المشاهد التجريبية كالآتي :

١ . مناظرة بين إبراهيم عليه السلام والملك الحاكم، لجأ فيها إبراهيم عليه السلام إلى مدخل وصفي فالمشاهدات تبين ولادة أناس وموت آخرين

بشكل مستمر، قال للملك: إن الله تعالى يُحي ويُميت، فرد الملك بتجربة ظاهرها مشابه لإدعاء إبراهيم عليه السلام، فأمر الملك بقتل شخص وعفا عن آخر وظن الملك أن هذا إحياء وإماتة، فرد إبراهيم عليه السلام بالاستشهاد بظاهرة تكرر وتشاهد يوميًا، اضطر الملك عندها بيان عجزه وقلة حيلته على رد الادعاء:

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(البقرة: ٢٥٨).

٢. حوار ذكره المولى عزّ وجلّ عن رجل دون تسميته تساءل عند مشاهدته لبلدة أصابها خراب وموت من فيها أو هجرانهم لها، فقال: كيف لله تعالى إحياء هذه القرية بعد ما أصابها؟

إن هذا الرجل يعتقد بوجود إله، لأنه خاطب الله تعالى، دون أن يدرك أن الله يسمع مقاله وسرّه. لكن العزيز الحكيم أجابه بتجربة أوقعها عليه وعلى حماره وطعامه الذي معه، ثم أحياه بعد فترة ظنها الرجل يوما أو بعض يوم؛ فصحح له الله تعالى ظنه، وأضاف للتجربة المشاهدة الحيّة على طعامه وحماره الذي أحياه أمامه ليكون شاهداً،

فلمّا تحقق الرجل من قدرة الله تعالى، قال في نفسه: أعلم أن الله على كل شيء قدير، ولم يقل أعرف، فالرجل كان يحتاج تأكيد معلوماته، فكانت التجارب التي أوصلته للحقيقة فقال: أعلم، والعلم هنا قطعي:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة: ٢٥٩).

٣. حوار بين رب العزة ونبيه إبراهيم عليه السلام، وقد سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحي ويميت، بغية أن يدخل مزيداً من الطمأنينة على قلبه، فالغيبيات لا تبرح قلب الإنسان وعقله، فأجابه الله تعالى بتجربة عملية، لا تدع مجالاً للشك في برهان ما سأله نبي الله عليه السلام، وقد ختم الله تعالى الآية بأمر وجهه لنبيه ولكل مخلوق بأن عليه أن يعلم أن الله عزيز حكيم. وجاء في لسان العرب أن العزيز هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وهو القوي الغالب كل شيء،

وهو الذي ليس كمثله شيء. والحكيم هو الذي يُحْكِمُ الأَشياء ويتقنها، فهو ذو الحكمة، والحِكْمَةُ هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة: ٢٦٠).

٤. كما جاء في سورة المائدة أمرٌ، طلب الله تعالى فيه من الحواريين أن يؤمنوا به وبرسوله، فردوا على نبي الله عليه السلام بأن يُنزّل الله عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها وليتحسوسها فتطمئن قلوبهم، فكانت الاستجابة لطلبهم متبوعة بتهديد غليظ فيما لو أخطؤوا وكفروا بعد ذلك.

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا

وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (المائدة : ١١١–١١٥) . والفارق بين هذه الحالة وحالة طلب إبراهيم عليه السلام أن إبراهيم لّما طلب الله تعالى منه أن يُسْلم قال أسلمت لرب العالمين فكان إيمانه غيبيًا حيث استنبط بعقله، ثم كان طلبه للتجربة، ليطمئن بعد أن وقر الإيمان والإسلام قلبه .

وفي مثالٍ آخرَ عن المنهجيّة التي علَّمَنا إيّاها نبيُّ اللهِ إبراهيمُ عليهِ السلامُ أنّهُ سألَ ربَّهُ عن كيفيةِ إحياءِ اللهِ تعالى لِلمَوتى، فيسألُه المَولى عزَّ و جلَّ – وهو أعلَمُ – : (**أَوَلَمْ تُؤْمِن**)؟ هُنا يُرسي سيِّدُنا إبراهيمُ عليهِ السلامُ مبدأً عظيمًا للناسِ؛ فمِنَ الناسِ مَن يُؤمِنُ تسليمًا دونَ أدلَّةٍ ماديَّةٍ، وهُناك مَن يحتاجُ الدليلَ الماديَّ وهذا منهجٌ فعلَهُ خليلُ الرَّحمنِ الذي أسلمَ للهِ تعالى بمُحاكاتِه العقليَّةِ للنجومِ، وبتكسيرِه للأصنامِ، وإقامةِ الحُجَّةِ على الناسِ وهو فتىً قبلَ أنْ يُصبحَ رَسُولاً؛ لِذلكَ علينا أن نُبيِّنَ للناسِ ما غابَ عنهُم بالحُجَّةِ الصَّحيحةِ الدامغَةِ والبُرهانِ الساطعِ دونَ إنكارِ ذلكَ عليهِم؛ لأنّ أبا الأنبياءِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ قد فعلَ ذلك . وفِعلاً أجابَ اللهُ تعالى طلبَ إبراهيمَ بتجربةٍ ماديَّةٍ مَحسُوسةٍ ومَلمُوسةً تجعلُ العقلَ يتلمَّسُ الحُجَّةَ من خلالِ حواسِّ (اللمسِ، والنظرِ، والسَّمعِ، واللسان) . وهذا منهج تجريبي

بحث . قال تعالى : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة : ٢٦٠) .

وكذا كان حالُ أهْلِ الكهفِ الذين تَرَكُوا أهلَهُم وديارَهُم لما شقَّ عليهِم بُعْدُهُم وضَلالُهُم عن الحقيقةِ؛ فأعلَنُوا الحقيقةَ التي وَصَلُوا إليها وَنَجَوا بأنفُسِهم واعْتَزَلُوا الضَّالِّين؛ فكان أنْ بقيَ فِعْلُهُم في ذاكرةِ الناسِ سِنينَ طويلةً باعتبارِهم مُصْلِحينَ كانوا على الحقِّ ولم يَحرفْهُم ما انحرفَ لحاله الناسِ؛ لذلكَ فإنّ إنكارَ الناسِ لِمنهجيَّةٍ مُعيَّنةٍ واستنكارَهُم لها ليسَ دليلاً على بُطلانِها .

وهكذا فعلَ يُوسُفُ عليه السلامُ، فبعدَما عَرَفَ الحقَّ، تحمَّلَ الظلمَ والسِّجْنَ سِنينَ حتّى أظهرَ عِلْمَه وبيانَه للحقِّ والعَدلِ بإذنِ اللهِ تعالى .

واختارَ مُوسَى عليهِ السلامُ طريقَ القوَّةِ والمحاوَرةِ مع أهلِ الضَّلالِ واستخدَمَ الحُجَّةَ والبُرهانِ معهُم حتّى أظهرَهُ اللهُ عليهِم، كما طلبَ مِن اللهِ تعالى ما يَثبُتُ إيمانُه وهُو النبيُّ والرَّسولُ وهو مِن أُولي العَزْمِ؛ لِيُعلِّمَنا مَنْطقَ البحثِ عن الحقِّ ورَفْعِ رايةِ الحقيقةِ وتحمُّلِ الصِّعابِ تجاهَها .

واختارَ نبيُّ اللهِ نوحٌ عليهِ السلامُ الصبرَ على قومِه سنينَ مديدةٍ؛ فلمّا أيقنَ أنَّه ومَن آمنَ مَعهُ على الحقِّ وغَيرِهِم لمْ ولنْ يَرْضَوا بِه، نجَا بِنَفْسِه وبمَن آمنَ مَعهُ.

أمّا مُحمَّدٌ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ فقَد اعتكفَ بنَفْسِه يبحثُ عن الحقِّ تعالى؛ لأنَّه لم يعتقِدْ بما آمَن بهِ قومُه، وبقيَ كذلك حتّى أتاهُ اليقينُ من رَبِّه، ثمَّ صدحَ بالحقِّ فأُوذي وعُذِّبَ بأصحابِه فاختارَ أن يُحارِبَ أئمَّة الكُفرِ بالقولِ والفعْل وأرسَى للحقيقةِ أوتاداً تظلُّ باقيةً حتّى قيامِ الساعة.

وقد سارَ المجدِّدُونِ في أُمَّتَه على نَهْجِه، واختارَ كُلٌّ منهُم طريقتَه في البحثِ عن الحقيقةِ إرشاداً للناسِ ولإعادتِهم إلى جادَّةِ الحقّ والصوابِ. وإنَّ المتتبِّعَ للمناهجِ التي سارَ عليها أولئك المجدِّدونَ المؤثِّرونَ في هذه الأُمَّةِ يُدْرِكُ أنَّ طُرُقَ البحثِ عن الحقيقةِ عديدةٌ؛ فأبو حنيفةَ اختارَ دربًا، ومالكٌ اختارَ دربًا، والشافعيُّ اختارَ دربًا، وابنُ حنبلَ اختارَ دربًا رَحِمَهُم اللهُ تعالى. وكُلٌّ وَصَلَ إلى لُبِّ الحقيقةِ. ثمَّ تلاهُم مُجَدِّدونَ كأمثالِ الغزاليّ وابن تيميةَ وغيرهُم؛ فاختارَ كلٌّ منهُم دربًا سار عليهِ، وتميَّزَ به، ونجحَ في جعلِ الحقيقةِ ناصِعةً للناسِ بعد أن نفضَ أولئك المجدِّدونُ عنها ما لَحِقَ بها مِن غُبارٍ كادَ أنْ يَطْمِسَها.

لابد من التوقف عند إعجاز القرآن الكريم من زاوية البحث العلمي؛ فالقرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لقوله تعالى: **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** (القدر: ١). قال الإمام ابن كثير: قال ابن عباس وغيره: أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع، في ثلاث وعشرين سنة، على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والإعجاز المقصود هو في جمعه، فالمتأمل لكتاب الله يرى فيه كلام الله تعالى عز وجل، وفيه ذكر لكلام من مخلوقاته كالأنبياء والصالحين وإبليس وبعض الحيوانات كالهدهد والنملة وغير ذلك، ومنه ما كان نزوله في مكة المكرمة ومنه ما نزل في المدينة المنورة، ثم تم جمعه في ١١٤ سورة لستّة آلاف ومئتين وستًّا وثلاثين آية – من دون البسملات – وليس فيه خطأ إطلاقًا، جاء هذا التحدي في ثاني آية من سورة البقرة وهي ثاني سورة في القرآن الكريم بقوله تعالى: **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** (البقرة: ٢).

أما الكُتّاب والمؤلفين من البشر فعادة ما يختمون كتبهم باعتذار مسبّق عما سقط سهواً أو خطأ أو ما إلى ذلك، ومثال ذلك ما رواه المزني عن الشافعي رحمهما الله؛ الذي قال: "قرأت كتاب الرسالة على الإمام

الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي: هيه، أبى الله أن يكون كتابًا صحيحًا غير كتابه".

ويتوالى البحثُ عن الحقائقِ بوَضْعِ مختلفِ النظريات العلمية؛ فمِنها ما تنقضُه نظريّاتٌ أُخرى، ومِنها ما تُؤيِّدُه حتّى تنجليَ عنها كُلُّ غشاوةٍ؛ فتصبحَ حقيقةً علميّة أقربَ ما تكونُ للمسلَّمةِ والبدهيّة. وهذه سُنّةٌ قد سَنَّها اللهُ لِعبادِه، وهي سُنَّة التدافعِ فقال اللهُ تعالى: وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (البقرة: ٢١٥). أمّا مآلُ التدافعِ فتحكُمهُ سُنَّةٌ أُخْرى مِن سُنَنِ اللهِ تعالى وهي سُنّةُ البقاءِ للأصلحِ، فما ينفعُ الناسَ باقٍ في الأرضِ وغيرُ ذلكَ إلى زوالٍ، يقولُ اللهُ تعالى: كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (الرعد: ١٧).

ملحق - دور الذكاء الصنعي في ارتكاب الاحتيال الاكاديمي

تُعقد[1] المؤتمرات العلمية عادة لأيام معدودة، ويستغرق التحضير لها شهوراً أو ربما سنوات، وعادة ما تكون مكلفة. والأصل أن المشاركين فيها هم نخبة المجتمع العلمي، يتبادلون المنافع العلمية ويضيفون جديداً لعلومهم وللعلم عامة، ويحققون في اجتماعاتهم الجانبية فرصًا لتبادل قضايا فكرية تخصصية، مما قد يساعد في ابتكار حلول علمية لقضايا شائكة.

إلا أن هذا الوصف لا ينطبق على كثير من المؤتمرات وورش العمل التي صارت تقليداً، والمشاركة فيها تتم لتحصيل نقاط وعلامات تضاف لسير المشاركين الشخصية والعلمية، كما أن قبول المشاركات يتم بشكل هزيل بغض النظر عن محتواها لملء جدول المؤتمر، ومما يؤسف له أن إلقاء الأوراق العلمية يتم في زمن محدود لا يتعدى العشر دقائق – في أحسن الحالات – نظرا لازدحام أوراق المشاركة مما يُحوّل هذه المؤتمرات إلى تجمعات لا

[1] قنطقجي، د. سامر مظهر، استبدال الروبوتات بالبشر الفاسدين: أعضاء مجالس الشعب (نواب البرلمان)، والباحثون العلميون أنموذجًا، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ١٠٩، حزيران ٢٠٢١، رابط.

طائل منها، فضلا عن فقدان كثير من الأوراق لمصداقيتها البحثية وأمانتها العلمية.

يُضاف لما سبق؛ أن النشر المُحكَّم فيه ما فيه من محاباة وانحياز، حتى أن بعض المجلات العلمية التي تحمل أعلى التصنيفات العالمية وأشهرها – لا داعي لذكرها – تنشر مقالات الباحثين مقابل ما تقبضه من رسوم كبيرة؛ لذلك فإن عين تلك المجلات منصبٌ على المال لا على المحتوى العلمي للمقال، وهذا أسوأ ما يعيشه العالم من حالات ضعف أخلاقي.

لذلك فلا غرابة بقيام (جاكوب بوكمان)، وهو طالب دكتوراه في مجال التعلم العميق في جامعة (ميلا) الكندية، بدعوة الباحثين في مجال الذكاء الصنعي إلى اقتراف أكبر عدد ممكن من عمليات الاحتيال الأكاديمية والادعاءات الكاذبة في أوراقهم البحثية مبرراً دعوته هذه؛ بأن الاحتيال الواسع النطاق؛ سيجبرنا على إعادة تعزيز معايير مجتمعنا الأكاديمي، وسيُغير طريقة إجرائنا للأبحاث، وسيُحسّن القدرات على إحراز تقدم في المعارف البشرية.

وشرح[1] (بوكمان) بعض الممارسات المتبعة حاليًا؛ فالبعض يختارون أمثلة أو بيانات تجعل نموذجهم يبدو جيداً، ومنهم من يذكر في ورقته البحثية: أن عمله يمثل خطوة أولى واعدة؛ رغم قناعته بأن بحثه لا يشكل نواة لأي بحث مستقبلي.

لقد هدف (بوكمان) من ذلك إلى دفع الباحثين للتساؤل عن مدى مصداقية أبحاثهم؛ فانتشار الاحتيال الأكاديمي سيزرع بذور الشك في العقول. ورغم إقراره بأن اتباع هذا الأسلوب هو علاج متطرف لمشكلة التزوير الأكاديمي، وشبَّهه بالعلاج الكيميائي الذي ينطوي على بعض الأضرار؛ إلا أنه أفضل الخيارات في مواجهة السرطان الذي أصاب المجتمع الأكاديمي.

والملفت في الأمر؛ مشاركته في تأليف عدة أوراق بحثية مع باحثين من شركات ومؤسسات عريقة منها: Deep Mind وGoogle Brain وجامعة جون هوبكنز، وقد قُبل بعضها في مؤتمرات عالمية مرموقة، بينما هي مجرد هراء محض، وقد قدم اعتذاراً من زملائه المشاركين في هذه الأوراق.

---

[1] Please Commit More Blatant Academic Fraud, May 29, 2021, https://jacobbuckman.com/2021-05-29-please-commit-more-blatant-academic-fraud/

وقد عبَّر (بوكمان) عن سعادته عند قراءته لأول حالة احتيال أكاديمي موثقة في مجتمع الذكاء الصنعي[1]، واعتبرها بداية يستلهم منها الباحثون نموذجهم، ليتابعوا انخراطهم في احتيالات أكثر وضوحًا في المستقبل. وبرأيه فإن الاحتيال الأكاديمي الصريح هو امتداد طبيعي لهذا النوع من الاحتيال اليومي الذي يرتكبه معظم الأكاديميين في مجتمعنا وبشكل منتظم، إلا أنه احتيال ماكر وخفي، لا يمكن تمييزه.

والأسوأ من ذلك كله؛ تواطؤ الجميع في هذا الاحتيال الخفي:

- فلا أحد مستعد للاعتراف بوجود احتيال؛ ولا أحد يَدينُ الآخرين.
- ما هي السلوكيات التي يمكنهم رؤيتها بوضوح في أنفسهم؟
- من ذا الذي يرغب في تقويض إنجازاته من خلال الاعتراف بأن أعماله ليس لها قيمة علمية؟

وبالتالي فإن النتيجة المحزنة؛ أن المجتمع قد طوّر ثقبًا أسودًا حول واقع مُحبِط؛ طال حتى المؤتمرات الكبرى، التي صار يندر أن تقدم أوراقها المنشورة أية حقيقة ذات بصيرة! وإن أي محاولة لتسليط الضوء على

[1] Collusion Rings Threaten the Integrity of Computer Science Research Michael L. Littman, Communications of the ACM, June 2021, Vol. 64 No. 6, Pages 43-44, https://cacm.acm.org/magazines/2021/6/252840-collusion-rings-threaten-the-integrity-of-computer-science-research/fulltext#FNA

الوضع أو تصحيحه تُقابل بمقاومة شديدة من أولئك المستفيدين من الوضع الحالي.

الآن، وبعد أن أصبح الاحتيال الأكاديمي (الصارخ) واقعًا، فقد أتيح لمجتمع الذكاء الصنعي فرص الدفاع، من خلال مشاركته في أشكال الاحتيال الذي ترك الباب مفتوحًا. وبذلك نجح باحثو الذكاء الصنعي في إجبار المجتمع على الاعتراف بنقطة ضعفه. **ولأول مرة، سيضطر الباحثون الذين يقرؤون وقائع المؤتمر إلى التساؤل: هل يستحق هذا العمل الانتباه حقًا؟ أم أن نشر أوراقه مجرد نتيجة احتيال؟**

وبما أنه يصعب التمييز بين الأوراق المنشورة عن طريق الاحتيال وتلك المنشورة بشكل شرعي، فإن احتمال نشر أي ورقة بحثية من خلال الاحتيال سيُجبر الناس على الانخراط بشكل أكثر تشككًا مع الجميع؛ ليبذل المحكمون وغيرهم مزيدًا من التدقيق الإضافي للتعامل مع أشكال الاحتيال بوصفها (حلقات تواطؤ)، وهذا سيضغط على الباحثين لإنتاج أعمال قادرة على الصمود أمام هذا التدقيق؛ لكسب نتائج دون أي غش، ومن ثم الوصول إلى **أوراق ذات جدارة علمية حقيقية**.

إن المؤسسات التعليمية في شكلها الحالي لا تستحق المصداقية التي تتمتع بها. ولعل الاحتيال على نطاق واسع سيجبر على إعادة تقوية المعايير

الأكاديمية، وتغيير الطريقة التي يعمل بها الباحثون، لتحسين القدرات الجماعية لتطوير المعارف البشرية، **وهذه بعض أسرار الذكاء الصنعي**.

ملحق - الإسناد والإجازة

عُرفت الإجازة في أوساط أهل العلم، كإذن من الأكثر علمًا للمتدرج في طلب العلم، أو من الأستاذ إلى تلميذه.

وجاء في قاموس المحيط أن اسْتَجَازَ طَلَبَ الإِجازَةَ؛ أي الإِذْنَ.

وجاء في لسان العرب: جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جَوْزًا وجُؤُوزًا وجَوازًا ومَجازًا وجازَ به وجاوَزه جِوازًا وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه: سار فيه وسلكه، وأَجازَه: خَلَّفه وقطعه، وأَجازه: أَنْفَذَه.

وجاء في الصحاح: أَجازَ له، أي سوَّغ له ذلك.

أما السَّنَدُ؛ فقد جاء في لسان العرب أنه: ما ارتَفَعَ من الأَرض في قُبُل الجبل أَو الوادي، والجمع أَسْنادٌ. وأَسنَد الحديثَ: رفعه، قال الأَزهري: والمُسْنَد من الحديث ما اتصل إِسنادُه حتى يُسْنَد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمُرْسَل والمُنْقَطِع ما لم يتصل.

إن العلم الذي جاء به كتاب الله تعالى، آتاه الله جلَّ في علاه للمَلك جبريل عليه السلام؛ بوصفه واسطة التبليغ بين الله تعالى وبين رسله من البشر، ليبلغوه للناس؛ فيقوم الناس في هذه الدنيا بما أراده سبحانه وتعالى.

والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام رجال اجتباهم الله واختارهم ورباهم كما يريد سبحانه وتعالى؛ ليحملوا أمانة التبليغ للناس؛ فهم الصالحون الأمناء العالمون معلمو الناس مراد الله تعالى دون نقص أو تغيير؛ لذلك كانت أمانة عظيمة.

ثم جاء من بعد الرسل رجال حملوا هذه الأمانة، ووقع على عاتقهم بعضًا مما حمله الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فتفرغوا لتلقي العلم ودراسته ونشره، خاصة الشرعي منه؛ أي ما يختص بشريعة الله تعالى التي هي المنهج القويم والدليل الصحيح ليعيش الناس بسلام على هذه الأرض حينًا من الدهر، ثم ينتقلون إلى حياة أو حيوات أخرى، فإن سَلموا في الحياة الأرضية؛ فإن السلامة بما يليها مضمونة مأمونة؛ لأنهم آمنوا بما تبلغوه وعملوا به، ولم يحيدوا عن مراد خالقهم جلّ في علاه.

لقد ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته بخطبة سُميّت خطبة الوداع، جاء في آخرها قوله صلى الله عليه وسلم: **ألا هل بلغت اللهم فاشهد**، وكررها مرتين.

تلقى أهل الفهم هذه العبارة بعقول منفتحة واعية، فصار الواحد منهم يأذن لمن بعده من تلامذته وطلابه بما يلقنهم إياه من علوم، وهذا بلاغ؛

والإذن شهادة بقدرات هذا الطالب تلقيًا وتعلمًا وتدربًا، وأنه يستحق درجة الأستاذية؛ وبذلك يصير مُعلِّمًا وأستاذًا لما تبلغه.

تابعت الأجيال ذلك جيلاً بعد جيل؛ لتصل شريعة الله للناس، ويبقى ذلك إلى ما شاء الله تعالى.

أذكر أني كنت أقرأ في بداية تخصصي بعض الكتب القديمة؛ التي أجد في مقدماتها ذكرًا لشيوخ مؤلفيها، ثم تلامذتهم؛ فأسأل نفسي لماذا ذلك؟ ثم وقع في قلبي أنها السلسلة التي نقلت وتناقلت العلم بأمانة، فالمؤلف بذكره لشيوخه وتلامذته؛ يُعرّف نفسه في هذه السلسلة المضيئة من حملة العلم ممن شَهد لهم مَن قبلهم من أهل التثبت والأمانة والفقه؛ فيعلم القارئ أن ما بين يديه هو من تأليف رجل أخذ علمه ممن يوثق بهم سندًا متسلسلاً حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تلقاه شفاهة من الرسول جبريل عليه السلام عن الله تعالى جلّ في علاه.

فصار ما تلقاه أولئك الرجال تواترًا عن جمع غفير من بعضهم البعض مصدرًا من مصادر علوم الأمة؛ فما كان من كلام الله تعالى فهو قرآن يُتلى آناء الليل والنهار ويُعمل به كمنهاج حياة.

وما كان من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حديث شريف يشرح ويبين كلام الله تعالى يُقرأ ويُحفظ ويُعمل به باستمرار لأن فيه الصلاح والفلاح.

ثم ما كان من أقوال الجيل الأول كان قول صحابي واجتهاد منه. وما كان من أقوال الجيل الثاني كان قول تابعي واجتهاد منه.

وما كان من أقوال الجيل الثالث كان قول تابع تابعي واجتهاد منه، وما زالت الأجيال تتابع ذلك بتعلم واجتهاد منهم، فيهم المصيب ومنهم دون ذلك، وقد يندس فيهم مشككون ومبطلون، ويبقى التدافع قائماً بين الناس سُنَّة من سنن الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب وصولاً لسُنَّة الاستقرار والديمومة؛ فما ينفع الناس يمكث في الأرض وأما الزبد فيذهب جُفاء.

وبذلك حفظ الله دينه في صدور مستوعبة، وعقول راجحة نيّرة إلى ما شاء.

وقد وَثّقت سلسلة الرجال بعضها بعضًا؛ فأجاز الأقدمون من أتى بعدهم من حملة العلم ممن شُهد لهم بذلك حقًا؛ فمفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم استدلَّ من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: **ليبلغ الشاهد منكم الغائب**؛ أن الإسناد سنة من سننه صلى الله عليه

وسلم؛ لأنها تبينّ طريق الحق والرشاد، وتحث على تبليغ الشريعة بالحث الواجب ... وأن الإسناد إنما هو من العلم؛ وقد اختصت به الأمة المحمدية من بين سائر العباد[1].

وقد شبه شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين مجموع سلسلة رجال العلم؛ بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، ثم شبه رجالها بالنَحل؛ لأنهم يتنقلون بين أفاضل العلم وأوليائه ممن طهر قلبه وسلمت فطرته، يتتلمذون ويتعلمون ويتلقون عنهم صحيح العلم، فيَنحلون أفكارهم بالاستقامة التي عهدوها عن بعضهم بعضاً؛ لتخرج علومهم شفاء لكل عليل، تنير درب كل من يبغي الحق، وهكذا هو حال الشراب الذي يخرج من بطون النحل تراه مختلفاً ألوانه، وفيه شفاء الناس.

لقد كان للصحابة رضوان الله عليهم من هذا المشرب أصفاه وأعذبه، ومن العلم بالكتاب والسنة أزكاه وأطيبه، وكيف لا يكونون كذلك وقد تُليت عليهم آيات الله وفيهم رسوله ولهم من الاعتصام بالله ما ضمنت له ولهم الهداية والاستقامة، ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم، فسبحان من أعطاهم وفضّلهم على سائر هذه الأمة، ورضي عنهم وهنّأهم

[1] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.

بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصّدّيقين؛ أدّوا إلينا سُنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاهدوه والوحي ينزلُ عليه؛ فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشادًا، وعن التابعين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين. وقد اختص الله تبارك وتعالى هذه الأمة المحمدية ببقاء اتصال الأخذ والإسناد حفظًا للشريعة المطهرة إلى يوم التناد[1].

قواعد الإجازة

حصل العلامة شيخ القراء بالشام الشيخ عبد الله بن محمد سليم المنجد رحمه الله على إجازات عليّة خلال رحلته العلمية، ذُكرت بعد وفاته في ترجمته الذاتية[2]، بلغت ست إجازات، وبدراستها، استنتجنا سبعة قواعد لابد من ذكرها في الإجازة؛ حيث اشتركت أغلبها بذكر تلك القواعد، وتتلخص القواعد بالآتي:

١) حمدُ الله تعالى، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، ومن ذلك مثلاً:

[1] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.
[2] نشرتها دار البشائر بدمشق عام ٢٠١٨.

- حمداً لمن جعل السنة النبوية لأمراض القلوب شِفا، ووفق من اختاره من عباده لخدمتها فرَاقَ لُبَّه من عذب كوثرها وصَفا، وصلاةً وسلاماً على من سنّ لنا سنة الإسناد، وبينّ لنا طريق الحق والرشاد، وحثنا على تبليغ الشريعة بالحث الواجب، حيث قال: **ليُبلْغ الشاهد منكم الغائب**، وعلى آله وصحبه ذوي الفهم الثاقب[1].
- حمداً لمن رفع مقام أهل الحديث وجعلهم لخلقه أئمة وقادة، وصحح نياتهم؛ فحسنت أخلاقهم وصَفَت سرائرهم وذلك عنوان السعادة، وتشرفوا باتصال سندهم إلى نبي الرحمة، وذلك من خصائص هذه الأمة؛ فهم ورثة الأنبياء، وليس على هذا الشرف زيادة؛ فهم نجوم الهدى، ومصابيح الدجى، **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**؛ فسبحان من اختار من خلقه هُداة وفقهم لنصرة دينه، وجعلهم للناس سادة[2].

٢) ذكر المجيز لما يحمله من صفات علمية، ومن ذلك:

- وقد أخذ الشيخ أحمد دهمان الإجازة بالتلقي والتدبر والمشافهة والتفكر، عن الجهبذ الكامل، والعالم العامل، من نشر علوم القرآن

[1] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[2] الشيخ محمد صالح المفتي الآمدي.

خدمة للقرآن العظيم، ونَظَم في سَلك تأليفها من عوارف معارفه ما يفوق الدرّ النظيم، شامة وجنة الشام وجوهر ثغرها البسّام، سلالة الصفوة الهاشمية، وشيخ القراء بالديار الدمشقية السيد السند المكرم، والإمام الهمام المعظم الشيخ أحمد أفندي، فقد قرأ عليه ختمة كاملة مع التجويد والإتقان[1].

٣) الشهادة للمجاز بسلوكه درب العلم وتحصيله، وأنه جنى ثمار ذلك أو بعضه، ومن ذلك مثلاً:

- إن ممن سلك في تحصيل العلوم أحسن مسلك وأقومه، وجنى من ألذ ثمره أطيبه العالم العامل والحافظ الجامع الكامل الشيخ عبد الله المنجد، فهو منذ شبّ مُشتغل بتحصيل العلوم، ومُثابر على تحرير المنطوق[2].
- إنّ الإسناد من الدين والآخذ به متمسك بالحبل المتين، فمن ثم عكف أهل العلم عليه وتوجهت مطايا هممهم إليه، ولما كان منهم الأستاذ الحافظ الشيخ المجاز الذي طلب من الشيخ محمد بدر الدين الحسني أن يجيزه باعتبار أن الإجازة هي أمان عند اقتحام المفازة[3].

---

[1] شيخ القراء الشيخ أحمد دهمان.
[2] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[3] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.

– إن التحلي بالعلوم والمعارف من أشرف النعم واللطائف، وأسنى المطالب وأعلاها وأفخر الرغائب وأغلاها، وإنّ من رتع في رياضها وورد على حياضها فاجتنى منها نضيج الثمر، واستحلى فيها مع الندماء السمر، وسلك في خيرها سبيلاً، وشرب من مائها سلسبيلاً. إنّ حضرة الكامل الفاضل الماجد سلالة الكرام الأماجد الشيخ عبد الله أفندي بن سليم المنجد والذي لا زال لمن هوى في هوة الهوى منجداً، وفي طلب معالي الأمور متهمًا ومنجداً[1].

٤) تواضع المجيز ورفع شأن المجاز، فأكثر المجيزين يذكرون أنهم غير مؤهلين للإجازة، مع أنهم العلماء الفقهاء الأجلاء، وما ذلك إلا تواضع العالم العامل، ومن ذلك:

– حتى فاق من هذا الحقير أن أجيزه بما يجوز لي وعن روايته، وهذا لحسن الظن بي فإني لست أهلاً لأن أُجاز فضلاً عن كوني مُجيزاً[2].

– هذا ولما جاد الزمان بصاحب العصر والأوان الحافظ المجد المجتهد الشيخ عبد الله المنجد[3].

---

[1] الشيخ عبد القادر القصاب.
[2] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[3] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

٥) الإجازة بما يحق له أن يجيزه به ؛ أي حسب الاختصاص الذي هو عليه دون تجاوز، ومن ذلك :

- قد أجزت الفاضل المذكور بما تجوز لي وعني روايته .
- فأجازه بالمعقول والمنقول من فروع وأصول والأحاديث الشريفة والآثار المنيفة التي اشتملت عليها الجوامع والمسانيد ذات الأنوار اللوامع، وقد أجازه أيضًا فضلاء العصر وجهابذة مصر[1] .
- إني لست من فرسان هذا الميدان ولا ممن له في سباحة بحر العلم يُدان، وهو وإن كان في ظاهر الأمر هو المستجيز فهو في الحقيقة مجيز[2] .
- ويوصي الشيخ أحمد دهمان الشيخ المجاز بتقوى الله والمواظبة على قراءته وإقرائه[3] .
- وقد أجزت العلامة المذكور أن يروي عني كتاب الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر بحق روايتي له عن جد المجاز شيخ الإسلام وبركة الأنام بهجة

[1] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[2] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[3] شيخ القراء الشيخ أحمد دهمان.

النقاد وعلم الإسناد المشتهر بالأخلاق السنية والمتوج بتاج السنة النبوية العلامة اللغوي سيدي عمر أفندي الآمدي[1].

– هذا ولما جاد الزمان بصاحب العصر والأوان الحافظ المجد المجتهد الشيخ عبد الله المنجد، جاءني وأخبرني بأنه قرأ ختمة السبعة من طريق الشاطبية والتيسير، والعشرة من طريق الدرة والتحبير على الحافظ القدوة المقرئ العلامة الشيخ أحمد أفندي دهمان الدمشقي. ثم قرأ على هذا العبد الفقير الراجي عفو ربّه القدير ختمة العشرة بما تضمنته طيبة التقريب والنشر الكبير على طريق العراقيين والمغاربة وطريق المناسبة. وأتم تلك الختمة بالجد والسعي الوافر؛ فلما شاهدت فيه من الاقتدار للإقراء والإفادة للطالبين وأن يجيز بذلك لمن يراه من المستعدّين الآخذين أجزت له بذلك طلبًا لمرضاة العزيز الغفار إنه كريم ستار[2].

٦) توصية المجاز بما يجب أن يكون عليه منهجه في العلم، وفي حياته العلمية، ومن ذلك:

– أوصي حضرة الأستاذ المجاز بمجاهدة النفس وتفريغ القلب عن الأغيار وتطهيره عن سفاسف هذه الدار وبملازمة الأذكار المأثورة

[1] الشيخ محمد صالح المفتي الآمدي.
[2] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

والأدعية المشهورة والإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام مع المشاهدة المعنوية المنتجة للمجالسة الحسية[1].

– وقد أوصى الأستاذ المذكور ونفسه بالتحري في النقل وكرم التقوى التي هي عند الله السبب الأقوى[2].

– وأوصيته فيما قرأ عليّ وتلقّاه مني بشرط أن لا يتخطاه ولا يخلطه بسواه وأن لا ينشر العلم إلا لله وأن لا يجعل اعتماده إلا على الله[3].

٧) توصية المجاز بالدعاء الصالح للمجيز، فالعلم رحم بين أهله، والعلم حسنة جارية يعلم صاحبها أن من عمل به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة دون أن يُنقص ذلك من أجورهم شيئًا، لذلك يحرص المجيزون توصية تلامذتهم المجازين على الدعاء لهم باستمرار، ومن ذلك:

– وأوصي المجاز بأن لا ينساني من صالح دعواته في أشرف أوقاته.

– ويرجو منه أن لا ينساه من الدعوة الصالحة.

– وأن لا ينساني من صالح دعواته وحسن توجهاته.

– وأن لا ينساه من صالح دعواته لا سيما بعد قراءته وعقب صلواته.

---

[1] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[2] الشيخ عبد القادر القصاب.
[3] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

- وأوصى الشيخ المجاز؛ أن لا ينساه من دعائه في خلواته فهو العبد الفقير محب العلماء العاملين ومحسوب السادة الفقراء الكاملين عبد الله بن السيد درويش الركابي الشهير بالسكري عفا الله عنه وعن كل مرتقي[1].
- وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته ولمشايخي ولوالديّ ولإخواني المسلمين أحياء ومنتقلين[2].

إنّ العلم هو أساس تطور الأمم، والقراءة أهم أدوات تحصيل العلم، وأول كلمة نزلت في كتاب الله تعالى هي "اقرأ" لحث الناس على القراءة والتعلم، وكتاب الله تعالى كله علمٌ لذلك حريٌّ بأمة الإسلام أن تكون سباقة في طلب العلم، والأمة التي ترغب أن تقيم بنيانها على أسس صحيحة عليها أن تتبنى العلم سبيلاً، وأن تُكرّم علماءها.

[1] الشيخ محمد صالح المفتي الآمدي.
[2] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

المراجع

(١) البوطي، د. محمد سعيد، هذه مشكلاتهم، دار الفكر بدمشق.

(٢) الترمذي، أبي عبد الله محمد بن علي بن حسن الحكيم الترمذي، كتاب ختم الأولياء، تحقيق عثمان اسماعيل يحيى، ص ٥٧، المطبعة الكاثولوكية ببيروت ١٩٤٦.

(٣) الشاطبي، أبي إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية ببيروت.

(٤) الصادق، الشيخ حسين بن محمود،(طريقك إلى الجنة)، دار الكتب العلمية ببيروت.

(٥) الغزالي، أبي حامد، القسطاس المستقيم، تحقيق محمود بيجو، المطبعة العلمية بدمشق، ١٩٩٣.

(٦) الغزالي، أبي حامد، المنقذ من الضلال، تحقيق محمود بيجو، مطبعة الصبح بدمشق، ١٩٩٢.

(٧) القاضي، د. حسين، نظرية المحاسبة، منشورات جامعة دمشق ١٩٨١.

(٨) القرضاوي، د. يوسف، المنتقى في الترغيب والترهيب، مطبعة دار الوفاء.

(٩) القرضاوي، يوسف، دور الأخلاق والقيم في الاقتصاد الإسلامي.

(١٠) القرطبي، محمد ، الجامع لأحكام القرآن، عشرون جزءا ، دار الحديث بالقاهرة.

(١١) النحوي، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

(١٢) اليافي، د. عبد الكريم، الاختصاصِ والموسوعيّةِ والفكرِ العلميِّ الحديث، مجلةِ التراثِ العربيِّ ، العددان ٣٩–٤٠، ١٤١٠ هـ– ١٩٩٠ م.

(١٣) حسان، د. حسين حامد، فقه المصلحة وتطبيقاته المعاصرة، منشورات البنك الإسلامي للتنمية، جدة ١٩٩٣.

(١٤) خروفة، علاء الدين، فلسفة التشريع الإسلامي، سلسلة محاضرات العلماء البارزين، منشورات البنك الإسلامي للتنمية.

(١٥) خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، الدار المتحدة بدمشق، ١٩٥٦ .

(١٦) ديكنسون، د. جون، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، سلسلة عالم المعرفة، ١١٢، ١٩٨٧، الكويت .

(١٧) رسائل إخوان الصفا – الرسالة الرابعة عشرة: القياس البرهاني وأنواعه وكيفية تأليفه واستعماله، واستخراج نتائجه .

(١٨) سنن أبي داوود .

(١٩) سنن ابن ماجه .

(٢٠) سنن الترمذي .

(٢١) صحيح البخاري .

(٢٢) سنن النسائي .

(٢٣) صحيح مسلم .

(٢٤) فراج، د. خالد، الورقة البحثية والبحث الصفي، جامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة .

(٢٥) قضايا ومسائل تتعلق بمنهجية البحث في الاقتصاد الإسلامي، سلسلة حلقات نقاشية بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، ١٩٩٧ .

(٢٦) قنطقجي، د. سامر، دور الحضارة الإسلامية في تطوير الفكر المحاسبي، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، دار الرسالة ناشرون، ٢٠٠٣ .

(٢٧) مدور، بيتر، الاستقراء والحدس في التفكير العلمي، ترجمة د. بلال الجيوسي، منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٨٢ .

(٢٨) مسند أحمد .

(٢٩) موطأ مالك .

(30) Edward, Paul, The Encyclopedia of Philosophy, The MacMillan .Co. & The Free Press, New York, 1967 Vol. 1, p. 339

(31) Bitcoin Magazine: Link

صدر للمؤلف

١) **ترشيد عمليات الصيانة بالأساليب الكمية** – نشر الكتروني. ويتضمن ثلاثة نماذج رياضية فريدة:

– نموذج استبدال التجهيزات (أسلوب البرمجة الديناميكية).

– نموذج تخزين قطع التبديل (أسلوب البرمجة الخطية والبرمجة الديناميكية).

– نموذج قياس الموثوقية.

٢) **دور الحضارة الإسلامية في تطوير الفكر المحاسبي** – نشر الكتروني.

٣) **فقه المحاسبة الإسلامية / الجزء الأول: المنهجية العامة**، نشرته مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشور الكترونيا.

٤) **معجم مصطلحات فقهية عربي / عربي** – نشر الكتروني.

٥) **فقه المحاسبة الإسلامية / الجزء الثاني: المحاسبة الاجتماعية**، نشرته دار النهضة بدمشق – والآن منشور الكترونيا.

٦) **مشكلة البطالة وعلاجها في الفقه الإسلامي**، نشرته مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشور الكترونيا.

٧) **الفروق الجوهرية بين المصارف الإسلامية والمصارف الربوية**، دار شعاع – والآن منشور الكترونيا.

٨) **صناعة التمويل في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية**، دار شعاع. – والآن منشور الكترونيا.

٩) **التأمين الإسلامي التكافلي، أسسه ومحاسبته**، دار شعاع.

١٠) **لغة الإفصاح المالي والمحاسبي XBRL**، دار أبي الفداء للنشر والتوزيع والترجمة – والآن منشور الكترونيا.

١١) **سياستا تحصيل الزكاة وإلغاء الضرائب الماليتين (فقه الاقتصاد المالي)**، دار شعاع – والآن منشور الكترونيا.

١٢) **صندوق القرض الحسن**، دار شعاع – والآن منشور الكترونيا.

١٣) **ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية**، نشرته دار النهضة بدمشق – ودار السيد بالمملكة العربية السعودية – ونشرته دار شعاع بحلب (نسخة مزيدة ومنقحة) – والآن منشور الكترونيا.

١٤) **فقه المعاملات الرياضي**، دار أبي الفداء للنشر والتوزيع والترجمة – نشر الكتروني. ويتضمن خمسة نماذج رياضية فريدة:

– النموذج الرياضي للربا.

– النموذج الرياضي للبيوع.

– النموذج الرياضي للغرر.

– النموذج الرياضي للاقتصاد الإسلامي.

– نموذج قياس أداء المعاملات المللية الإسلامية بديلا عن مؤشر اللايبور.

١٥) **فقه الأسواق**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا.

١٦) **فقه الإيراد**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا. والكتاب مترجم للغة الأوردو.

١٧) **فقه التكلفة**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا.

١٨) **فقه الربح**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا.

١٩) **أيهما أصلح في الاستثمار معيار الربح أم معيار الاستثمار؟**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا.

٢٠) **نموذج توزيع أرباح وخسائر شركات المضاربة الإسلامية – نموذج رياضي–**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا. والكتاب مترجم للانكليزية.

٢١) **الفساد، أسبابه ونتائجه والحلول المقترحة للقضاء عليه**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا.

٢٢) **معيار قياس أداء المعاملات المالية الإسلامية (بديلاً عن مؤشر الفائدة)**، (سلسة فقه المعاملات الإسلامية) مؤسسة الرسالة ناشرون بدمشق – والآن منشورة الكترونيا.

٢٣) **مؤسسات البنية التحتية للصناعة المالية الإسلامية** – نشر الكتروني.

٢٤) **أربعون قاعدة في الاقتصاد لبناء الأمة وإصلاح البلاد قواعد اقتصادية من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم** – نشرته دار الحديث والسيرة النبوية بدمشق – نشر الكتروني، ونشرته هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة لشمال المغرب.

٢٥) **البحثُ العلميُّ نظراتٌ في مَنهجِه ورسالتِه** – نشر الكتروني.

٢٦) **فقه الابتكار المالي بين التثبت والتهافت** – نشر الكتروني.

٢٧) **منهج التغيير في كلمات رئيس التحرير** – نشر الكتروني.

٢٨) **نظرات في كتاب لمحة الناظر في مسك الدفاتر** (تأليف مشترك) – نشر الكتروني.

٢٩) **حلو الكلام** – نشر الكتروني .

٣٠) **إضاءات على الهداية الإلهامية في مسك الدفاتر والأعمال التجارية** (تأليف مشترك) – نشر الكتروني .

٣١) **معيار قياس أداء المعاملات المالية الإسلامية ، (مقام) بديلا عن مؤشر اللايبور** – نشر الكتروني .

٣٢) **محاسبة التأمين الإسلامي** – نشر الكتروني .

٣٣) **نظرات اقتصادية في تفسير الآي القرآنية– مجلدين – الجزء الأول : التفسير التحليلي** – نشر الكتروني .

٣٤) **فقه الإدارة المالية والتحليل المالي** – نشر الكتروني .

٣٥) **السياسات النقدية والمالية والاقتصادية ، المثلث غير المتساوي الأضلاع بنظرة إسلامية**، منشورات كاي ، نشر إلكتروني .

إضافة لأكثر من ٣٥٠ مقال متخصص

جميع المؤلفات متاحة على الرابط : www.kantakji.com

جامعة كاي

جامعة أونلاين

متخصصة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

www.kie.university